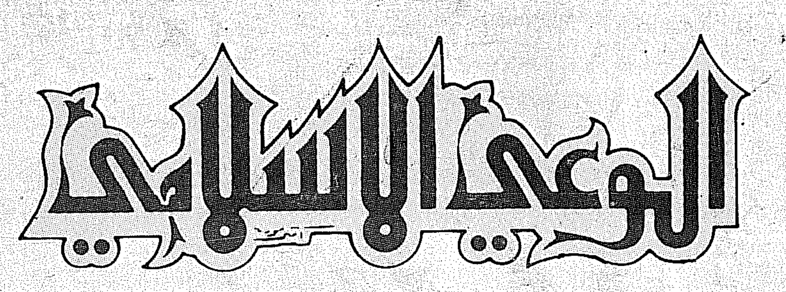



إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٤ جمادي الآخرة ١٤٠٤ هـ - مارس ١٩٨٤م

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان



بسم الله الرحمن الرحيم
الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما في السموات وما
في الأرض من ذا الذي يشفع عنده
إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه
إلا بما شاء وسع كرسيه السموات
والأرض ولا يؤده حفظهما وهو
العلي العظيم
كتبه الحاج أحمد الكامل ١٢٤٤ رئيس الخطاطين عفي عنه



# AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٤ / جمادي الآخرة ١٤٠٤ هـ . ( مارس -**ابريل**) ١٩٨٤ م .

## هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

## عنوان المراسلات

### مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٢٤٦٦٣٠٠

## التوزيع والاشتراكات

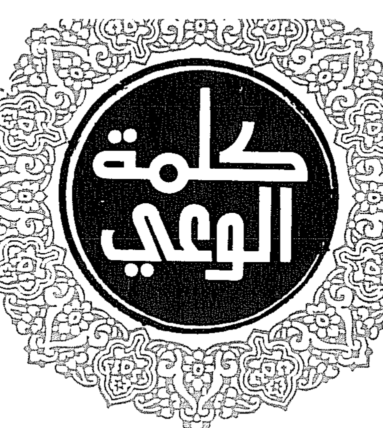
الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

## الثمن

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم




# «فأصبحتم بنعمته إخوانا»

جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية وجورها إلى نور الاسلام وعدله ، وكانت بعثته نهاية لعهد الظلم والقسوة والتمزق والضياع وبداية لمنهج التراحم والتعاطف والتآخي والارتباط بهدى الله ، واستطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحى إليه من ربه أن يكوّن من عرب الجزيرة في فترة وجيزة أمة تحمل رسالة وتنشىء حضارة ، وتصنع تاريخا حافلا بالأمجاد .

وفي البداية كانت دار الأرقم عند الصفا في مكة مركز التجمع وملتقى القلة المستضعفة من المؤمنين ، وحدت العقيدة بينهم ، وملأت قلوبهم صلة بالله في ظلال الحب والترابط والاعتصام بحبل الله ، واستمرت هذه التربية الايمانية بعد الهجرة على نطاق واسع في المدينة ، وفي المسجد ، تعهد النبي أصحابه بأدب الاسلام ، رباهم على منهج الله من طلوع الفجر إلى غسق الليل ، وبالمؤاخاة وضع أساس التضامن الاسلامي ، وبالاخاء ذابت عصبيات الجاهلية ، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن ، وكان الاخاء مصدر قوة تحمي الدعوة وتحرس الاسلام ، وكان المسلمون الأولون بهذا الترابط عباد الله إخوانا ، ولو كانوا عبيد أنفسهم لتنازعوا وذهب ريحهم وانتكست رايتهم . وقد ظهر أثر هذا الترابط على درب الصراع الطويل بين الحق والباطل ، ففي بدر على سبيل المثال انتصرت الفئة المؤمنة على قلتها ، واندحرت الفئة الباغية على كثرتها ، لأن المؤمنين دخلوا المعركة على قلب رجل واحد ، بعد أن أعلن المقداد بن عمرو كلمة المهاجرين ، وقال يا رسول الله : والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكنا نقول لك : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

ثم قام سيد الأنصار سعد بن معاذ يعلن تضامن الأنصار بكلمة جاء فيها : فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ..

وسجل التاريخ كثيرا من مواقف بطوليةقامت على التضامن والاخاء بعد أن أصبحوا بنعمة الله إخوانا .

وباستعراض سريع للأحداث التي اعترضت طريق الدعوة من بدايتها إلى وقتنا المعاصر ، نرى التيارات المعادية للاسلام والمسلمين تتعاون جبهاتها في تخطيط منظم حاقد للنيل من هذا الدين والقضاء على أمته بغزو فكري يواكب أو يعقب الغزو العسكري ، كما أن التيارات التي يواجهها المسلمون اليوم هي نفسها التي واجهها أسلافنا وصارعها آباؤنا وأجدادنا على امتداد خمسة عشر قرنا من الزمن .

في مكة واجه النبي صلى الله عليه وسلم التيار الجاهلي فما نال منه الوعيد ولا التهديد وأمام إغرائهم له بالملك والسيادة وبريق الذهب والمال قال كلمته الخالدة : ( **والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** ) .

**وفي المدينة واجه ومن معه من المؤمنين تآمر اليهود ومكر المنافقين ومهاجمة المشركين ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما**

استكانوا حتى أيدهم الله بالنصر المبين ، وما انتقل النبي إلى ربه حتى ارتفعت أعلام الاسلام في كل مكان وازدحمت المدينة بالوفود التي تعلن إسلامها وسلامها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ثم انتقلت المعركة إلى جبهة أخرى خارج الجزيرة ، وتصدى المسلمون للتيار الإلحادي والقوى المعادية من الفرس والروم ، وتمت تصفية الحساب معهم في عهد الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه ، وكرد فعل لهزيمة المجتمع المجوسي أخذت فلول الوثنية تكيد للاسلام من وراء أقنعة تختلف صورها وأسماؤها ، وتلتقي كلها في مستنقع الالحاد والحقد الدفين ، ثم اتصلت حلقات هذا العداء حتى ظهر سافرا في الزحف التتري المخرب الذي أتى على كل مقومات الحضارة والرقي في كثير من الدول الاسلامية ، حتى أنهم أقاموا الجسور على دجلة من الكتب الاسلامية التي وجدوها في مكتبات بغداد ، حتى أوقف هذا الاعصار المدمر القائد المسلم المظفر قطز في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ، كذلك منى المسلمون بتسع حملات صليبية وتمت تصفية هذا الغزو الصليبي في موقعة حطين على يد صلاح الدين الأيوبي ، وتم طردهم نهائيا على يد القائد المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ ، وعاد الغزو الصليبي كالذئب الجريح يجر أذيال الخيبة ، ولكنه دعم الاستعمار والحركات الصهيونية وحركات التبشير وغير ذلك من الحركات الهدامة التي اصطدم بها الاسلام في الماضي ، ويلقى منها المسلمون القلق والمعاناة في الوقت الحاضر .

ولكن لماذا انتصر المسلمون الأولون على كل القوى المعادية ، وهم لم يبلغوا ما بلغناه من أعداد بشرية وطاقات مادية ؟ ذلك لأنهم استجابوا لله وللرسول وواجهوا الأعداء بسلاح الايمان صفا واحدا ، وقلبا واحدا ، تحت لواء لاإله إلا الله محمد رسول الله ، كانوا أمة واحدة كما أرادها الله تعالى بقوله : **( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون )** . الأنبياء/ ٩٢

سدوا منافذ الفتنة وما سمحوا بثغرة في كيان الأمة تطل منها نار الفرقة ، بل استجابوا لقول الله تعالى : **( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين )** الأنفال/ ٤٦

وأبناء هذه الأمة وهم من سلالة هؤلاء الأبطال،أعدادهم البشرية بلغت الآن ألف مليون مسلم ، وامكاناتهم المادية يحسب لها الغرب والشرق ألف حساب ، ومع كل هذا أصبحوا موضع الأطماع والمساومات ، تتداعى عليهم أمم الكفر والالحاد كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، واستطاعوا أن يفرقوا

بين شعوب هده الأمة وحكامها ، ووضعوا لهم حدودا مصطنعة وقسموها إلى مناطق نفوذ بينهم ، وبالغزو الفكري شغلوا الناس عن دينهم وتراثهم وأشعلوا حرب الشعارات الزائفة بين أبناء البلد الواحد ، وأصبحت الجماعة الواحدة طبقات متناحرة ، وكثير ممن كان يعتز بإسلامه أصبح يعلن في غير خجل أو حياء أنه يميني أو يساري أو تقدمي أو رجعي ، وارتدت الأسلحة الموجهة للأعداء إلى صدور الأشقاء ، وأخذ بعضهم برقاب بعض ، وباسم الجهاد الاسلامي المزيف غرر الأعداء ببعض الخونة ، فقاموا بتفجيرات مروعة راح ضحيتها كثير من الأبرياء ، وقد آن للأمة أن تتخذ من قرآنها منهجا يهديها السبيل ، ومنارات تضيء لها الطريق ، وأن تأخذ من تاريخ السلف دروس التضحية والبذل والعطاء في اطار التضامن الاسلامي والترابط الاخوي بحيث تنسى الأمة خلافاتها وتدفن خصوماتها لتسترد الكرامة السليبة ، وتحرر الأرض والمقدسات يوم تستجيب لقول الحق سبحانه : ( **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ) آل عمران/ ١٠٣ .

وإذا اقتصر التضامن الاسلامي على صب اللعنات ، فاللعنات لا تضر المعتدين أو على كلمات الأسى والحسرة ، فهذه الكلمات لا تفيد المنكوبين ، وليس التضامن بمظاهرات صاخبة أو مؤتمرات يقتصر دورها على توصيات وقرارات ثم لا تأخذ طريقها إلى التنفيذ .

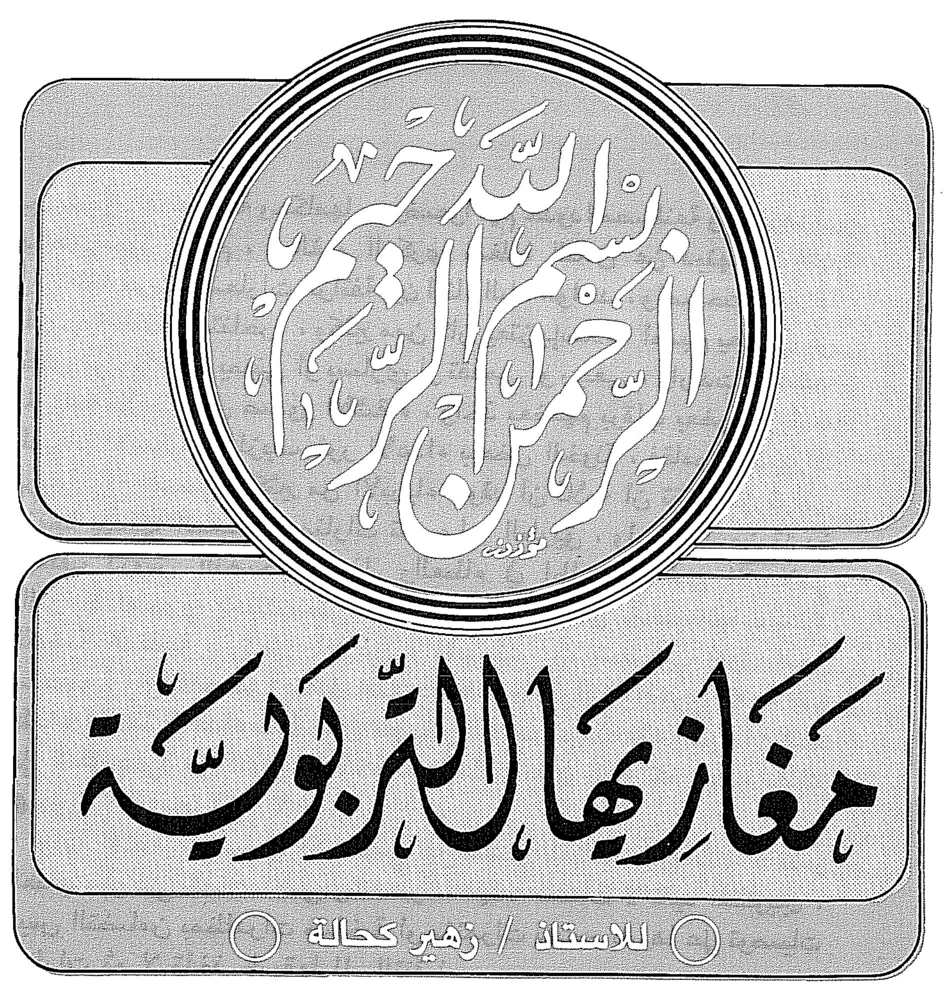
وإنما التضامن بالبذل والعطاء ، بالتحرك والعمل وترك الكلام والجدل ، ما دام الكلام لا يفيد مع عدو لا يعرف إلا منطق الحديد والنار ، وإن ظل المسلمون في معاناة الفرقة والتمزق والضياع فيوم الخلاص بعيد .

أما الاسلام فلا خوف عليه لأنه الدين المتين بفضل ما وهبه الله من قوة ذاتية أصيلة ، تكفّل الله بحفظه حتى تقوم الساعة :

( **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ) التوبة/ ٣٢ .

رئيس التحرير

حسن مناع




العمل هو المحور الاعظم الذي تدور حوله حياة الانسان . وبتعبير المربين الحياة كلها ميدان للنشاط الانساني . ولكي يتمكن الانسان من العمل ، لا بد له من قوة يستشعرها في جسمه وروحه ، في صغره وكبره . يقول الشيخ محمود شلتوت ان الانسان في هذه الحياة ، وفي كل مايزاوله من اعمال ، لفي حاجة الى قوتين ، يباشر باحداهما عمله ، ويقوي بالأخرى روحه المعنوية . وبغير القوة في جميع ميادينها - نفسية كانت أم حسية - لايتسنى عمل ، ولايتحقق إنجاز . لهذا نجد الانسان العامل محتاجا دائما الى قوة ينجز بها عمله ، ويعزز بها وجوده . من هنا جاءت رسالات السماء تدعو الى عمل العاملين « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » التوبة / ١٠٥ ومن هنا جاءت « بسم الله الرحمن الرحيم » تتصدر المصحف الشريف ، لتقرر الدور الوظيفي للكائن البشري على هذه الأرض . فهو انسان عامل لا خامل ، وهو انسان منجز لا عاجز . فليبدأ كل عمل له اذن باسم الله ، وليستمد كل قوة له من عند الله ، ولسوف تتغمده دوما رحمة الله ، وتغمره السعادة في دنياه وفي أخراه .

ان البسملة هنا تضعنا في اطار العقيدة الدينية منذ اللحظة الأولى ، لندرك أن الانسان المبتوت عن أسباب السماء ضعيف مهما طغى وتجبر ، والانسان المعتصم بحبل السماء قوى مهما جارت عليه صروف الدهر . ومن هنا تتجلى أهمية العقيدة الاسلامية التي تلتحم بها وتنبثق منها كل أنظمة الحياة ، كما تلتحم بالعمود الفقري وتنبثق منه سائر أجزاء الهيكل العظمي في الجسم البشري . وقد سارع القرآن ـ بالبسملة ـ الى تأكيد حقيقة العقيدة السماوية ، ومادام الأمر كذلك ، فلا بد إذن للمؤمن وهو يستمد قوته من عند الله أن يبدأ عمله بقوة ، كي يأتي الانجاز قويا . نرى مصداق ذلك في قول الله تبارك وتعالى مخاطبا موسى عليه السلام « **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة** » الاعراف / ١٤٥ وقوله تبارك وتعالى مخاطبا يحيى عليه السلام « **يايحيى خذ الكتاب بقوة** » مريم / ١٢ وقوله تبارك وتعالى مخاطبا بني اسرائيل عندما رفع فوقهم الطور « **خذوا ما آتيناكم بقوة** » الاعراف / ١٧١ وقوله تبارك وتعالى على لسان ذي القرنين عندما أمر ببيناء السد الشهير « **فأعينوني بقوة** » الكهف / ٩٥ لكن العمل القوي لابد له ـ كما يقول العلماء ـ من قوة نزوعية تحركه ، او مايعبر عنه بالارادة ، وان اختلف العلماء في منبع الارادة وباعثها الأساسي . وقد بين حجة الاسلام ، الامام الغزالي ، ان الارادة القوية عند المؤمن السالك تستمد قوتها قبل كل شيء من قوة الايمان بالله . فبقدر ما يكون الايمان قويا تكون الارادة قوية .. فاذا ضعف الايمان ضعفت الارادة . واذا انعدم الايمان بالمرة انعدمت الارادة بالكلية . لهذا يقول رحمه الله « والمانع من السلوك عدم الارادة . والمانع من الارادة عدم الايمان » وهذا يعيدنا من جديد الى اطار العقيدة الدينية الذي وضعتنا فيه البسملة الشريفة منذ البداية . والى هذه النتيجة العامة ينتهي المربون اليوم ، حيث يؤكدون ان الارادة تستمد قوتها المحركة من طاقات العناصر الثلاثة التالية ـ **الاعتقادية ، والعاطفية ، والتبصيرية** ... » فالاعتقاد يدفع الانسان الى السلوك بموجبه . والعاطفة الأخلاقية تدفع الى الالتزام بالفضائل الأخلاقية . وكذلك البصيرة بقيمة الأخلاق وغايتها السامية تجذب الانسان الى ممارسة تلك القيم ... وكلما كانت تلك الطاقات المحركة قوية كان اندفاع الانسان الارادي الى تنفيذ الأعمال قويا أيضا .. » مما سبق نستطيع استجلاء المغازي التربوية ل « **بسم الله الرحمن الرحيم** » ـ

**أولا** ـ ان العملية التربوية ـ وهي عملية صياغة الانسان ـ ينبغي ان تبدأ باسم الله ، اول ماتبدأ ـ حتى تكون ربانية التصور ، ربانية الغاية ، ربانية الوسيلة ، ربانية الأداء ، لتحقق هدفها ، وتفرز الجيل الرباني الجدير ـ وحده ـ بخلافة الله في الأرض . وهذا بالتالي يؤكد الأهمية القصوى لكون المعلم ربانيا ، يستمد أصل منهجه التربوي من كتاب الله الكريم ، كيما يؤثر في طلابه ويجعلهم مثله ربانيين ، عملا بقول الله تبارك وتعالى « **كونوا ربانيين بما كنتم تُعلِّمون الكتاب و بما كنتم تدرُسون** » آل عمران / ٧٩ .

**ثانيا** ـ على المربي أن يجعل البسملة شعاره الدائم ، يتوج بها أقواله وأفعاله ، ويحلي بها أوراقه ودفاتره ، ويرصّع بها ألواحه ووسائله ، ليتأسى به المتربون في كل المواقف . ولا يكتفي المربي من البسملة بالمظهر دون الجوهر ، ويقنع بالشكل دون المحتوى ، بل يضرب بنفسه المثل على ارتباط المسلم بخالقه في كل مجال من مجالات النمو ، وفي كل ممارسة من ممارسات الحياة ، بل وفي كل هاجسة في مجال الفكر ، وفي كل نشاط في مجال العمل .

ويثابر على تذكير المتربين بمضمون البسملة ، ماستطاع الى ذلك سبيلا ، ليجعل الأرضية الايمانية لاتصالهم بالله عريضة واسعة بحيث تغطي كل مساحات النشاط الانساني . وينتج عن ذلك أن يأتي سلوك المتربين في جميع الميادين سلوكا مستقيما ، بعيداً عن القبلية والتعصب ، خالصا من الحمية والتحزب ، متوجها دائما نحو الخير ، متجانفا دائما عن الشر . قال صلى الله عليه وسلم « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم وهذا الناتج السلوكي هو الهدف الذي عملت لأجله كل رسالات السماء ، واستطاعت تحقيقه تربية الاسلام على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي شهد القرآن بتربيته لأصحابه ، ومنحهم عليها وسام الخيرية من دون الأمم . قال تعالى « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » آل عمران / ١١٠ وبهذا تتجلى فائدة البسملة في الناحيتين ـ **في تقوية الروح على عمل الخير ، وفي صرف النفس عن عمل الشر** . وهذا أسمى مايتصور من شعار يتخذ عنوانا لأمة من الأمم » .

ثالثا ـ ينبغي للمربين ان يكسبوا المتربين ارادة قوية كي يضمنوا لهم قوة نزوعية محركة مشحونة بطاقات العناصر الثلاثة الاعتقادية والعاطفية والتبصيرية . ومن الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك مايسميه علماء النفس بالوسائل النفسية الشعورية الايحائية ... كقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما » واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » رواه أحمد وبهذا يشعر المتربي ، بالايحاء ان قوة ارادته من قوة الله ، وفلاح عمله من معونة الله ، كما تتولد في نفسه أحاسيس العزة المستمدة من عزة الله ، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » المنافقون / ٨ وقد رغب الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، المؤمنين في أن يكونوا اقوياء بقوله « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم كما استعاذ من العجز والكسل فقال « اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل » . وهكذا تتولد في نفس المتربين قوة طبيعية نابعة من قوة روحية هي قوة الايمان بالله ، اي بتعبير آخر تتضاعف قوة الانسان، باللجوء الى الله وحده دون سواه مصداقا لقول الله تبارك وتعالى « **ويزدكم قوة الى قوتكم** » هود / ٥٢ .

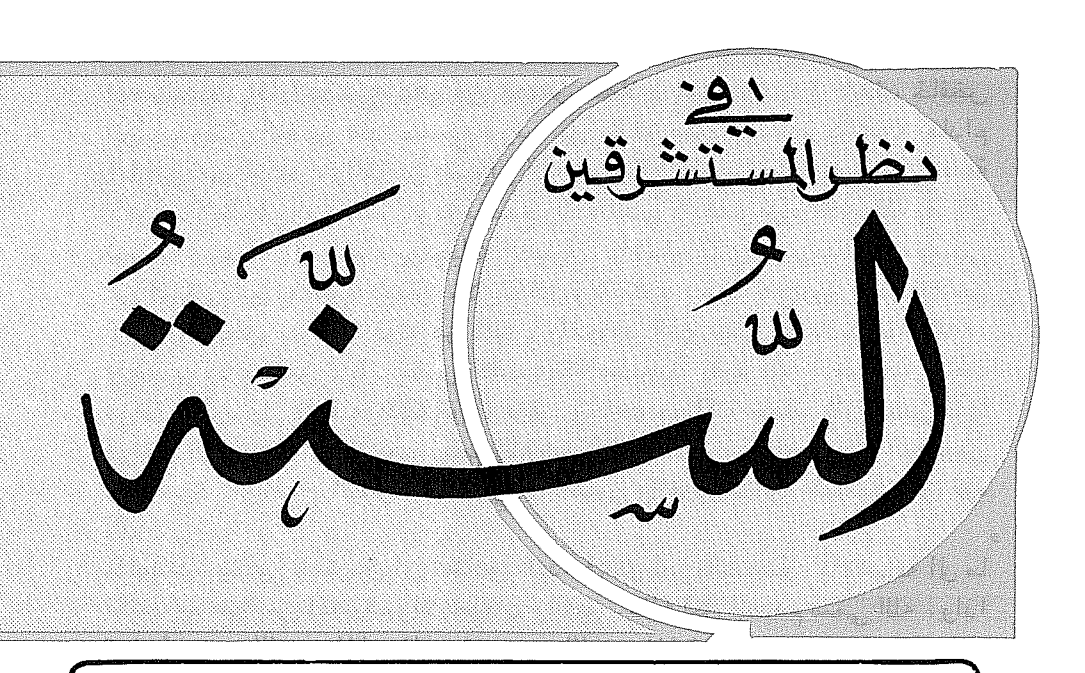
**رابعا** ـ ينبغي للمربين أن يعودوا المتربين على ان يبدأوا أعمالهم بقوة ، في كل موقف تعليمي تعلمي ، خلال تربيتهم النظامية ، ليعتادوا ذلك في كل موقف حياتي ، خلال تربيتهم الذاتية المستمرة . فالطالب الذي يعد واجباته اعدادا جيدا لينال محبة الله ، عملا بقول الله تعالى « **إن الذين آمنوا وعملوا**

**الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا** » الكهف / ٣٠ لايقف خافض الرأس وآنِيَ النفس عند تسميع درسه بل يتدفق بقوة ويتحدر كالشلال مادام شاعرا بمحبة الله ، واثقا من رضوان الله . والوالد الذي يؤمن بربه ويصلي طاعة لأمره . لايتلجلج او ينكسر ، وهو ينصح والده الذي لا يصلي بل ينطلق بثقة وقوة في نصحه ودعوته الى القيام بواجباته الدينية . والإمام الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، من منطلق الايمان ، لا يتخاذل ولا يتقزّم ، خوفا على رزق او دفعا لأجل بل يَهْدِ بالحق مستمدا قوته من الله . والمجاهد الذي يقاتل لاعلاء كلمة الله لايتهرب ولايتطامن ، بل ينقض كالصاعقة مشحونا بقوة الله . من هنا جاءت مواقف الرسول كلها مواقف قوة وعزة . وجاءت مواقف خلفائه الراشدين كلها مواقف قوة وعزة . وانكسرت بحمد الله شوكة القياصرة ، وتهاوى بعون الله عرش الأكاسرة ، وانداح التيار الاسلامي في الشرق والغرب بالقوة المستمدة من قوة الله .

**خامسا** ـ ينبغي للمتربين ان يعتادوا البدء في كل أمر بالبسملة ، بالاضافة الى ما اكتسبوه منها من المعارف والاتجاهات والقيم . فاذا أكل أحدهم سمى الله ، واذا توضأ سمى الله ، واذا دخل بيته سمى الله ، واذا ذبح سمى الله ، واذا عاهد سمى الله ، واذا رقد سمى الله ، واذا دعا سمى الله ، واذا رتل سمى الله يقول الإمام القرطبي رحمه الله « معنى قوله بسم الله يعني بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته .... وهذا تعليم من الله تبارك وتعالى عباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها ، حتى يكون الافتتاح ببركة الله عز وجل » . ويقول الامام ابن كثير . فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله ، تبركا وتيمنا ، واستعانة على الإتمام والتقبل » وهذا من شأنه أن يرسخ ويوسع القاعدة الإيمانية في نفس المسلم ، فتبقى على صلتها الدائمة بالرحمن ، وتنجو النفس من كيد الشيطان . قال صلى الله عليه وسلم « اذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله ، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله ، فليقل بسم الله على أوله وآخره » رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل الرجل بيته فذكر تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان لأصحابه لامبيت لكم ولا عشاء » رواه مسلم .

**سادسا** ـ ان العملية التربوية ـ كما يوحي ذكر الرحمة المؤكدة في البسملة الشريفة ـ ينبغي ان تنطلق ، بعد العقيدة والايمان ، من منطلق الرحمة والاحسان . فالمربي لايفلح أبدا إن لجأ الى العنف والضرب والظلم والعدوان .

**سابعا** ـ مادامت تربية الاسلام تتخذ شعارا لها « **بسم الله الرحمن الرحيم** » فالمنفعلون بالعمليةالتربوية متعرضون حتما لنفحات هذه البسملة الشريفة ، لما تحويه من الأسرار الجلية والخفية فالبسملة تحوي اسم الذات ، واسم الصفات .. فهي إذن تتضمن كل ماجاء من عند الله تبارك وتعالى وهذا يحدونا ان نعتز بانتمائنا الى هذا الدين ، ونقبل على تحمل مسؤولياتنا بثقة ويقين وبذلك نتخلص من ( عقدة الأجنبي ) التي غرسها فيناالإبعادنا عن منبع الخير فيحضارتنا

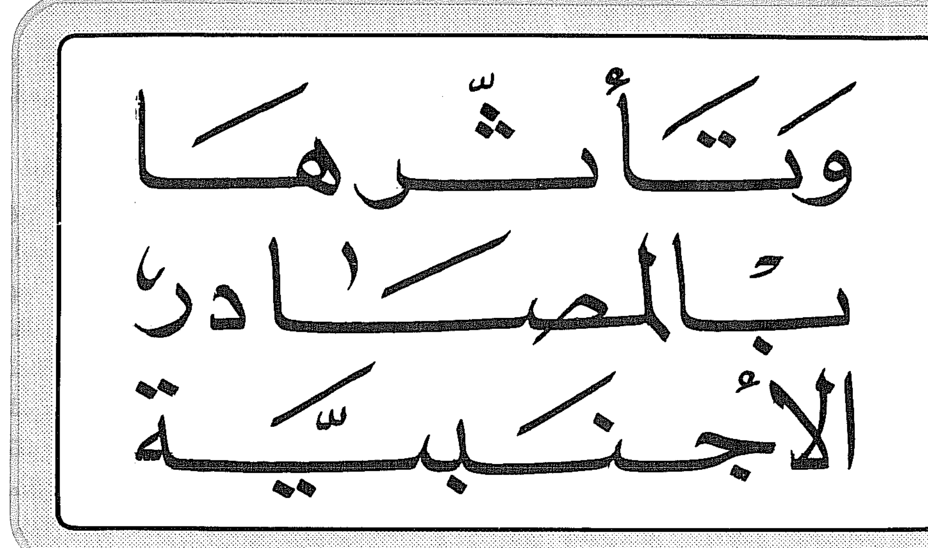



**حاول بعض المستشرقين تجريد السنة من تاثيرها وفعاليتها ، والتقليل من أهميتهاكمصدر تشريعي ثان بعد القرآن الكريم .**

وقد أخذت هذه المحاولة جوانب ابراز تأثر السنة بمصادر أجنبية من جانب وعدم كفايتها وقدرتها على اجابة التساؤلات والتحديات التي استجدت على مسيرة المسلمين من جانب آخر ، الأمر الذي اضطرها الى مسايرة الأحداث والتطور وفق ماتريده من مجريات تلك الأحداث والوقائع . فيرى أولئك المستشرقون ان السنة قد تطورت عما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وهذا التطور وليد احتكاكها بمصادر اجنبية من ناحية وقصورها عن استيعاب الاحداث المعاصرة والمستجدة من ناحية أخرى .

يقول جولد تسيهر « انه لم يندمج في الحديث أمور القانون والعادات . والعقائد والأفكار السياسية فحسب ، بل قد لف فيه كل ما يملكه الاسلام من محصوله الشخصي ، وكذلك الأمور الغريبة عنه ، وقد غير هذا الغريب المستعار تغييرا أبعده عن أصله المأخوذ منه ، وضم ذلك كله الى الاسلام » .

ولقد استهوى أولئك المستشرقين العرف والتقاليد وخلطوا بينها وبين السنة وراحوا يلبسون هذا بذاك حتى اصبح من الصعب التفرقة بينهما . فيزعم جولد تسيهر ان المسلمين استعملوا الأحاديث واولوها في ضوء العرف والتقاليد القائمة ، وسمح للعرف والتقاليد ان تحل محل الأحاديث . ويقول جولد تسيهر ايضا « ان المسلمين لما فتحوا هذه البلاد ، حكموها بما فيها من تقاليد وقوانين ، بعد ان حوروا هذه التقاليد




للدكتور/عجيل النشمي

والقوانين ، وأضافوا اليها من عندهم صبغة دينية ، ثم جعلوها أحاديث شريفة ونسبوها الى نبيهم » .

بل انه يذهب الى أبعد من هذا مبينا الى اي حد تأثرت السنة وتطورت تطورا أضاع معالمها فيقول : « هناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد ، وأقوال الربانيين أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة ، وتعاليم الفلسفة اليونانية ، وأقوال من حكم الفرس والهنود ، وكل ذلك أخذ مكانه في الاسلام عن طريق الحديث ، حتى لفظ ( أبونا ) لم يعدم مكانه في الحديث المعترف به ، وبهذا أصبحت ملكا خالصا للاسلام بطريق مباشر او غير مباشر ، تلك الأشياء البعيدة عنه » .

وأضافوا الى هذه الأسباب التي ادت الى تطور السنة ، الأوضاع السياسية التي واكبت الفتوحات الاسلامية والتي تمخضت عن سنة متطورة لاتمثل حصيلتها مايمكن نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وامام هذا الوضع الضعيف والمهلهل للسنة ـ في تصورهم ـ كان لابد لعلماء المسلمين ان يتخذوا موقفا جريئا ليجعلوا من السنة مصدرا قادرا على تلافي السلبيات وتخطي الصعاب وذلك انما يكون عن طريق الاستمداد من مصادر أجنبية وتطوير السنة باجتهاد أحكام تنسب الى السنة وهي ليست منها .

ولقد افتعل المستشرقون من أجل ذلك خصومة وهمية بين الفقهاء والسنة النبوية ، باعتبار ان السنة تمثل مرحلة تاريخية بسيطة ومطلوب

من الفقهاء أن يستنبطوا منها أحكاما لواقعهم المعقد .

فيقول : جولد تسيهر « وقد بذلت جهود كبيرة خلال المرحلة الأولى من مراحل نمو الشريعة الاسلامية ، لكي يتهيأ للفقهاء أن يحتفظوا بحرية النظر والاستعانة بالعقل والبصيرة النافذة في استنباط الأحكام الشرعية ، وذلك في الحالات التي تفتقر الى احاديث صحيحة يوثق بها ويمكن تطبيقها على هذه الحالات للفصل فيها ، أو اذا كان المتواتر منها ضعيفا مشتبها في صحته » ثم يضيف قائلا « وهكذا أصبحت الحاجة الى السنة في الاسلام عاطفة تقوم مقام غيرها ولم يكن للمؤمنين الأتقياء من هم سوى ان ينسجوا على منوالها ، وأن يسيروا على منهجها ، والا يعملوا الا ما أمرت به ، وأن يجتنبوا كل ما يناقضها ، بل كل ما لايصادف تأييدا منها . وقد اعتبر المسلمون ان كل ما خالف السنة او كل ما لا يتماثل معها تماما ، كما يذهب المتطرفون ، انما هو بدعة ، سواء أكانت المخالفة في المسائل الاعتقادية أم في أهون تفصيلات السلوك في الحياة العلمية . وبذا أنكر المتشددون كل فعل او قول مقطوع الصلة بسنن السلف الصالح ، أي انهم أنكروا كل بدعة في اية صورة كانت . ثم يبين أنه حتى الصحيح من السنة اصبح عقبة امام تطور الفقه فيقول : وقد سهل كثيرا من الوجهة النظرية أن يفرض المتشددون مثل هذه القيود التي لم يتشكك المسلمون في صحتها ووجاهتها ، ولكنها مع ذلك اصطدمت في كل ناحية من نواحي الحياة العملية بمقتضيات الواقع ، لأن تطور ظروف الحياة والتجارب التي اكتسبتها الأمم الاسلامية بفعل العوامل الجغرافية والتاريخية ، قد فرضت عليها أحوالا مغايرة لمقتضيات السنة وجرتها الى ملابسات تخالف تمام المخالفة أساليب الحياة والفكر في عهد الصحابة .

ثم يشير الى انتصار العوامل الداخلية من الاعراف والتقاليد والعوامل الخارجية على مقتضيات السنة الصحيحة فيقول : كما أن السوابق العديدة ، والمؤثرات الأجنبية التي أحاطت بالمسلمين ، حملتهم على ان يقوموا بهضمها وتمثيلها وصهرها ، هذه العوامل مجتمعة حتمت على المسلمين ان يبادروا بفتح ثغرة في حصن السنة المنيع ، حين تعذر عليهم أن يتقيدوا بالفكرة السنية المتشددة التي يعدونها المعيار الأوحد للحق والقانون ، وهكذا سلم المسلمون وعقدوا الصلح ، وهكذا انتهوا الى مفارقات دقيقة سهلت عليهم اقرار كثير من البدع التي فتحوا لها أبواب السنة على مصاريعها ، وقد وضع الفقهاء طائفة من النظريات بينوا فيها الحالات والظروف التي يستطيع المسلمون فيها ان يوافقوا على بدعة من البدع ، بل يعتبرونها بدعة حسنة ومحمودة ، وقد

وجد الفقهاء والمتكلمون في العصور الاسلامية المختلفة المجال واسعا للعمل في هذا المضمار بفضل ما امكنهم أن يظهروه من حذق بارع وبصيرة نافذة ، وظلت الأمور تجري على هذا المنوال الى وقتنا الحاضر .

ومن جانب آخر يحاول « شاخت » الطعن في حجية السنة وقدرتها على الوقوف كدليل لاستقاء المسلمين الأحكام الشرعية منه خصوصا في الاحكام التي لم ترد في القرآن الكريم أو التي هي من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم .

فيقول : « على أن جوانب هامة من التشريع الخاص بالعبادات كشعائر الصلاة مثلا ، لم ينظمها القرآن ، وانما احتذى فيها حذو النبي ( صلى الله عليه وسلم ) واهتدى فيها بهداه ، كما أن بعض الاحكام التي وضعها محمد ( صلى الله عليه وسلم ) لم ترد في القرآن ، وهي عادة قليلة الأهمية ، ولم تطبق تطبيقا عاما بالرغم من صدورها عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) . ثم يضيف قائلا : ومن أول الأمر لم توضع حجية النبي ( صلى الله عليه وسلم ) موضع الشك حتى في الأمور التي لم ينص عليها الكتاب ، ولكن في الوقت نفسه كانت افعاله تعتبر بشرية بحتة حتى ما مس منها أمور الدين ، فكانت بهذا لا تعتبر معصومة عن الخطأ . وقد نقدت هذه الأفعال أكثر من مرة ، وكان الكتاب نفسه يلومه أحيانا على بعض أفعاله ،

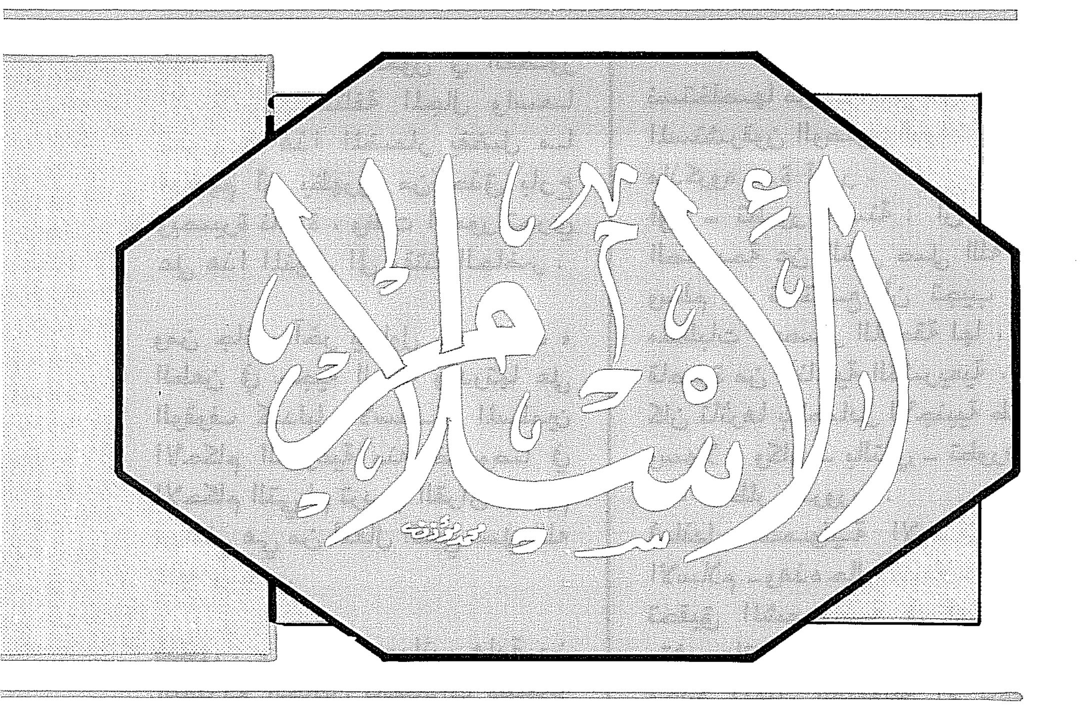
والنتيجة التي نستخلصها من هذا كله ، والتي يريد المستشرقون الوصول اليها ترتيبا على ماذكروه عدة أمور .

**أولا – تطور السنة** : ان السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تستطع أن تجيب على متطلبات العصور اللاحقة لها ، فهي قاصرة من الناحية التشريعية ، ولذا كان تأثرها بالمصادر الأجنبية طبيعيا وسهلا ، وكان – بالتالي – تطورها في هذا الاطار ضروريا .

**ثانيا – شمولية الاسلام** : أن الاسلام – وهذه حال السنة – لا يمكنه تحقيق الشمولية في احكامه وتشريعاته الخاصة ، لأن القرآن وحده لايمثل الشمولية الا باقتران السنة معه .

**ثالثا – استقلال السنة بالحكم** : وحجيتها فان السنة لا تستطيع – وتلك حالها – الاستقلال بالحكم الشرعي ، وان استقلت به فهو لا يمثل حكم الاسلام على سبيل الحتم . وكونها حجة أمر مشكوك فيه خصوصا أفعاله صلى الله عليه وسلم .

هذه القضايا الثلاث تحتاج منا الى توضيح وبيان مصحوبا برد موزون يأتي على تعديل ارائهم ومزاعمهم وتوجيهها بميزان علمي لا يبخسهم صواب ماعندهم ، كما انه يعطي للسنة المطهرة حقها ومكانتها كمصدر تشريعي ثان بعد القرآن الكريم – ولعلنا نتمكن من ذلك في مقال مستقل ان شاءالله تعالى .



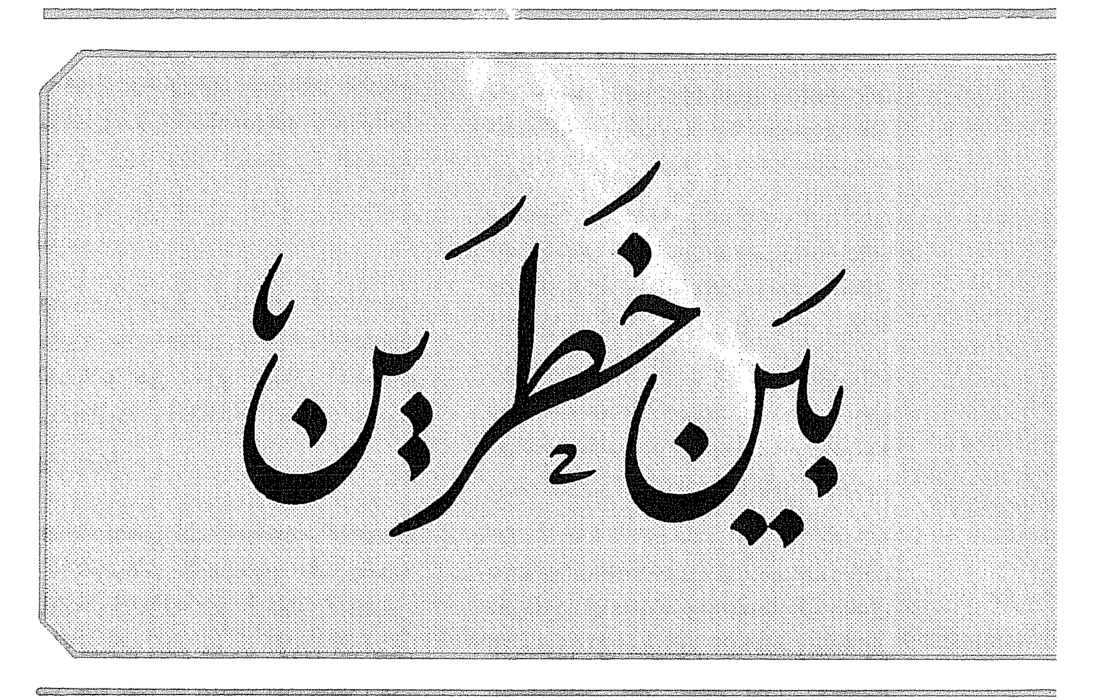

للدكتور / فؤاد محمد محمود العارضة

ازدهار الاسلام الحنيف بجهاد المسلمين المؤمنين :

تكون الأمة قوية متقدمة سعيدة بقدر مايخدمها ابناؤها ويعملون في سبيل رفعتها وعزتها وتقدمها . وتكون ضعيفة متخلفة شقية بقدر ما يتقاعس أبناؤها عن خدمتها وبنائها .

والمبادىء والأديان والمذاهب والقوانين تبقى حبرا على ورق مطوي في بطون الكتب والصحف حتى تجد أناسا صادقين مخلصين يحملونها في عقولهم وقلوبهم ويعملون بها في سلوكهم وحياتهم .

والاسلام الحنيف نزل من السماء نقيا طاهرا كما ينزل ماء المطر المقطر فتلقته عقول واعية وقلوب نقية وأياد بيضاء قوية فازدهر في أنحاء العالم وانتشر في أرجاء الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وعز وساد وقامت له دولة عظمى وحضارة انسانية روحية مادية مباركة على أيدي مسلمين مؤمنين صادقين أخذوا بتعاليمه السمحة ومبادئه السامية من توحيد وصلاة وصوم وزكاة وحج وتحلوا بمكارم أخلاقه وآدابه العالية من صدق وأمانة وتواضع وتضحية وايثار وجهاد بالمال والنفس واعتصام بحبل




الله وتعاون واتحاد على غرس الخير واجتثاث الشر وما الى ذلك من جميل الخصال وكريم الفعال . فقد كانوا مثالا يحتذى وقدوة صالحة وصورة مشرقة مشرفة للاسلام الصحيح والايمان الصادق . وبذلك رغبوا الناس في الاسلام وجذبوهم الى الدخول فيه زرافات ووحدانا كما ان اعداءه الأجانب هابوا الاسلام والمسلمين ورغبوا عن غزو ديارهم وبقيت ديار الاسلام هكذا مشرقة الشمس ساطعة البدر ومخصبة مثمرة ومنيعة الحمى مابقي المسلمون ولاسيما العرب منهم معتصمين بحبل الله جميعا ومستضيئين ليل نهار بنور كتاب الله وسنة رسوله كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « **تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض** » رواه الحاكم .

### كسوف شمس الاسلام في عهود المسلمين الفاسدين ماضيا وحاضرا :

ولما آل أمر الاسلام والمسلمين الى مسلمين تحللوا من مبادىء الاسلام السامية وأخلاقه العظيمة وانحرفوا عن صراطه المستقيم ولم يبق لهم من الاسلام الصحيح الا مجرد الاسم واللفظ والشكل ضعفت الدولة العربية الاسلامية وانحلت وانقسمت الى دويلات وشعوب وأوطان عديدة ضعيفة وبذلك صار المسلمون مستضعفين وفقراء وعاجزين عن

حماية انفسهم فطمع فيهم الاعداء الطامعون وغـزوهم في عقر دارهم واستعمروهم واستعبدوهم ولم يألوا جهدا في هدم منار الحضارة العربية الاسلامية واطفـاء انوار الاسـلام الحنيف .

وهكـذا لـولا اولئـك المسلمـون الادعياء لما تمكن اعداء العروبـة والاسـلام من غزو ديـار الاسلام واستعمارها واقتطاع اجزاء عزيزة غالية منها .

وذلك يعني ان المسلمين البعيدين عن الاسـلام الصحيح بفـروضـه ومبادئه وأخلاقه هم الخطر الحقيقي على الاسلام وهم عدوه الاول الداخلي وألف عدو خارج البيت اقل خطرا من عدو واحد داخله فعن طريقهم ومن خلالهم دخل اعداء الاسلام الأجانب من مغول وصليبيين قدامى ومحدثين وصهاينة ديـار الاسلام وانتهكـوا حرماته واعتدوا على مقدساته .

## تشخيص داء العـالـم الاسلامي :

وما أشبه اليوم بالأمس نرى العالم العربي وهو قلب العالم الاسلامي وصورة مصغرة صادقة لـه يغص بعرب مسلمين لا يدل على انتماء معظمهم الى الاسلام الصحيح الا شهادات الميلاد .

وكيف يعتبرون مسلمين مؤمنين وهم قلمـا يصلون ويصـومون ويـزكون ويحجون وان صلوا وصاموا وحجوا لم تثمـر عبـادتهم ولم تنههم عن الفحشاء والمنكر ، ولا جـدوى من صلاة لاتنهي صاحبها عن المعصية والرذيلة . وهم لا يتورعون عن اتباع اهـوائهم وشهـواتهـم واقتـراف المحظورات والمحرمات ونبذ أخلاق الاسلام وآدابه والتحلل من مبادئه السامية ومثله العليا ولايستحيون من ذبح مصلحة العروبة والاسلام على مذابح مطامعهم وشهواتهم وأنانيتهم ومصالحهم الذاتية . ويتعاون بعضهم مع اعداء العـروبة والاسـلام من صهاينة ومستعمرين في أكثر من مجال مفرطين في دياره واراضيه في سبيل الوصول الى مآربهم الذاتية وغاياتهم الشخصية مع العلم بأن الاسلام الصحيح ينهاهم عن موالاة الأجنبي الذي يعادي الاسلام ويغتصب أرضا اسلامية اخرج اهلها منها مكرهين مرغمين وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى ( **لا ينهاكم الله عن الـذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انمـا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الـدين وأخـرجـوكم من ديـاركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ) . الممتحنة / ٨ ـ ٩ . ويدل ذلك على ان أهل الاسلام وجنده المخلصين وحمـاته الصـادقين هم المؤمنـون الصادقون الـذين حملوا الاسـلام بقيمه ومثله وأخـلاقه في عقـولهم وقلوبهم وتجلى في حياتهم وسلوكهم

قولا وعملاً وظاهرا وباطنا ونشروا اضـواءه في شتى انحاء العـالم وجاهدوا في سبيله بأموالهم وانفسهم وأقاموا له اعظم دولة وأرقى حضارة فيما مضى من الـزمـان . وأهلـه المخلصون اليوم هم الذين يؤدون فرائضه وشعائره كما ينبغي ويتحلون بفضائله وآدابه لسانا ويدا ومسلكا . ويجاهدون بكل طاقاتهم وامكاناتهم المـادية والمعنـوية في سبيـل عـزه وازدهـاره والحفـاظ عـلى آثـاره ومقدساته . وأهله وحمـاته الـذين يبددون ما غشيه في عصور الجهل والظلام من بدع وخرافات وضلالات ويجلون حقائقه النقية الناصعة .

والذي أثر على ازدهار الاسلام الحنيف الخالد وألقى ضبابا وغيوما على شمسه الساطعة وبدره المنير هو اختلاف المسلمين وانقسامهم الى شيع ومذاهب شتى في فهمه وتطبيقه . وعامل آخر كان له أثر كبير في موقف بعض المسلمين اليوم موقفا سلبيا واتهامه بالجمود ومجافاة روح العصر الحاضر والعلم الحديث هو جمود الكثير من علماء الـدين الاسلامي وقصورهم عن تفسيره تفسيرا يساير روح العصر ، ويعمل على توجيهها الوجهة الصحيحة ، فالعلم النـافع لايتناقض مع الدين بل يسعيان الى صنع الحياة الانسانية الطيبة الكريمة التي يسـودهـا التفـاهم والتـآخي والتعايش السلمي . فالدين يحث على العلم والعلم يدل على الدين كما يقول رسول الله محمد صلى اللـه عليه وسلم : « **من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة** » رواه ابو داود والترمذي .

لذلك كان العالم المستنير يعرف الله ويتقيه في حين ان الجاهل بعيد عن الله بجهله وعماه وفي ذلك يقول الله تعالى : ( **انمـا يخشى اللـه من عبـاده العلماء** ) فاطر ٢٨ . فالعلم جسم الحياة البشرية ومادتها والدين روحها وضميـرهـا وخلقـهـا . وواضـح انالانسان بلا ضمير ولا خلق يصير وحشا ضاريا وحيوانا سافلا . وتسود المجتمـع البشري شـريعة الغـاب والعدوان والتسلط .

وأهـل الاسـلام المخلصـون الصادقون أولئك المسلمون الـذين تراهم اسوة حسنة لغيرهم في التمسك بالاسلام الحنيف والعمل بسنة الله وشريعتـه ويكونـون صـورة اسلامية مشرقة جذابة . والنـاس يتأثرون بالقدوة الطيبة أكثر ممـا يتأثرون بالمواعظ والنصائح وينظرون الى الاديان والمذاهب من خلال اهلها وأصحـابهـا بـأخـلاقهم وأفعـالهم وأحوالهم . أما أولئك المسلمون اسما ولفظا فقط ولا يدل على انتسابهم الى الاسلام الا البطاقـات الشخصية ويهدرون مبادىء الاسلام السامية وأخـلاقـه العظيمـة في أفعـالهم وتصرفاتهم ويهملون فروضه وأركانه وواجباته فهم الخطر الحقيقي على الاسلام الصحيح وعدوه الداخـلي الفعلي .

ومن اعـدائه الخطـرين أولئـك المسلمـون الـذين يسيئـون فهمـه وتفسيره وتطبيقه ويشوهون صورته الحقيقية ويتفرقون شيعا واحـزابا

ومذاهب بعيدة عن نقائه وحقيقته الناصعة فهؤلاء الناس ليسوا من الاسلام في شيء كما يقول الله تبارك وتعالى : ( **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء** ) . الانعام ١٥٩ .

وأخطر على العروبة والاسلام من الاستعمار نفسه اولئك المسلمون الذين يتبنون افكار الاستعمار السامة ومخططاته الخبيثة ويروجون سياسته الاستعمارية اللئيمة قولا وعملا في ديار العروبة والاسلام مع العلم بأن الاستعمار يعتمد في نجاح سياسته الاستعمارية الماكرة في أي مكان على وجود اعوان وعملاء له فيه كما يعتمد التاجر - في ترويج بضاعته على توفر زبائن وعملاء له في السوق .

وأخطر على العروبة والاسلام من العدو الأجنبي الخارجي أولئك الجواسيس والعملاء الذين ينقلون للعدو الصهيوني وحليفه الاستعمار الغربي اخبار بلادهم العربية الاسلامية . والخيانة والعمالة داء وبيل في جسم الامة والوطن وثغرات وفتحات في الجدار ينفذ منها العدو الى قلب الدار وداخل البيت .

وكذلك المسلمون الذين لايهتمون بأمر بلادهم ولايشاركون في خدمة الامة وبناء الوطن واعلاء كلمة الله يعتبرون سلبيين ومتخاذلين والسلبي رديف الهدام والمتخاذل اخو الخائن . ولم لا نقول ان المواطن السلبي المتخاذل نقطة ضعف وثغرة في الجبهة والصف . وذلك يغري العدو الخارجي بالتسلل الى القلب والداخل . وذلك يدعو الى القول بأنه ماقصم ظهر الامة مثل ابنائها المتخلفين عن رعايتها وخدمتها . والمسلم الذي لايبالي بأمر امته ودينه يبرأ الاسلام منه كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( **من اصبح وهمه غير الله فليس من الله ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم** » رواه الحاكم عن ابن مسعود .

والخطر الحقيقي على العروبة والاسلام يأتي من الذين يشقون بنيان الاسلام المرصوص ويخرجون على وحدة الامة ويعيثون في أرض المسلمين فسادا وفوضى ويشعلون نار الفتنة والشر . فهذا المفسد الناشز والعضو الفاسد تقتضي المصلحة العامة بتره عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « **انه ستكون هنات وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان** » . رواه مسلم والنسائي . وفي الاخرة يصلي نار جهنم كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله لايجمع امتي على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ الى النار** » . رواه الترمذي عن ابن عمر .

وكذلك الذين يروجون الرذيلة والفاحشة والذين يرون المنكر ولا يحاولون تغييره بأيديهم او السنتهم او قلوبهم مع العلم بأن استئصال الداء وهو في المهد وقتل الثعبان وهو فرخ وإطفاء النار وهي شرارة من الايمان بالله وفرض اسلامي كما يقول خاتم الانبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام : « **من رأي منكم منكرا**

**فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان** » . رواه احمد .

ولاريب في ان اتخاذ مواقف اللامبالاة والسلبية والتعامي ازاء اعراض الفساد والمنكر والمرض في المجتمع يجعله مريضا عليلا ضعيفا متخلفا فيقع فريسة سهلة في يد العدو الطامع . وببتر العضو الفاسد وقطع الفرع المسوس المصاب وتقليم الشجرة تظل الشجرة مورقة مزهرة وارفة الظلال طيبة الثمار وسليمة الجذع والساق اصلها ثابت وفرعها في السماء . والمنافقون المتملقون الذين في قلوبهم مرض ويتسترون بالاسلام ويقولون مايفعلون ويظهرون خلاف مايبطنون اشد خطرا على الاسلام من اعدائه المعروفين المكشوفين .

ويضر الاسلام والمسلمين اكثر مما يضرهم العدو الاجنبي اولئك المسلمون الذين نراهم اسودا كاسرة على بعضهم وعلى بني قومهم ودينهم ، وأرانب مذعورة امام عدوهم وعدو امتهم ودينهم متنكرين بذلك لقوله تعالى : ( **محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم** ) الفتح ٢٩ فهم كما قال شاعرنا العربي معروف الرصافي :

كلاب للأجانب هم ولكن
على أبناء جلدتهم أسود

والقادة المسئولون الذين يبتعدون عن طريق الشورى والحرية ويسلكون طريق الاستبداد والحكم الفردي والارهاب اعداء حقيقيون للاسلام الصحيح الذي يقوم على اساس الشورى والحرية المهذبة المنظمة كما يقول الله عز وجل : ( **وأمرهم شورى بينهم** ) الشورى ٣٨ فالحكم الشورى الديمقراطي خير وأقوى وأبقى وأهدى سبيلا من الحكم الفردي وفي ظل الحكم الشوري الصحيح يتجلى مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص وينعم المواطن بحقه في الحياة الحرة الكريمة وتبرز الكفاءات ويوضع الرجل المناسب في المكان المناسب وتسند الأمور الى أهلها ويقود السفينة ربانها ، ومن سمات الحكم الشورى حرية الكلمة والحركة في نطاق المصلحة العامة ـ هذا والعمالقة الكبار الطاهرون يفتحون عقولهم وقلوبهم وأسماعهم لكلمة الحق وصوت النقد الايجابي البناء ويشكرون من يبين لهم أخطاءهم وعيوبهم .

وفي طليعة هؤلاء الكبار العظام الانقياء خليفة رسول الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال في هذا الصدد : « رحم الله انسانا اهدى الينا عيوبنا » وقال لمن قال كلمة حق : لاخير فيكم ان لم تقولوها ، ولاخير فينا ان لم نسمعها » .

أما الاقزام الصغار الادعياء فيصمون اسماعهم وعقولهم عن كلمة الحق ويغلقون ابصارهم وعيونهم دون اهل الحق والصدق ويخشون النور والضياء وحرية الكلمة والحركة كما تخشى الوطاويط نور النهار وضوء الشمس ويفضى بهم هذا الطريق الى صحاري التيه والضلال والضياع ومهاوي الردى والهلاك .

ولقد علمتنا الحياة ان حكم الفرد المستبد قصير العمر كعمر الفرد وان حكم الجماعة القائم على الشورى كعمر الشعب ، كما علمتنا الحياة ايضا ان نظام الحكم مرآة للشعب وافراز له . فالشعب الحر الصالح يكون نظام حكمه حرا صالحا مثله . والشعب المريض الفاسد يكون نظام حكمه مريضا فاسدا مثله . كما جاء في الاثر « كما تكونون كذلك يؤمر عليكم » . والشعب هو الذي يرفع منار الحرية والشورى والحياة الحرة الكريمة بعلمه ووعيه وايمانه وعزته وشجاعته وهو الذي يصنع القيود والاغلال في يديه ورجليه وعنقه ويربط لسانه ويكم فمه ويطفىء النور في بيته بجهله ونفاقه وتخاذله . والطغاة المستبدون لا يتفرعنون الا في البيئات الموبوءة بداء الجبن والتملق والتخاذل . والمظلمة بظلمات الجهل والضلال والعمى . وفي ذلك قال احد الشعراء الحكماء :

من يلم نيرون اني لائم
أمة لو كهرته ارتد كهرا
كل قوم خالفوا نيرونهم
قيصر قيل له او قيل كسرى

وهكذا تثمر شجرة العلم والايمان ومكارم الاخلاق العزة والسيادة وحياة الحرية والشورى وتثمر شجرة الجهل والنفاق والتخاذل والفساد الذل والعبودية والاستبداد .

ومنبت الحرية والعزة النفوس والعقول والقلوب ولاجدوى من تحطيم قيود الاعناق والايدي والارجل وسجون الاجسام مادامت العقول والنفوس مقيدة مستعبدة والارواح سجينة والمكان الضيق يراه الحر الكريم رحبا واسعا في رحاب الحرية والاستقلال والعدل والكرامة والمكان الواسع يراه ضيقا في ظل العبودية والاستبداد والظلم والحياة في ذاتها جميلة حلوة وواسعة رحبة ولكنها تصير قبيحة مرة وضيقة بأهل السوء والشر والباطل كما يقول احمد شوقي :

ولم تضق الحياة بهم ولكن
زحام السوء ضيقها مجالا

والخطر الحقيقي على العروبة والاسلام يأتي من المسلمين الكسالى الخاملين الذين لايعملون ولا يتحركون ولايسهمون في اصلاح المجتمع وبناء الوطن . ومثلهم المتخاذلون الجبناء الذين يرون العدو الاجنبي ينتهك حرمات الاسلام ويعتدي على مقدساته ولاينهضون لحمايتها وتخليصها منه .

ويضعف المجتمع الاسلامي ويعود القهقري بالمسلمين الذين تراهم امعات يقلدون غيرهم وبخاصة الغربيون تقليدا اعمى في الصواب والخطأ وفي الصالح والفاسد فلا ترى لهم زيا خاصا بهم ولا ترى اتجاها ثابتا معينا لهم تتقاذفهم تيارات الصرعات والتقليعات كما تتقاذف الرياح الورق والريش . أما المسلمون الذين يتمتعون بشخصيات حرة مستقلة قوية ويثقون بأنفسهم فهم القادرون على النهوض بالاسلام واعزازه واعلاء شأنه ونشر أنواره في

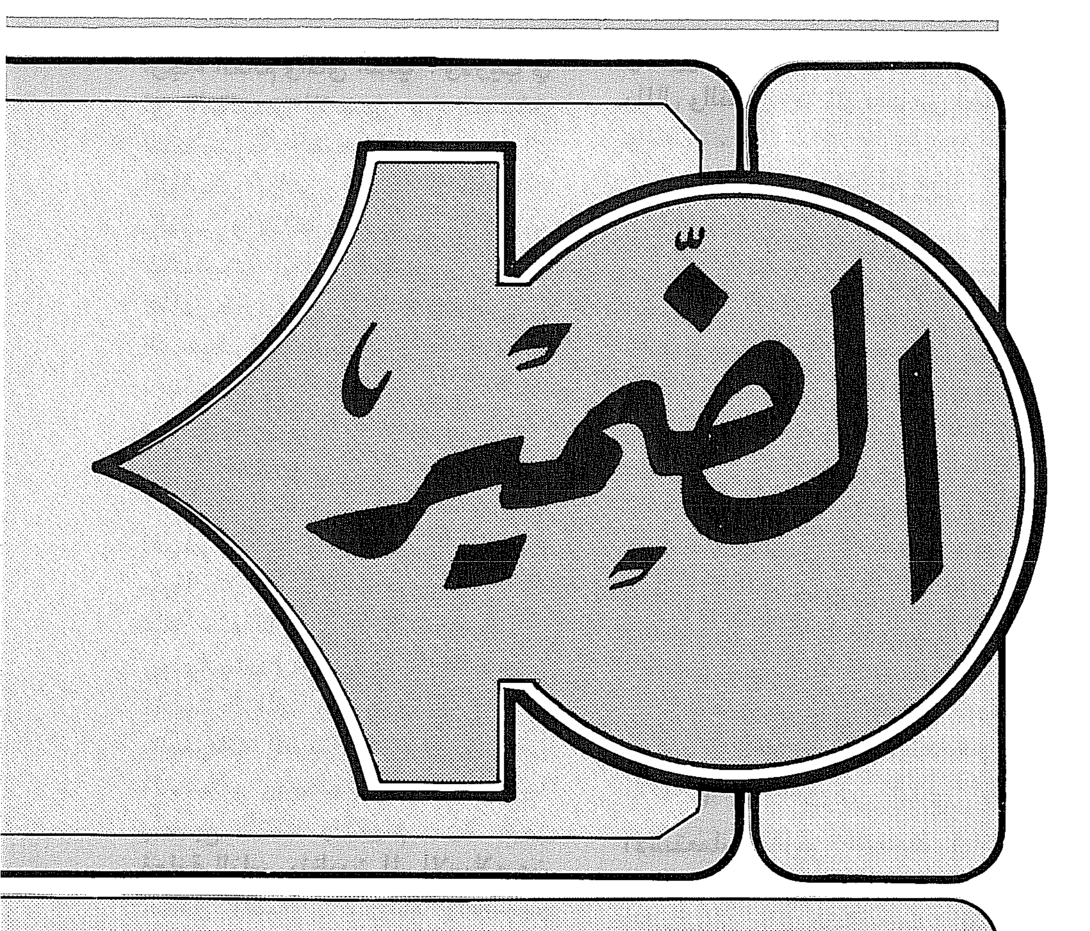
أرجاء العالم وآفاق الدنيا . ولاريب في ان التقليد الاعمى من سمات الشخصية الضعيفة في حين ان التقليد الواعي المبصر والاعتداد بالنفس والابتكار والابداع من علائم الشخصية القوية القادرة . والقوي القادر خير واحب الى الله والناس من الضعيف العاجز كما يقول رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم .

وكم يسيء الى الاسلام الحنيف ذلك المسلم الذي يكون صورة مشوهة سيئة للاسلام الصحيح سواء كان عالما متهتكا او جاهلا متنسكا او رجعيا جامدا او منحرفا منحلا . فهذا المسلم الزائف ينفر باخلاقه وافعاله وتصرفاته السيئة غير المسلمين من الاسلام ويجعلهم يشيرون اليه بأصبع الشك والاتهام . ولا غرو فعامة الناس ينظرون الى الاسلام من خلال اهله بأقوالهم وأفعالهم وبأوضاعهم وأحوالهم . وفي هذا الصدد قال الامام على بن ابي طالب كرم الله وجهه : « قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك » .

وهكذا تبين لنا ان اشد خطر واجه الاسلام ومازال يواجهه اولئك المسلمون المنصرفون عن كتاب الله وسنة رسوله ويهملون فرائضه وأركانه وأحكامه من صلاة وزكاة وحج ويتحللون من مثله العليا وقواعد سلوكه ومكارم اخلاقه من صدق وأمانة ورحمة ومحبة وعدالة وشجاعة وتعاون واتحاد وتضحية وايثار وجهاد بالمال والنفس وما الى ذلك من فضائل واخلاق .

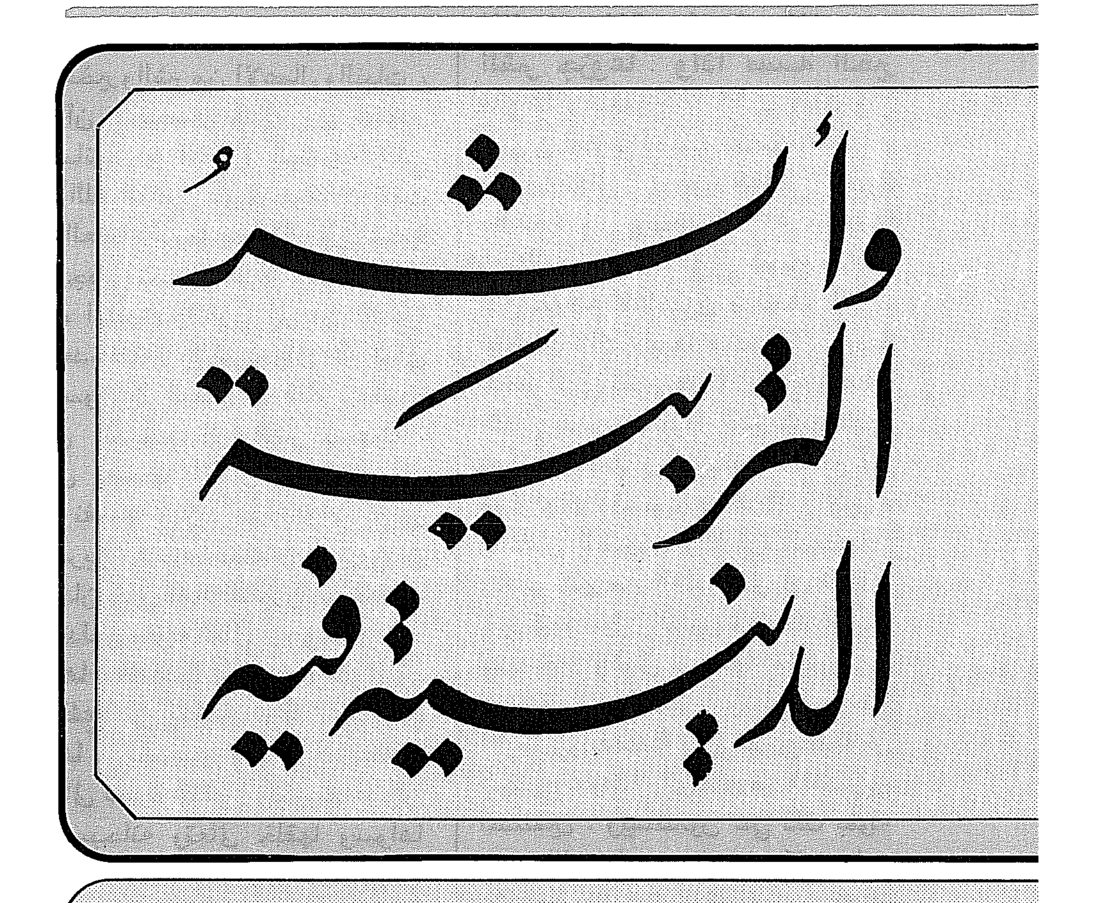
## الاسلام بين نارين

وتبين لنا ايضا ان الاسلام الحنيف واقع بين خطرين اولهما داخلي يتمثل في المسلمين الذين يهملون فرائضه وواجباته ومبادئه ومكارم اخلاقه ، وثانيهما خارجي يتمثل في غير المسلمين الذين يحاولون تشويه وجه الاسلام الحقيقي السمح المشرق وطمس معالمه وهدم مناره . ولاشك في ان نجاح العدو الخارجي يتوقف اولا وأخيرا على وجود العدو الداخلي . ونعرف ان ضعف المسلمين وانحلالهم بسبب تفرقهم وانقسامهم على انفسهم لابتعادهم عن الاسلام الصحيح هو الذي اطمع الاستعمار الغربي الحديث في غزو العالم الاسلامي واستعماره ومكن الاستيطان الصهيوني من اقتطاع فلسطين وأراض عربية اخرى من جسم العالم الاسلامي واقامة اسرائيل على انقاض عرب فلسطين ، وما كان للاستعمار الغربي السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والعسكري ان ينجح في ديار العروبة والاسلام لولا وجود مسلمين يتبنون نظرياته وأفكاره واتجاهاته ويتعهدون مناهجه ومخططاته ومشروعاته الخبيثة بالنشر والتنفيذ




تتردد كثيرا كلمة الضمير على السنة الناس على مختلف طبقاتهم ، ومع اختلاف مستوياتهم ، ويعطون « الضمير » مكانا مرموقا ، وكثيرا ما يحتكمون الى « الضمير » ويجعلونه ميزانا للاعمال ، ومهيمنا على التصرفات ، وباعثا على السلوك ، ومراقبا للامور والتحركات ، ومقررا للخير والشر ، والحلال والحرام ، وكثيرا ما يستعمل الناس سلاح الضمير لوصم الاخرين بفقدانه ، أو انحرافه ، أو موته وحياته ، أو قوته وضعفه ، ويلصقونه بهم : مدحا أو ذما ، ثناء أو قدحا ، اعجابا وتقديرا أو استهزاء وسخرية ، ويقولون فلان ذو ضمير ، وفلان فاقد الضمير ، وكأن الضمير له سلطان على البشرية جمعاء .

ولا يقتصر الامر على المستوى الفردي او الاجتماعي بل يتعداه الى المستوى العالمي ويشمل التاريخ القديم والحديث ، ويعم الحاضر والمستقبل ، وتعلو الاصوات الى مناشدة الآخرين بالضمير ،




للدكتور / محمد الزحيلي

ويطالبونهم بمقتضى ضمائرهم القيام بعمل او الامتناع عن غيره ، وتتردد على الأسماع الضمير العالمي ، وتأنيب الضمير ، ومناشدة الضمير ، والاحتكام الى الضمير ، وغير ذلك من الشعارات التي تصدر عن جميع الناس مع اختلاف مشاربهم ومللهم ، وتعدد اديانهم ومذاهبهم ، وتفاوت لغاتهم واجناسهم .

فما هو معنى الضمير ؟ وما هو أساسه ؟ وما هي الدعائم والركائز التي يعتمد عليها ؟ وهل هو وهم وخيال ، أو حقيقة وواقع ؟ وهل يشترك الناس فعلا بالضمير ؟ وهل يتأثر بغيره ؟ ويتعرض للوهن والضعف والمرض والموت ؟ وما هو أثر الدين في تربية الضمير الحي ، أو الضمير السليم ، او الضمير الصحيح ؟

فالضمير حال للنفس تحكم بوساطتها على الخير والشر من الاعمال والنيات ، أي أن الضمير جزء من النفس الانسانية او الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها ، وقد اختلفت آراء العلماء قديما وحديثا حول الفطرة التي جبل الانسان عليها ، فذهب أكثر علماء الشرق والغرب الى ان الفطرة مستعدة للخير والشر ، وأن الله تعالى لم يسو بين الناس في ذلك ، فتميل بعض الطبائع الى الشر بسهولة ، ويميل بعضها الآخر الى الخير من تلقاء نفسها ويؤيد هذا الرأي بعض المفسرين وعلماء المسلمين ، ويرون ان الانسان خلق قابلا للخير وقابلا للشر ، ويستدلون بقوله تعالى : « **ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها** » الشمس / ٧ ـ ١٠ فالآية تنبه الى فطرة النفس وتكوينها ، وان الله سبحانه وتعالى خلقها وسواها واوجدها منطلقا للخير والشر ، وركب معها العقل الذي حمله المسؤولية ، وجعله مناط التكليف ليقود هذه النفس الى التقوى والفلاح ، ويجنبها الشر والفجور والفساد ، لأن القرآن الكريم نسب الفعلين « زكى ، دس » الى الانسان ، واستدلوا ايضا بقوله تعالى : « **وهديناه النجدين** » البلد / ١٠ ، وقوله تعالى : « **إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا.انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** » الانسان / ٢ و ٣ ، ويؤكدون ذلك بنص صريح في قوله تعالى : « **إن الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا** » المعارج / ١٩ ـ ٢١ ، وأن القرآن الكريم يصف النفس بالسوء ، فيقول تعالى : « **إن النفس لأمارة بالسوء** » يوسف / ٥٣ ، ويقول تعالى : « **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » الحشر / ٩ ، فالنفس ذات طبيعة مزدوجة ، طبيعة الخير الذي تقدر على الارتفاع فيه الى اقصى مداه ، وطبيعة الشر الذي تهبط به الى الحضيض ، ويكون الضمير على هذا الرأي مقصودا به الجانب الاول ، والنفس الخيرة ، والفطرة السليمة . وذهب كثير من العلماء الى ان الفطرة خير كلها ، وان النفس الانسانية وعاء لكل خير وكمال ، وانها مفطورة في اصلها على الخير ، ومطبوعة على الايمان والفضيلة وان الشر يأتيها من الخارج ، وهذا رأي كثير من المفسرين المسلمين ، ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » رواه البخاري . كما استدلوا بالحديث القدسي : « واني خلقت عبادي حنفاء كلهم .. وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا » رواه مسلم من حديث طويل ج ع ص٢١٩٧ فالله خلق الناس على الفطرة والخلقة السليمة ، وفيها الاستعداد للتوحيد وقبول الدين ، والتحلي بالحق ، والبعد عن الباطل ، والتمييز بين الخير

والشر ، والخطأ والصواب ، وقال اصحاب هذا الرأي عن القول الاول ان الله غرس في كل نفس منذ تكوينها في عالم الاجنة غرائز ونزعات وميولا ضرورية للانسان ، ليصدر عنها كل خير ، فاذا صدر عنها شر او باطل ، فليس ذلك في طبيعة خلقتها ، ولم تودع الغريزة في النفس لذلك ، فالرذيلة لا تصدر عن النفس لذاتها ، وانما تصدر نتيجة عوامل اخرى خارجة عن الفطرة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « فاجتالتهم الشياطين » اي زحزحتهم وابعدتهم عن مقتضى الفطرة وبذلك يكون الضمير من الفطرة السليمة التي يعتمد عليها ، ويكون الضمير في هذا المعنى قدرا مشتركا بين الشعوب والامم في القديم والحديث ، وهو الصعيد المشترك بين الناس .

وقد جعلت الشريعة الغراء مكانا مرموقا للنفس ، وانها المنطلق في الايمان والاخلاق والعبادة ، وان النفس الباطنة هي المعيار في معرفة الخير والشر ، والتمييز بينهما ، وانها المراقب لاعمال الانسان ، والباعث له على الخير ، والوازع عن الشر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البر ما سكنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ، ولم يطمئن اليه القلب ، وان افتاك المفتون » رواه احمد ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس » رواه مسلم والترمذي والبخاري ، فهذه الاحاديث تحيل الانسان الى نفسه وقلبه وضميره ليحتكم اليه لتمييز الطيب من الخبيث ، والمباح من الحرام ، والجائز من الممنوع ، والفضيلة من الرذيلة ، وقد جمع فضائل الاخلاق والمكرمات بلفظ « البر » وجمع رذائل الاخلاق والمفاسد تحت عنوان « الاثم » ولذلك حرص الاسلام على تطهير النفس من امراضها ، لازالة الادران عنها ، لتبقى صافية نقية ، تسعى نحو الهدف الرفيع النبيل ، وحذرها من الغل والحقد والحسد وسوء الظن واليأس والخوف والسير وراء الشهوات ، والانغماس في حومة الشيطان وشركه ، ودعاها باستمرار الى التسامي بالقيم والتعالي عن صغائر الامور ، وسوء الاخلاق لترشد صاحبها الى كل فضيلة ، وتهديه الصراط السوي ، وتزيل عنه غشاوات الزيغ والباطل والانحراف ، وتنقذه من المهالك ، وتلبيه عند الشدائد وتعينه في جلاء الأمور .

**انشطة الضمير :**

ويؤدي الضمير عدة انشطة في مضمار السلوك والتوجيه والقيادة ، تبدأ من كشف الطريق امام صاحبه ، فيميز له بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والحسن والقبيح والنافع والضار ، والصحيح والخطأ ، والمستقيم والمعوج ، والصالح والطالح ، ويضع العلامات امامه ، ويرفع عنه التردد ، ويزيل له الغشاوة ، ثم ينتقل الضمير الى المرحلة الثانية وهي وظيفة الناصح

الامين ، والموجه القويم ، والباعث المحرك ، ليدفع صاحبه الى اتباع النهج السليم ، والسبيل المستقيم الذي كشفه له في المرحلة الاولى ويرغبه بذلك ويحذره من عكسه او التنكب عن جادة الصواب ، ولكن ليس للضمير سلطة القسر والقهر والاجبار ، وانما تبقى القيادة للارادة فان تصرف الانسان واتجه بارادته الى التنفيذ والتطبيق انتقل الضمير الى المرحلة الثالثة ، وهي ذات شقين ، فان اختار الفاعل البر والخير والنافع المفيد ابدى الضمير راحة قلبية وغبطة وسعادة ، وينعم على صاحبه طمأنينة كاملة ، وجعل الدنيا في عينيه جنة وارفة ، وثمارا يانعة ، ونورا وجمالا ، ويملأ القلب بالأمل والتفاؤل فان تكرر العمل مرات ومرات شحن صفحة المرء بالفضائل والمكرمات ، وكان في عداد الابراروالاخيار ، والمصلحين المتقين ، وان اختار الانسان الشر والاذى والضرر والفساد والرذيلة والفحشاء تحرك الضمير ضد صاحبه ، واعلن في وجهه الامتعاض والغضب ، ورفع امامه السوط والعقاب ، وبدأ بالتأنيب والتوبيخ ، وكأن النار تلتهب الفؤاد ، والرياح العاتية تعصف بالقلب ، وتحيط به من كل جانب ، ولا يستطيع الشخص الهرب والاختفاء ، ولا يمكنه الاستعانة او الاستغاثة ومهما حاول التخفيف عن نفسه ، بتسويغ الفعل او تعليله ، فان نار القلب تزداد اشتعالا ، وحريق الذات يزداد اضراما ، ولا يزال الضمير وراء صاحبه يضيق عليه الخناق فلا يجد مفرا الا باعلان الندم والتوبة ثم يدفعه الى الاعتراف الكامل بطريق ذاتي ، سواء توجهت اليه اصابع الاتهام ، ام ابتعدت عنه الشكوك ، وخفي عن الانظار وفي هذه المرحلة الثالثة يتبوأ الضمير مكانة القاضي العادل الذي يصدر الاحكام ثم ينفذها بنفسه ، فيقوم بتوزيع درجات الثواب او العقاب ، واوسمة الفخار او قرارات التأديب والانذار ، وكلمات الثناء والتشجيع او عبارات التوبيخ والتأنيب ، والرضى والمحبة لفعل الخير او للوم والتقريع والسخط على فعل الاثم والذنب .

**سلطة الضمير** :

وهكذا تظهر سلطة الضمير عند الناس ، لتتبوأ المكانة الاولى بين اجهزة التوجيه والمراقبة والبواعث والمحرمات والتشجيع والردع ، والتهذيب والتربية ، وتمتاز هذه السلطة بانها عامة مفروضة على بني الانسان ، بل مفطورة عندهم منذ التكوين الخلقي بدون تمييز بين شعب وشعب ، وامة واخرى ، وزمن دون آخر ومكان دون غيره ، ويتمتع به الاشخاص على جميع مستوياتهم ، لا فرق في ذلك بين سيد ومسود وغني وفقير ، وشاب وهرم ، وعالم وجاهل ، ويخترق جدران البيوت ، وينفذ الى سريرة الانسان ليفوق كل سلطان ، وينفع الفرد والمجتمع اضعافا مضاعفة عن سلطة الرهبة في القانون والشرطة والقضاء ، لان الشرور الباطنية والرذائل الخفية اضعاف مضاعفة عن الشرور الظاهرة ، وان

الهرب والانفلات من سلطة القانون والقضاء تنوف مئات المرات عن الهرب من رقابة الضمير ومحاسبة النفس التي يستحيل الاختفاء منها ، او طلب البراءة منها او انعدام الاثبات امامها . كما تمثل محكمة الضمير ومراقبته صورة سامية للانسانية الكاملة التي تدعو الى الفضيلة وتحث على تجنب الرذيلة بشعور ذاتي ، وباعث داخلي ، حبا في الاولى وبغضا في الثانية ، بينما تحط رقابة القانون والقضاء من قيمة الانسان لتجعله بالحيوان او العبد اشبه ، فلا يخاف الا من السوط ، ولا يتحرك الا بالعصا .

وان سلطة الضمير لا ينكر فوائدها انسان في القديم والحديث ، وفي كل آونة ، وهي الملاذ للبشرية من تخفيف الويلات ، وتقليل الشرور ، والحد من الجموح والشهوات لان تأنيب الضمير يلاحق المذنب والمسيء في الليل والنهار ، وخاصة في فترات الهدوء والراحة ، والعجز والشيخوخة كما يقول احد علماء الاخلاق : « انها تجلس في الليل الى جانب وسادته ، لتجعل نعاسه سلسلة اضطرابات ومفزعات ، فاذا استيقظ تولت تعذيبه بقسوة وبلا انقطاع ، وتتبعت خطواته حتى في ساعات العمل الشاغل ، وفي لحظات التسلية والسرور ، وان مثلها كمثل العثة تمزق اجزاء الفؤاد بلا شفقة ولا رحمة » .

## آفات الضمير وامراضه :

وهكذا يلازم الضمير صاحبه في رحلة الحياة ولا يموت الا بموته وفقد روحه ، وانتهاء اجله ، ويرافق الضمير الانسان ما دامت نبضاته تخفق ، ودمه يتدفق في عروقه ، ولكن عمل الضمير قد يخفت احيانا ويقل نشاطه وقد ينعدم بشكل مؤقت وقد يصمت الضمير احيانا اخرى ولكنه لا يسكت ويتحين الفرصة ليقوم بوظيفته ويؤدي واجبه ، وقد يوجه الضمير توجيها معينا فيتغير اتجاهه ، وينعكس عمله فيفقد اعتباره وهيبته ، ويخسر سلطته وسلطانه الى غير ذلك من الآفات والامراض التي تعرض له مع اختلاف الظروف والاحوال .

ويعود الامر في ذلك الى ان المبدع الخالق لم يخلق الانسان كالملائكة المفطورين على الخير والفضيلة ، وانما منحه الفطرة السليمة ثم تفضل عليه بنعمة الارادة التي يختار بسببها ما يشاء ، كما خلق فيه الشهوات والغرائز والميول والعواطف ، وكثيرا ما تتحرك هذه الشهوات والغرائز ، والميول والعواطف ، وتطالب صاحبها بتحقيق الرغبات المادية وتثور في وجه الضمير ، وقد تثير امامه الغشاوة والضجيج لتحول بينه وبين اداء وظيفته وتشل سلطته وسلطانه ،

وتدفع صاحبها الى تنازع داخلي ، وحرب باطنية تؤدي به الى التردد والشك ثم الضلال والضياع ، ثم الوقوع في حومة الرذيلة ، وفساد الاخلاق ، وسوء السلوك ، والايذاء للاخرين والالتصاق بالمستوى المادي والنزعة الحيوانية وفي ذات الوقت تحاول الشهوات ان تحجب الضمير عن الرؤية والمشاهد وتسكت صوته

الداخلي ، وتصم الاذنين عن التنبيه والتحذير .
وقد يفسد الضمير عن طريق التوبة الفاسدة فيصبح في الصف المقابل ، وينضم الى جنود الفساد والافساد ، وقد يخصص مجاله في اطار محدود ويحصر الخير والبر في اتجاه معين ليمقت ما وراءه ويستبيح كل شيء بعده ، ومثاله الجندي المستعمر الذي يحمل في جبينه المدنية والحضارة والرقي والتقدم ، والفضيلة وسائر الاخلاق ولكنه يقصر ذلك على وطنه وبني جنسه ، وفي حدود دولته فان توجه الى الاستعمار قام باعمال وحشية ، وتصرفات همجية فيقتل الابرياء ويعتدي على النساء ويبقر بطون الحبالى ويزهق ارواح الاطفال ويهلك الحرث والنسل ، ويفتخر بالغصب والنهب والسرقة والاحتيال والاجرام ، وهو مرتاح الضمير مرتفع الرأس يشمخ بانفه ويتباهى باعماله امام رؤسائه وقادته لتمطر عليه اوسمة الشجاعة والبطولة والاخلاص والتضحية ويرتقي في سلم الدرجات والوظائف والرتب .
ومثل ذلك الجلاد الذي يحمل السياط ، وقد لقبه بالمبادىء الباطلة والاخلاق الفاسدة والقيم المبتورة ثم يوجهه نحو الفريسة بهمة ونشاط ، وقوة وعزيمة ، وقد تخلى عن الانسانية وصار بالحيوان اشبه ، بل اصبح اشد من الحيوان واكثر بطشا وقسوة وقد يكون التوجيه والتربية نحو عواطف معينة لتسمو عاطفة على غيرها ، وتسيطر على صاحبها فيتصرف مع الاخرين بما يتفق مع غرائزه وعواطفه ولو ادى ذلك الى إتلاف املاكهم وسلب اعراضهم وغصب اموالهم ، والاعتداء على جميع القيم الفردية والاجتماعية والاخلاقية .
وهكذا يمرض الضمير ، وتعتريه الاوجاع والاسقام ، وقد تصل به الى الحضيض والموت وهذه نماذج من ذلك وهي ليست بالنادرة بل تتوفر في المجتمعات داخليا وخارجيا محليا ودوليا مما يؤكد حاجة الضمير للتربية والتوجيه ، ويدفع على البحث عن القيم والمبادىء التي تصلح الفاسد وتؤمن للضمير الوقاية الكافية لمنعه من الانحراف ، وحمايته من الامراض ، وتوجه سيره نحو الخير ، وتضمن فيه الجانب الايجابي ليبقى حيا على الدوام مهما اعتراه في الحياة وليقوم بوظيفته مهما علته الغشاوات ، ويفعل فعله في كل الحالات .
ولا نريد الخوض في تأثير المبادىء المتنوعة ومناقشة جدواها في تربية الضمير لنقرر ان خير علاج وخير دواء وخير تطعيم للوقاية هو الدين عامة ، والعقيدة والايمان الصحيح بالله خاصة ، والصلة مع الله والارتباط بالله ، ومراقبة الله تعالى بشكل اخص ، وهذا ما تمتاز به الشرائع السماوية والتربية الدينية على القوانين الوضعية والنظريات الفلسفية ، فالانسان المتدين يصدر في جميع اعماله عن طاعة الله ومرضاته ، ويسعى لتحقيق العبودية له ويقصد الاجر والثواب الالهي ، ويخاف من غضب الله تعالى ويخشى

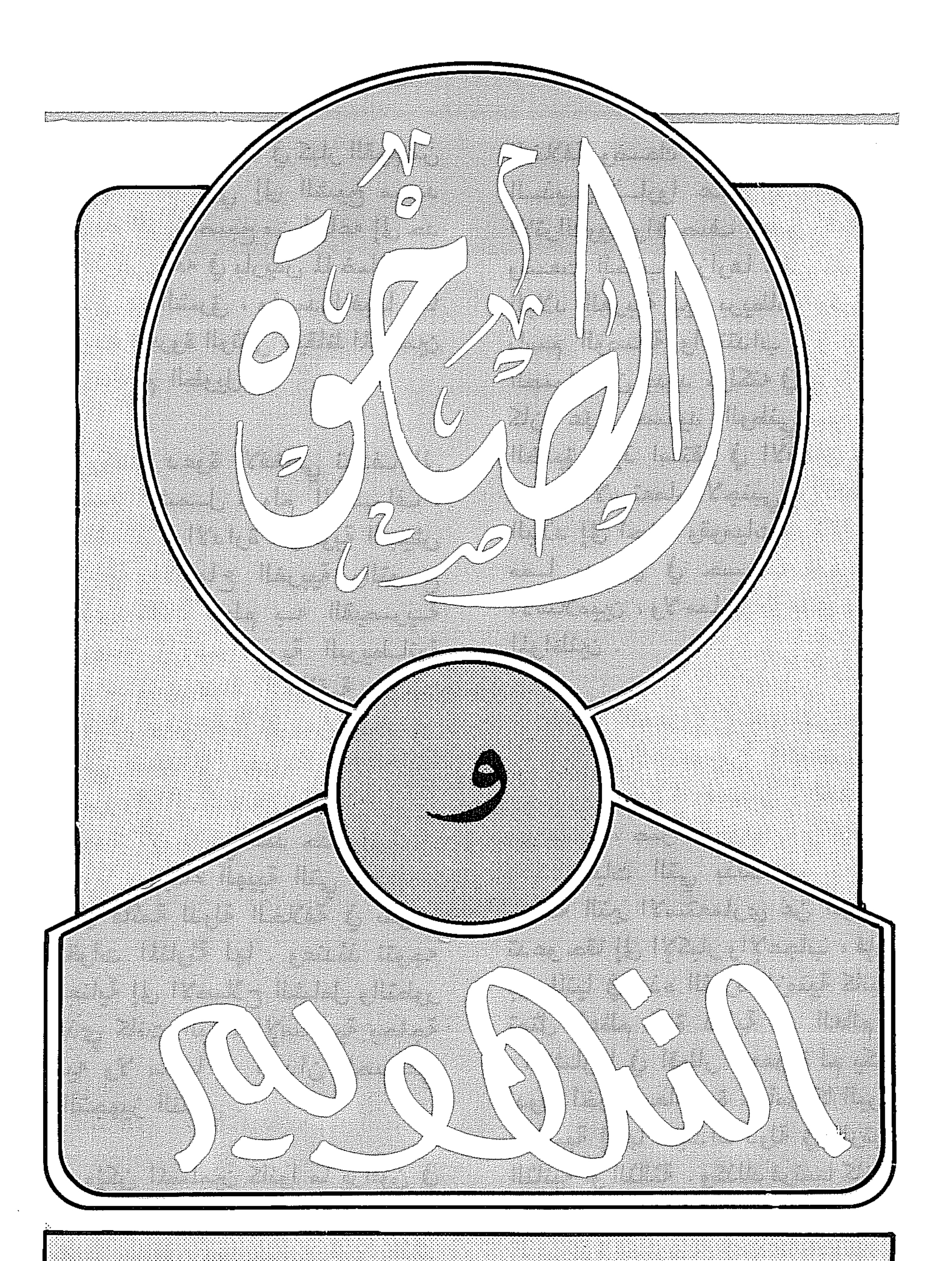
من انتقامه ويحذر بطشه ، ويحسب ان تدور عليه الدوائر فيراقب الله في اعماله وتصرفاته ويوقن ان الله معه ولو غفل الرقيب ، وان الله يسمعه ولو غاب الحارس ، او نام الشرطي قال تعالى : « **وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون** » الانفطار / ١٠ ـ ١٢ ويقول سبحانه وتعالى : « **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد . إذْ يتلقى المتلقيان ، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد** » ق / ١٦ ـ ١٨ ، فالملائكة تسجل على الانسان نتاج اعماله ، وتدونها في صحيفته التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة الا احصتها ، للسؤال عنها يوم القيامة ، والحساب بموجبها في المحكمة الربانية ، كما جاء في قوله تعالى « **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا** » الكهف / ٤٩ ، ولن يعدم هذا الانسان جزاء عمله مهما قل اوعظم وسواء كان خيرا ام شرا ، تطبيقا للمبدأ الالهي المعلن الصريح : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » الزلزلة / ٧و٨ وهذه التربية الدينية التي تقوم على الايمان بالله تعالى واستمرار مراقبته ، هي التي تسمو بالانسان الى اعلى درجات الرقي والكمال ، وهي التي دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم وحدد معيارها في الحديث الصحيح وسماها الاحسان فقال الاحسان « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه مسلم والبخاري وغيرهما عن ابي هريرة وقد اراد الاسلام تربية الضمير ، وتنمية نشاطه ، وحثه على توجيه صاحبه ، ومحاسبة نفسه لان الانسان ادرى الناس باعماله واعرفهم بتصرفاته واقربهم الى سلوكه وبواطنه : « **بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو القى معاذيره** » القيامة / ١٤ و ١٥ ودعا القران الكريم المؤمن الى مراجعة اعماله ثم يتجه الى الخير والبر والفضيلة ، وسمى القرآن هذه الحالة : « **بالنفس اللوامة** » فمدحها واثنى عليها واقسم بها فقال تعالى : « **ولا اقسم بالنفس اللوامة** » القيامة ٢ وان اعتراه تردد في أمر فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاحتكام لضميره ، وان يعامل الآخرين بما يحب ان يعاملوه ، وان يحب لهم ما يحب لنفسه ، وان يكره لهم ما يكره لنفسه فقال عليه الصلاة والسلام ( لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ) رواه البخاري ومسلم وقال ايضا « فمن احب ان يزحزح عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتأته منيته ، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذي يحب ان يأتوا اليه » رواه مسلم .




# أنا راضٍ!

للاستاذ محمود محمد بكر هلال

حطمت قلبي الهموم الثقال ... وتهاوت علي تلك الجبال !!
أيهذا الذي أراه رمادا ... كدر الماء وهو عذب زلال ؟؟
كنت أشقى ولا أحس شقاء ... في حياتي وليس يبدو كلال!!
أسهر الليل باحثا والليالي ... عند من يسهر الليالي طوال !!
والنهار الذي يضيق بسعي ... فيه للجهد والكفاح مجال
فحياتي جميعها للمعالي ... ولنيل العلا يطيب النضال !!
لم اذق راحة طوال حياتي ... وشكاتي من طول سيري محال !!
كل ما في الوجود عندي جميل ... والدميم القبيح فيه جمال !!
صنعة الله ذي الجلال تعالى ... إنه الخالق البديع الجلال !!
والرضا يملأ الفؤاد ونفسي ... كل آمالها الطريق الحلال !!
ما هفت للحرام أو قارفته ... إنه سبة وفيه الضلال !!
واستمرت حياتنا نصف قرن ... وهي للطهر والعفاف مثال
تقنع النفس بالقليل وترضى ... لم يصب وزنها الدقيق اختلال
أو تعق سيرنا شراك الأعادي ... لا . ولم يدن منا الخبال !!
راحة الناس دأبنا في صباح ... ومساء والمرء منا فعال !!
لكن الدهر قُلّبٌ وعجيب ... ودوامَ الصفاء شيء محال
بينما كنت راضيا في أمان ... وحياتي يضيء فيها الجمال
لست أبكي ولست أحكي وبيتي ... ليس فيه تذمر أو جدال !!
ساءني ما سمعته من حديث ... لو عرفنا أبعاده لا يقال !!
يزعمون الحياة فيما رأوه ... كلها متعة وجاه ومال !!!
أه من هذي المآسي وآه ... إنها اليأس والضنى والضلال
إنما جوهر الحياة ارتقاء ... واتقاء لربنا وابتهال
وامتناع عن الخنا وارتداع ... واقتناع برزقنا واحتمال
وارتفاع عن الدنايا وحب ... للبرايا له عليهم ظلال !!
فدعوني وما رسمت لسيري ... كل شيء سواه عندي خبال ؟
أنا راض بحكمه فهو ربي ... جل ربي له العلا والكمال
قدر الرزق وهو أدرى بحالي ... ليس في الرزق خدعة واحتيال !!!




# الصحوة والتفهيم

للاستاذ/ عبد الله كنون

بدأت الصحوة الاسلامية والتخطيط لها منذ أوائل القرن المنصرم، حين قام السيد جمال الدين الافغاني بدعوته الصارخة إلى إنقاذ الوضع المتردي وحفظ الكيان من الانهيار، وكان الافغاني رحمه الله ذا

شخصية قوية أثرت في كبار القوم من الخليفة العثماني إلى الشيخ محمد عبده ، الذي أصبح من أتباعه إلى حد أنه توطن معه في باريس لما ضاقت به السبل في الشرق ، وأصدرا فيها معا جريدة العروة الوثقى لإيقاظ المسلمين من نومهم الطويل .

وكانت دعوة الافغاني تهدف إلى جمع الشمل ، ولم الأطراف ، واستصلاح الادارة ، وتقوية الجيش لمواجهة الاطماع الغربية والتوسع الذي كانت تحلم به القيصرية الروسية والامبراطورية البريطانية على حساب دولة الخلافة وأرض الاسلام، وهي خطة كان من الممكن أن تعطي نتيجتها الفورية في حماية الثغور وايقاف العدوان الخارجي على الوجود الإسلامي عند حده في شرق أوروبا ، وبقاء الهيبة التي كانت ما تزال قائمة لدولة الخلافة في نفوس القوات المناوئة لها . وعندئذ تتوجه العناية إلى الاصلاح الشامل والتطور الذي كانت البلاد الإسلامية بحاجة إليه ولا سيما في الميدان الصناعي والتجهيز التقني .

ولكن المسلمين كانوا ما يزالون في نوم عميق ، ومن صحا منهم فإنه كان يهوم ويغفل عما تدبره قوى الشر للايقاع بهم ، فلم ينشب جمال الدين أن توفي ، وخبت تلك الشعلة وجرت حوادث جعلت الشيخ محمد عبده يتوجه إلى الاصلاح الديني ، وقامت الحرب العالمية الاولى وانكسرت دولة الخلافة وضحك الحلفاء على العرب الذين ثاروا على إخوانهم الاتراك ووقفوا في صف العدو ، فما أن وضعت الحرب أوزارها حتى قسمت البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا باسم الوصاية والانتداب ، وابتدأ الصراع من جديد ، ولكنه في هذه المرة كان على الصعيد الوطني بمعناه الضيق ، إذ استقر في الأذهان ، ما خططه الاستعمار الاجنبي من تقسيم البلاد إلى أجزاء وقوميات لم تكن قط مما يدخل في حساب الدعاة الاسلاميين ، ولا مما يخطر ببال عموم المواطنين .

وكان الصراع بين الزعماء الوطنيين والمستعمرين الأجانب في مصر وسوريا ولبنان والعراق وفلسطين ، صراعا مريرا ، والجهود والتضحيات التي بذلت في سبيل إزاحة النير الاستعماري عن الرقاب تدعو حقا إلى الإكبار والإعجاب ، فإن بريطانيا في هذه الفترة الزمنية كانت تمثل أعظم قوة دولية في العالم ، وانتشارها في أقطار المعمورة لم يكن لدولة أخرى معاصرة ، فأمريكا اليوم بالنسبة إليها حينذاك دولة في المرتبة الثانية أو الثالثة . وكذلك فرنسا كانت في أوج عظمتها ، وزادها الانتصار على ألمانيا قوة وغطرسة وإعتدادا بالنفس ، فوطدت أقدامها في المغرب العربي ، وبسطت سلطانها في الشرق على سوريا ولبنان ، هذا إضافة إلى تمكن روسيا الحمراء من تعزيز سيطرتها على الاقطار الاسلامية الاسيوية التي

كانت تناضل من أجل حريتها وتجد في الخلافة العثمانية عونا ونصيرا لها ومناوئا شديدا للقيصرية الروسية ، وإلى ظهور ايطاليا بصفة مستعمر جديد وتثبيت أقدامها في ليبيا .

فالواقع أن المعركة الوطنية بل المعارك التي تأججت نارها بين المناضلين في هذه البلاد والمستعمرين الغربيين كانت تنبعث من غيرة صادقة وجهاد مخلص وتحد للقوات الجهنمية التي تتوفر عليها الدول المستعمرة ، واستهانة بقدراتها ، على البطش والتدمير ، الأمر الذي ينبىء عن إيمان عميق وثقة بالنصر لاحد لها ، فالكفاح الوطني في هذه المدة يذكر ببطولات الاسلام في الصدر الأول والمجاهدين السابقين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

ومع أن الروح الدينية كانت تتجسد في هذه الحركة ، والزعماء الوطنيين كثيرا ما نادوا قومهم باسم الاسلام ، لا يستثنى من ذلك حتى مصطفى كمال الذي كثيرا ما كان يتزلف بالسيد أحمد السنوسي الزعيم الليبي المشهور ، فإن فكرة الوحدة الاسلامية أو الجامعة العربية أو إحياء الخلافة أو إنشاء اتحاد فيدرالي بين هذه البلاد التي كانت عند استعمارها دولة اسلامية واحدة لا تتجزأ ، لم تطرح على الصعيد الاسلامي ولا العربي بجد واهتمام من القادة والزعماء الوطنيين ، ولم يشتغل بها من الكتاب والمفكرين إلا قلة لم يكن لها تأثير يذكر في الرأي العام بالبلاد . بل على العكس أعجب الجميع بهذه القوميات الضيقة ، وصاروا يلتمسون لها الخصائص والمميزات ، وكانت النتيجة أن ذاق العرب أول هزيمة لهم في ميدان القتال ، وكانت على يد إسرائيل ، وكانوا هم سبع دول .

أجهضت الصحوة الثانية بهذه التهويمة الجديدة ، التي كانت نتيجة طبيعية لسيادة الخلاف وعدم توحيد الكلمة ، وتوهم أن تقوم للعرب أو للمسلمين دولة بغير الوحدة ورص الصف وإجتماع الرأي والوقوف في وجه التحديات موقفا لا يتزعزع ، بخطة محكمة وقيادة موحدة ، لا زعامات فيها ولا آراء متضاربة ، ولا غاية إلا إحراز الكيان وإثبات الحضور الإسلامي والعربي في الساحة الدولية ، الذي تتجاهله الدول الكبرى وتعمل على محوه من صحيفة الوجود .

نعم لقد اشترك الزعماء وقادة الفكر في العمل على قيام هذا الوضع وبقائه ، ثم لما اخفقت التجربة وفشلت المحاولات لفرض هذه الديموقراطية المزيفة ، بدأت الثورة عليها من الطرفين ونودي بالصحوة من جديد ، فأما الثائرون الجدد من الزعماء فادعوا أنهم إنما قاموا لتصحيح الأوضاع فكان أن تم على عهدهم ما نعاني منه الآن ،بدل أن يحرروا ما أعطته الامبريالية الغربية لاسرائيل

من أرض فلسطين العربية . وأما المفكرون فقلبوا ظهر المجن للحريات العامة والديمقراطية التي كانوا يتغنون بها ، وأصبحوا يتغزلون بالاشتراكية والشيوعية مولين الأدبار للإسلام والوحدة العربية ، وأوجدوا في المجتمع هُوى سحيقة من الشقاق والخلاف غبرت في وجه الخلافات السابقة وأدت إلى الاقتتال والتبعية المخزية لهذا المعسكر أو ذاك من كتلتي الشرق والغرب .

ولا ننسى أنه في هذه الأثناء أنشئت الجامعة العربية ، وهي مؤسسة للدول العربية لا وحدة عربية ولا إتحاد عربي ، وكأنها أقيمت على غرار منظمة الأمم للنظر في علاقات بعضها ببعض ، فالأساس وهو استقلال كل دولة محفوظ ، وإن قيل تعمل على تحقيق الوحدة العربية .

وأنشئت الأمانة العامة لمؤتمر القمة الإسلامية الذي انعقد على إثر إحراق اليهود للمسجد الأقصى ، وهي نسخة طبق الأصل من الجامعة العربية ، إلا أنها بطبيعة الحال أوسع دائرة وأكثر جمعا ، وكان المفروض أن يكون على رأسها أحد ملوك المسلمين أو رؤسائهم ، يتداولونها بالانتخاب لمدة معينة ، ليعطوها قوة ولتكون تمهيدا لقيام الولايات المتحدة الإسلامية ، أو دولة الخلافة الراشدة ـ ولكنها أسندت لموظف لتبقى الأمور على ما هي عليه أو لتسوء أكثر ، والله أعلم .

ولا ننكر أن تحركات هامة للمؤسستين كان لها تأثير محسوس على مجريات الأحداث في الأمم المتحدة وفي الرأي العام الدولي ، مثل الاعتراف بمنظمة التحرير بقيادة الأخ ياسر عرفات ممثلا وحيدا لفلسطين الذي ترتب عليه استقبال عرفات في المنتظم الدولي بحفاوة بالغة كرئيس دولة حيث ألقى خطابه التاريخي الذي استاء منه ممثل الولايات المتحدة وقال : إن حادثا مثل هذا يقع في مجتمع دولي لما يؤسف له . وصدر بعد ذلك تصريح البندقية الذي ظهر فيه تغيير كبير في موقف الدول الأوروبية ازاء قضية فلسطين والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ، التي كانت أكثرية هذه الدول تستنكرها . وجاءت قمة الطائف فيما بعد ، وكان يقدر لها أن تهز الكيان الصهيوني هزا عنيفا وتجعل المتآمرين معه يراجعون بصيرتهم؛ ولا سيما وقد جرت جلسة الافتتاح في حرم الله وبجانب الكعبة المشرّفة ، مما جعل لها وقعا مؤثرا في نفوس جميع مسلمي العالم .

ولكن البداية كانت على غير ما يرام ، فقد أعلن من أول وهلة أن القمة ليست ضد أحد ، وأنها لا تهدد مصلحة أي كان ، فتبين للصديق والعدو معا أن طبيعتها لا تختلف عما تقدمها من القمم ، وكذلك كان ، فلم يصدر عنها ما يعتبر جديدا في المواقف التي اتخذت من قبل ، وإن كان الوضع قد بلغ من التدهور ما لم يسبق له مثيل .

إننا لا نتجاوز الواقع إذا قلنا أن التهويم يلازم صحوتنا في الماضي

والحاضر ، ولا أدل على ذلك مما نتتايع (التتأيع بالياء المثناة . التمادي في الشر) فيه يوما بعد يوم من ظروف سيئة وأوضاع خطيرة ، حتى وصلنا إلى حالة من الذل والهوان تتمثل في :

١ ) تحكم اليهود في المسلمين بالقتل والتشريد ونهب أموالهم ومصادرة أراضيهم وانتهاك حرماتهم ومقدساتهم والتشهير بهم في العالم حتى أصبحوا مضغة في الأفواه . فقد قرأت في صحف الهند أكثر من مرة أن الهندوس يعيرون مواطنيهم المسلمين بغلبة اليهود ، وإذا كان هذا ما يقال في الشرق ففي الغرب إعجاب بشجاعة اليهود وعبقريتهم واحتقار للعرب والمسلمين وهزء بهم . إن هذا شيء لم يقع في التاريخ قط ولم يكن في الحسبان أن يقع أبدا .

٢ ) عودة الدول الاستعمارية إلى احتلال أراضي العرب والمسلمين فالامريكان والانجليز والفرنسيس والطليان الآن في لبنان ، والروس في الافغان ، ومن المحتمل جدا أن يسيحوا في طول البلاد وعرضها .( لا قدر الله ) .

٣ ) اقتتال المسلمين ومناجزة بعضهم لبعض في إيران والعراق ، وفي لبنان يقتتل العرب مسلمين ومسيحيين ، ويتعاون بعضهم مع العدو الإسرائيلي ، ويعمل البعض على تصفية المقاومة الفلسطينية ، بتقسيمها وتسليط بعضها على بعض،

ليت شعري أي عصر هذا الذي نعيشه ؟ وماذا يكون حكم التاريخ علينا ؟ وهل يدري حكام المسلمين أنهم يكتبون تاريخا لا أظن أن ثمة تاريخا أسود منه ؟

مع هذا هل يقال إن عندنا صحوة ؟

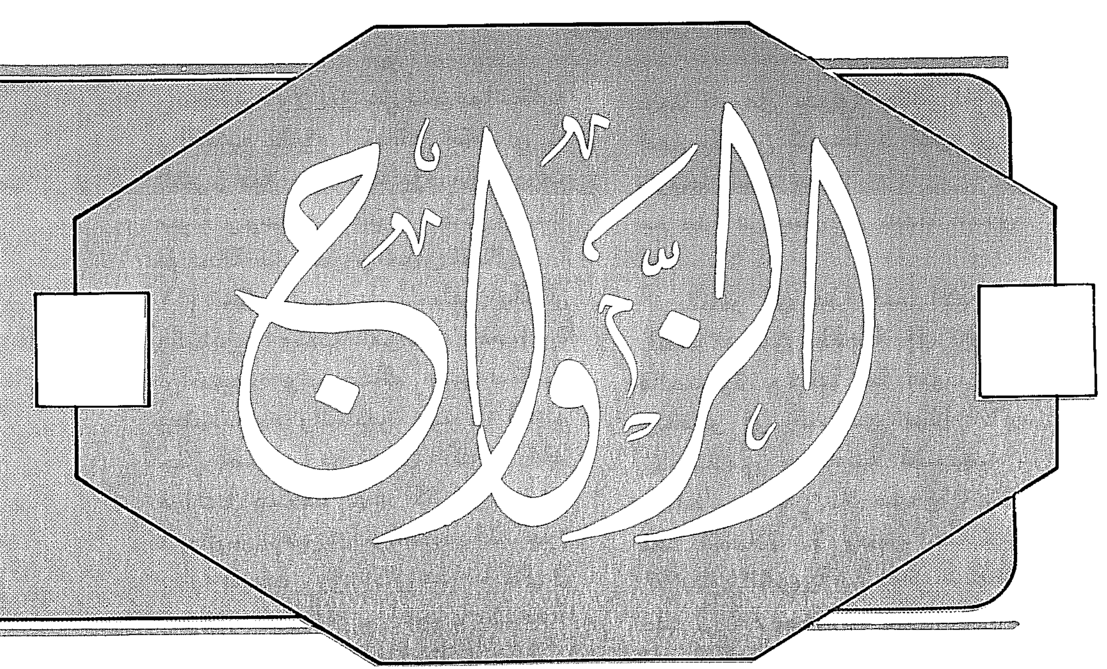
نعم ، ولا .

بالنظر إلى هذا المد الإسلامي الصاعد من طنجة إلى جاكرطا فالصحوة حقيقة ما فيها شك . وبالنظر إلى التصدي لهذا الاتجاه الإسلامي ومحاولة تشويهه من الداخل والخارج فلا صحوة ، إلا أن تعد الصلاة بلا وضوء صلاة ، أو الأعمال التنموية بلا عقيدة نهضة ، ذلك أن الصحوة إنما تكون بالتخطيط لها ، والتخطيط إنما يكون بالتعاون ، وأن توجد بين الحاكم والمحكوم هوة فلا تعاون ولا تخطيط ولا صحوة .

وبالنظر إلى هذه المؤتمرات العديدة التي تعقد على مدار السنة في مختلف البلاد الإسلامية بصدد النهوض والتضامن ورد الفعل على التحديات التي تواجهها أمتنا من الشرق والغرب على حد السواء ، هناك صحوة لا تعدو هذه المؤتمرات أن تكون مظهرا لها ، وبالنظر إلى الولاء الذي يكنه كثير من القادة إلى هذا المعسكر أو ذاك عن حسن نية وسوء تقدير . لأننا لانتهم أحدا في إخلاصه لبلده فلا نقول غير ذلك،لا صحوة ولا ما ينسجم معها ، وبيانات هذه المؤتمرات تؤكد ذلك .

والخلاصة أن التهويم الذي يلازم الصحوة يجعلها صحوة الثمل ، وماذا يؤمل من مهوم لا انتباه له ولا تركيز ؟

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .




الحمدلله ولا معبود بحق سواه .
وبعد : فيقول الله تعالى « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » سورة الروم آية ٢١ .

وقد شرع الله الزواج لان فيه المحبة والشفقة والاستقرار وهدوء البال كما أنه الوسيلة الطبيعية السليمة الحكيمة لبقاء النوع واستمرار الحياة وبناء الأسرة في ظل الأبوين اللذين يقومان برعايتها والحدب عليها حتى تصير دعامة صالحة لبناء المجتمع المتماسك الصالح وجاءت الآية السابقة في معرض الدلالة على كمال قدرة الله تعالى وكمال رحمته بعباده ومن علامات ربوبيته ووحدانيته ورحمته ان خلق النساء ليسكن اليهن الرجال ، جعل بينهما الميل الطبيعي وهيأ لكل منهما ما يمكنه من أداء وظيفته تحقيقا للحكمة ، وسبحان الخالق المنعم الوهاب عظيم الرحمة بالعباد . ولهذا كان الإعراض عن الزواج مخالفا لطبيعة الأشياء وليس له من سبب الا العجز أو الانحراف عن الصراط السوى ، أما ما يتعلل به بعض القادرين من فساد الزمان وعدم وجود الفتاة التي تصلح للوفاء بمسؤوليات الأسرة والحياة الزوجية فإنه من الاسراف في تصور الأمور ومن المبالغة التي يمليها الهوى أحيانا ، إذ مازال المسلمون بخير - والحمدلله - ولم تخل الحياة من المعادن الطيبة والتربية الصالحة ، وهذا الأمر أيضا يدعو إلى ضرورة النصح بالعناية بتربية البنات وتنشئتهن على الصلاح والتقوى ، وتبصيرهن بالحقوق والواجبات وأخذهن بالحزم في أمر الدين ،




للاستاذ/حامد عبدالمقصود بيومي السمادوني

وتعليمهن ما يقوم سلوكهن ويحثهن على التمسك بالفضيلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جعل الاسلام رابطة الزواج الشرعي القائم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسرة المسلمة ، ولقد بلغ من تعظيم الاسلام لهذه الرابطة أن اعتبرها معادلة في الأهمية لشطر الدين أو نصف الايمان فقال صلى الله عليه وسلم « من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه الله على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني . ولعل من اسباب التأخر في الزواج ما تفرضه بعض العادات التي درج عليها بعض الناس إما بفرض مهور ليست في مقدور الشاب مع المغالاة في الشروط وإما بالنظر الى موضوع الكفاءة بما لا يتفق مع روح الشريعة ومراميها وينبغي لنا نحن المسلمين أن نعي جيداً قول الحق تبارك وتعالى « **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم** » سورة النور آية ٣٢ . ففي الآية توجيه للأولياء بالسعي لتزويج من لا زوج لها تحقيقا للحكمة من الزواج بإعفاف النفس وتكثير النسل وبناء الأمة الصالحة ، وفي الآية إشارة إلى المبادرة بتزويج أهل الصلاح مع التوجيه إلى أن الفقر لا ينبغي أن يكون سببا يحول دون تحقيق الزواج فالغنى والفقر بيد الله

وإذا صدقت النية وتم الزواج فإن الله عز وجل يفتح للزوجين أبواب رحمته وفضله وييسر لهم السبل ويرزقهم العفاف وغنى النفس ، ولذا كان ابن عمر يقول : عجبت لمن لا يرغب في الباءة « يقصد الزواج » فعن أنس بن مالك قال « جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. قال أحدهم : أما أنا فإني أصلى الليل أبدا .. وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .. وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » متفق عليه .

ولنعلم جيدا أن التشديد على طالب الزواج ليس من مصلحة الفتيات وليس من أسباب سعادتهن في الحياة الزوجية ذلك أن الشاب إما أن ينصرف ويرجع عن عزمه وإما أن يضطرب حاله بتكليفه نفسه ما لا يطيق وما لا تحتمله قدرته المالية ، فلا تستقر حياة البنت بعد الزواج إلا بعد معاناة وصبر وزمن مع ما قد يكون عليه الزوج فترة من حياته من ضيق النفس وانقباض الصدر ، مما قد تنعكس آثاره على زوجته . فالزواج ارتباط روحي وقرب قلبي ودعم للحياة الاجتماعية ، ليس المال فيه الا وسيلة لتنظيم الأسرة وسببا من أسباب استقرارها ، فلا ينبغي للمسلم أن يجعله الغاية التي إليها يقصد ، ولها يبتغي ، وليذكر الأولياء جيدا أن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم زوج ابنة عمته القرشية لزيد بن حارثة خادمه وكان من أسباب ذلك كسر الأنفة والشموخ في بني البشر مع ما في ذلك من تطبيق عملي للمؤاخاة بين المسلمين .

وإذا كان النصح يتوجه إلى الفتاة وإلى وليها بتحري صلاح الخاطب واستقامته ودينه بالدرجة الأولى فان النصح أيضا يتوجه إلى الشاب بألا ينساق وراء الهوى العارض فيبهره الجمال بلا دين فيندفع مثلا إلى الزواج بغير مسلمة مع ما قد يترتب على مثل هذا الزواج في غالب الأحوال من المتاعب والمفاسد ، والتجارب التي نراها في مجتمعاتنا خير دليل وبرهان على ذلك . ورسولنا صلى الله عليه وسلم يرشد المسلم الراغب في الزواج الى ما تتم به سعادته ، فيوضح له الأمور التي جرت عادة الناس عليها عندما يرغبون في اختيار الزوجة التي يتوافر فيها المال والحسب والجمال ويقدمون هذه الأمور على أهم المطالب كلها وهو الدين فيجعلونه آخر المطالب فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تنكح المرأة : لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه البخاري ومسلم . فالدين

هو اهم المطالب التي ينبغي على راغب الزواج ان يجعله نصب عينيه والزوجة الصالحة هي التي تعينه على دينه ودنياه وآخرته وتصون شرفها وعفافها وتحفظ على زوجها كرامته فيأمن معها ويسكن اليها وتشرق بينهما المودة والرحمة ، لهذا نهى الاسلام عن ان تكون مطالب الحسن او المال مقصودة لذاتها فان الزوج لا يأمن معها غائلة الفتنة عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني والحاكم . وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم .

## استوصوا بالنساء خيرا :-

يقول الحق تبارك وتعالى ( **وعاشروهن بالمعروف** ) سورة النساء آية ١٩ .

والخطاب للأزواج وقد جعلهم الله عز وجل قوامين على النساء وجعل الزوجات عونا في ايديهم ، يأمرهم الله عز وجل بحسن معاشرتهن وتطييب القول لهن وبالكسوة والرزق بالمعروف ، وبأن يحسن الرجل فعله وهيئته لزوجته بحسب قدرته كما يحب أن تكون زوجته له حسنة الفعل طيبة القول جميلة الهيئة على حد قول الله تعالى ( **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** ) البقرة آية ٢٢٨ .

والاسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ، وبصلاحها يتحقق الخير وقد عنى الاسلام بشأن الأسرة كل العناية لبناء المجتمع الصالح وبناء الأمة القوية القادرة على النهوض برسالتها وأداء وظائفها ، وإنما تنهض الأسرة وتحقق غايتها في بناء المجتمع وسلامته إذا ترابط الزوجان وتفاهما واحترم كل واحد منهما حقوق صاحبه وتعاونا على دعم حياتهما ليسودها الأمن والاستقرار ، وهذا يتم بإيمان كل واحد منهما وبره وإخلاصه في قيامه بواجبه نحو صاحبه وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال بالنساء فقال ( استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء ) متفق عليه . وفي رواية في الصحيحين ( المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ) وفي رواية لمسلم ( إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها ) والرجل مسؤول عن صيانة المرأة ورعايتها وحفظ كرامتها وكفاية حاجتها على حسب الاستطاعة إلى جانب حسن خلقه معها ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ،

وألطفهم بأهله ) رواه الترمذي .
فالخلق الحسن في معاملة الناس عامة علامة الايمان الكامل ، وإذا كان هذا هو شأن الخلق الكريم في الصلات العامة بين الناس وبعضهم وبعض فالأولى أن تقوم الصلة بين الرجل وأهله على لين الجانب وصدق المودة والرحمة ، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله ( خيركم خيركم للنساء ) رواه الحاكم ، وقد أوجب الاسلام على الرجل أن يحسن معاملته للمرأة واعتبر إكرامه لها مقياسا لكرم أصله وشرف منبته ، كما اعتبر إهانته لها دليلا على لؤمه وخسته فقال صلى الله عليه وسلم ( خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم ) رواه ابن عساكر عن علي . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله طيب العشرة حسن المعاملة دائم البشر يضاحك نساءه ويتطلف معهن ويدخل السرور على قلوبهن بالكلمة الطيبة والمداعبة والعدل في المعاملة والرفق عند الجفوة ، ولكي تعيش الأسرة في مأمن من عواصف الشر نبه الاسلام الى ان الحياة الزوجية السليمة إنما تبنى على الرعاية التي بها يتكافل أهل البيت في معرفة ما لهم وما عليهم وفي القيام بالتبعات والمسؤوليات والوفاء بالحقوق والواجبات كما يوجه الاسلام النصح للرجل حتى لا يصبح مصدرا لتفريق الشمل وتقويض البيت وشقوة الأولاد ، ولهذا أمر الله عز وجل بمعاشرة النساء بالمعروف وحذرهم من العواطف المتقلبة .. ولنتدبر قول الله تبارك وتعالى بعد الأمر بالمعاشرة بالمعروف ( **فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ) النساء آية ١٩ .
أي إن شعرت أيها الرجل بالكراهية نحو الزوجة فأمعن النظر واصبر ولا تتعجل بالمفارقة بمجرد هذا الشعور بالنفرة فعسى أن يؤول الأمر بك الى ما تحبه من ذهاب الكراهية وتبد لها بالمحبة والتقدير فيكون في ذلك خير كثير منه استدامة الصحبة وتثبيت أركان الأسرة والنعمة بالأولاد وتأمل هدى نبينا صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر ) رواه مسلم . ومعنى يفرك أي يبغض وعن عبدالله بن زمعة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إذ انبعث أشقاها ) انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة وذكر النساء فقال يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه ( ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال لم يضحك احدكم مما يفعل ؟ رواه البخاري . وعن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ( ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن

شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن ) رواه الترمذي . وقوله صلى الله عليه وسلم عوان أي أسيرات ، والضرب المبرح هو الشاق الشديد ، وقوله صلى الله عليه وسلم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي لا تطلبوا طريقا تحتجون به عليهن وتؤذونهن به ، وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال : قلت يارسول اله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال ( أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت ) رواه أبو داوود . والرسول صلى الله عليه وسلم بهذا يدلنا على سبيل الحياة الزوجية المستقرة ويعلم الأزواج أنه لا توجد امرأة إلا ولها بعض المزايا ، وقد يكون فيها بعض ما لا يرضى ، ومن أراد أن يلتمس امرأة كاملة من جميع النواحي فإنما يلتمس المحال ، والعاقل لا يلتفت الى ما لا يعجبه وينظر إلى ما في زوجته من مزايا ومحاسن أخرى إن التفت إليها رضيت نفسه وسعدت حياته ، وقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشيره في طلاق امرأته فقال له عمر : لا تفعل فقال : ولكني لا أحبها فقال له عمر : ويحك ألم تبن البيوت إلا على الحب ؟ وإنما هي خليقة أن تبني على ركنين آخرين أحدهما الرعاية التي تبث التعاطف والتراحم في جوانبها ، وبالرعاية يتحقق بين افراد الأسرة ، والأمر الثاني التذمم أي وفاء كل من الطرفين للآخر بحفظ حقوقه وصيانة حرماته ، والاستحياء من إغضابه أو التسبب في شقائه ، وتتأكد هذه الخصال باستمرار العشرة وتبادل الرعاية والوفاء ومعرفة الحقوق والواجبات . وتأمل قول الله تعالى ( **والللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا** ) النساء آية ٣٤ والمراد بالنشوز أن تستعصى المرأة على زوجها وتنفر منه فإذا بدرت بادرة بذلك يبدأ الرجل بالعظة والتبصير لترقيق القلب والتعريف بالحقوق والواجبات فاذا لم ينجح في العظة فالانصراف عنها في المضجع في صمت حتى تثوب وإلا فالتأديب بالضرب غير المبرح حين تتأتى أسبابه وحين يكون هو العلاج إذا لم تنفع العظة والهجر .. ويتم ذلك كله مع الحرص على كرامة البيت وفي حدود الاعتدال والوقار وعلى الرجل مع حسن خلقه مع زوجته أن يحتمل الأذى منها فيقابل غضبها وطيشها بالحلم وسعة الصدر رحمة بها ورقة لضعفها ، وقد كانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه الكلام ويصبر عليهن . قال انس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم

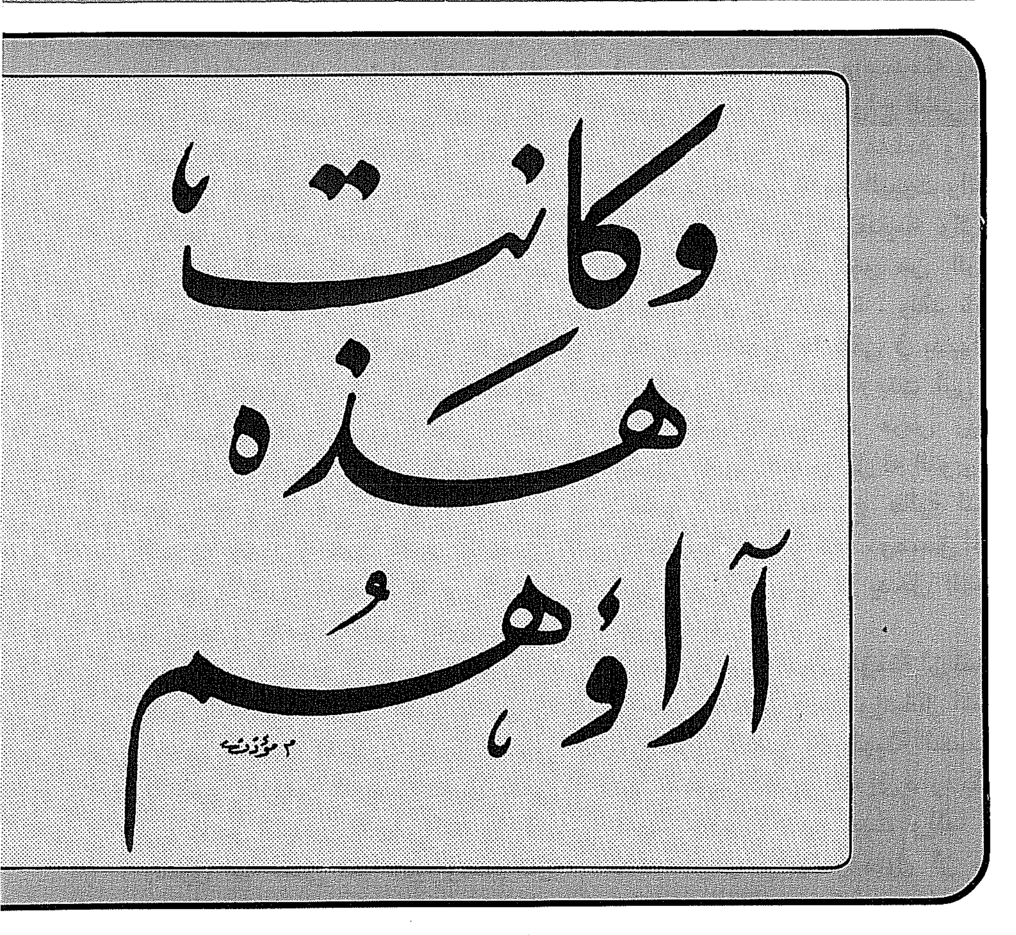
الناس بالنساء والصبيان وكان صلى الله عليه وسلم يطيب قلوبهن ويمزح معهن كما أكد الوصية بهن في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي منها ما تقدم .

**لكي تدوم العشرة بين الزوجين - واجبات كل منهما :**

قال الله تعالى ( **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ) البقرة آية ٢٢٨ . فالحياة الزوجية حقوق وواجبات وتعاون ومودة ورحمة ، وقد جعل الله عز وجل للنساء من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن ، فعلى الرجل أن يحسن عشرتها بما هو معروف من عادة الناس أنهم يفعلونه لنسائهم ، والمرأة كذلك تحسن عشرة زوجها بما هو معروف من عادة النساء أنهن يفعلنه لأزواجهن من طاعة وتزين وتحبب وغير ذلك ، وتكوين الرجل يؤهله لأن يكون جنديا قوي المراس ، ينهض بمسؤولية الحماية والصيانة والجهاد والضرب في الأرض والقيام بأعمال فوق طاقة التكوين العام للمرأة ، فأساس طبيعة الرجل الخشونة وقوة الجسم والنفس والغالب على تكوين المرأة النعومة والرقة والضعف الذي يجعلها محببة إلى نفس الرجل . وتكوين الرجل يؤهله لأن يكون المسؤول الأول في الأسرة يتحمل تبعات النفقة من طعام وكساء ومسكن وغير ذلك من المطالب الأساسية للأسرة والتي لا غنى عنها كالدواء ونحوه ، ومن هنا كانت للرجل منزلة ليست للمرأة فهو القائم عليها بالانفاق والحماية والصيانة وهو الأكثر جلدا وهو الأقوى على مغالبة الحوادث ومواجهة الحياة . يقول الحق تبارك وتعالى ( **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ) النساء آية ٣٤ . فالرجال هم الذين يقومون بصيانة النساء والدفاع عنهن وتقديم الصداق لهن والانفاق عليهن وتدبير المسكن الملائم للمرأة ، فكان من حق الزوج على زوجته ان تطيعه فيما لا يغضب الله عز وجل ، وقد أثنى الله على المؤمنات الصالحات المطيعات لأزواجهن الحافظات للشرف في غياب الزوج فقال تعالى : ( **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ) النساء آية ٣٤ . والقانتات هن الطائعات إذا أمرن بما ليس فيه معصية لله ، والحافظات للغيب هن اللاتي يحفظن ازواجهن حال غيابهم ، فلا تصدر عنهن خيانة في النفس أو المال . فأحسن ثمرة يجنيها المرء في حياته ان تكون له زوجة صالحة ذات خلق ودين تطيع زوجها وتسره بما يرى عليها من نظافة وحسن هندام وجمال الهيئة وإن أقسم عليها في أمر مشروع أبرته ونفذت ما حلف عليه لا تعاند ، ولا تكابر ، وتخلص له في حضوره وغيبته ولا تؤذيه في شرفه او ماله عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من

الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا ) رواه ابن ماجة . وإن الزوجة التي تكون على نحو من الأدب والتربية ومعرفة الحقوق والواجبات لتعد كنزا عظيما ، وبمثل هذه الأخلاق تدوم الحياة الزوجية وتضع السعادة أجنحتها على الأسرة ، وقد أكد الهادي الحبيب عليه الصلاة والسلام حق الرجل في أن تكون زوجته مطيعة له تحقيقا للتعاون والتآلف ودعما للحياة الزوجية ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة ( لو كنت آمرا احدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ) رواه الترمذي . وعن طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور ) رواه الترمذي والنسائي وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( إذا دعا الرجل زوجته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح ) متفق عليه . وليست للمرأة أن تأذن لأحد منَ الأقارب والأجانب بدخول البيت ما دام الزوج يكره ذلك لما روى عن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ) رواه الترمذي . وكما يقوم الرجل بأعباء السعي والعمل والنفقة ينبغي للزوجة أن ترعى البيت وتقوم بخدمته وتدبير شؤونه ، ولقد كانت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبنته فاطمة وأزواج أصحابه يقمن بخدمة البيوت والقيام على تهيئة الطعام وتقديمه وكل ما يساعد على إيجاد جو من الراحة والاستقرار في الأسرة . ولقد شكت بنت سيد الخلق ما تلقى في يديها من الرحى ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تقوم بالعجين وتعلف فرس زوجها وتحش له وتسقيه وتنقل له النوى على رأسها .. وتلك نماذج عالية لنساء امتزن بمكارم الأخلاق ، وصدق المودة للزوج والقيام بكل ما يدخل السرور على نفسه .

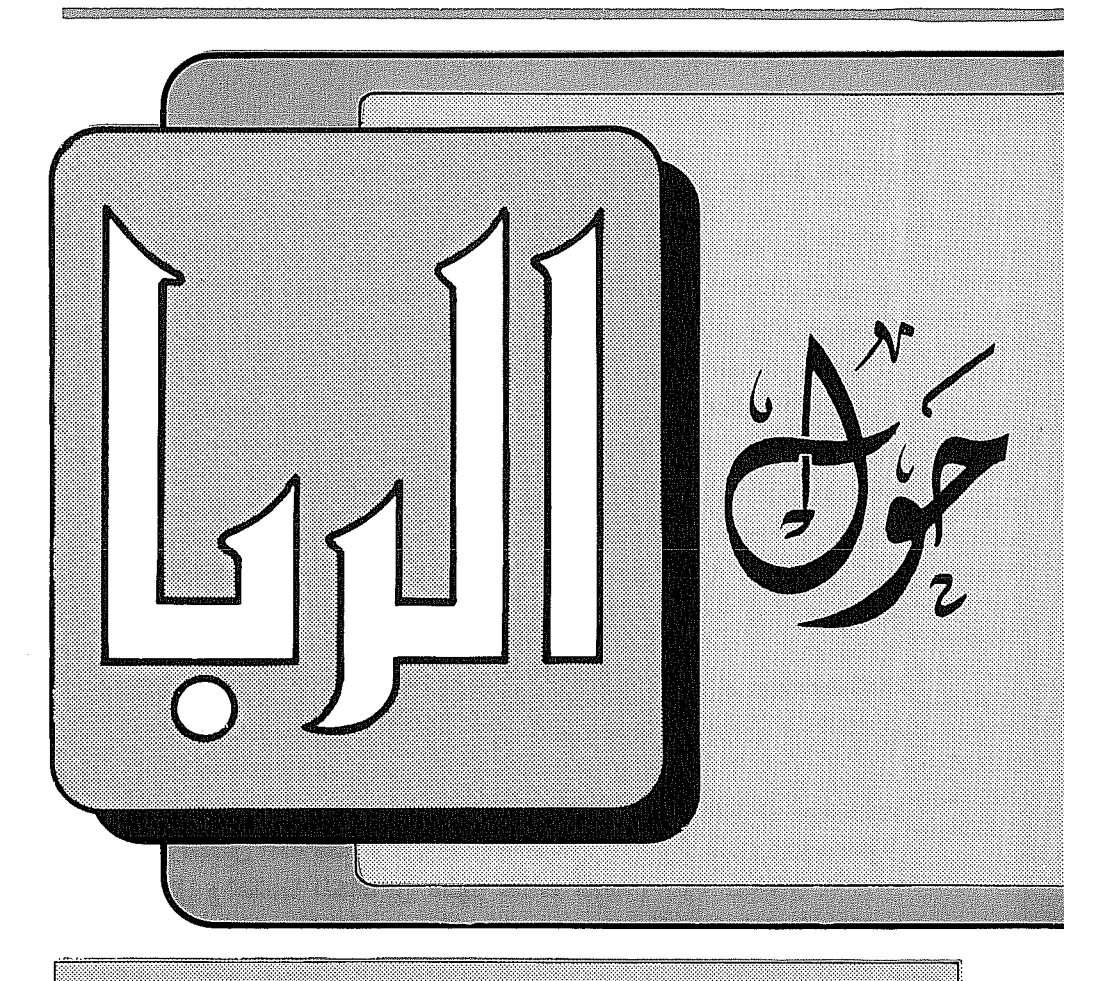
فمن واجب المرأة المؤمنة أن تسعى دوما لإرضاء زوجها ، وإدخال المسرة على قلبه بالطاعة ، وبالهيئة الحسنة ، فلا تستقبله عند عودته إلى داره بثياب المهنة والخدمة في البيت وإنما تعد لذلك أجمل ثيابها وتحاول أن يشم منها زوجها طيبا ، وأن يسمع حسنا ، وان لا يرى ما لا يسره ولا يرضيه ، وألا تكون سببا في اغضابه وإيذائه ، وما أعظم ثواب المرأة التي تموت وزوجها عنها راض فعن ام سلمة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة ) رواه الترمذي . فليتق الله كل منا وليصن الحياة الزوجية عن العبث وأسباب النزاع حتى تظل الأسرة المسلمة والمجتمع الاسلامي بخير في ظل دين الله وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم .




اخي القارىء ..

هذه ندوة ليست بحقيقية وليست أيضا وهمية ، فهي لم تنعقد بهذا الشكل فعلا ولم تكن لها هذه الصورة ، وما هي ايضا بطيف خيال أو وهم من الكلام ، وإنما هي مزيج من الحقيقة والايضاح وإعادة الصياغة والترتيب بقصد الوقوف على آراء نخبة جليلة من علماء المسلمين في موضوع هام من الموضوعات التي تشغل أذهاننا في الوقت الحالي ، فتعال أخي القارىء نتجول معا في رياض أحاديثهم وآرائهم ، ولنعش نحن وهم ولو لفترة وجيزة نستطيع من خلالها أن نقف على خلاصة آرائهم حول موضوع الربا .

وقبل أن نعيش معهم - رحمهم الله - في حوارهم ومناقشاتهم حول موضوع من أعضل الموضوعات التي تجابه مفكري الاقتصاد الاسلامي في الفترة الحالية نبين أولا ما جاء بالقرآن الكريم بشأن هذا الموضوع ، ثم نستعرض ما حدّث به المصطفى صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة حوله أيضا ، ولا ننسى تبيان ما




للاستاذ/ عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

انتهى إليه مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ثم نترك لحضراتهم استعراض الآراء ووجهات النظر .

رحمة الله لهم جميعا :

- استاذنا الشيخ/ سيد قطب
- استاذنا الدكتور/ محمد عبد الله العربي
- استاذنا الدكتور/ عيسى عبده

فالأول عالِم متبحر في دراسة القرآن الكريم وتفسيره ، وله من الكتابات الاسلامية ما يشهد له به ، وما يمكن الأخذ به والاعتماد عليه ، والثاني رجل تناول النظم الاسلامية بالدراسة والتحليل ، والثالث عالم اقتصادي جليل له من الكتابات

الاقتصادية الكثير بما يمكن الاعتماد على دراسته وآرائه .

**أولا : ما جاء بالقرآن الكريم حول موضوع الربا :**

لقد حارب الاسلام الربا ووقف حياله موقفا شديدا واضحا ، ويتجلى ذلك من خلال آيات القرآن الكريم التي تناولت موضوع الربا :

* ففي سورة البقرة : ( **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون * واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ) ٢٧٥ ـ ٢٨١ .

* وفي سورة آل عمران : ( **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي أعدت للكافرين * وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون *** .١٣٠ـ١٣٢

وفي سورة النساء : ( **فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا * وأخذهم الربا وقد نُهُوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما** ) ١٦٠ ـ ١٦١ .

وفي سورة الروم : ( **فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون * وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضْعِفُون** ) ٣٨ ـ ٣٩

ويمكن القول إن الأوامر ا لقرآنية قد نزلت ذات صبغة عامة أول الأمر ، ولكنها نزلت كاملة التفصيل فيما بعد ، تتضح هذه الحقيقة إلى أبعد مستوى عند مقارنتنا وتدبرنا للآيات المكية بتلك الآيات التي أوحى بها في المدينة فيما بعد ، على أن نحتفظ في أذهاننا بمبدأ التدرج أو الوحي المتدرج ومن ثم فقد ذكر في القرآن الكريم بوضوح فيما يتعلق بتحريم الربا :

( ١ ) أن أخذ الربا ( الفائدة ) من شيم اليهود الذين يأكلون أموال الناس بغير حق : ( **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نُهُوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما** )

( ٢ ) ومن ثم فقد نُهى المسلمون عن أخذ الفوائد المركبة والمتتالية : **( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة )**
( ٣ ) وبعد أن تم هذا ، وجد المشرع أن الأولى تحريم كل أنواع الربا .. **( وأحل الله البيع وحرّم الربا )**

**ثانيا** : **بعض الأحاديث النبوية المتعلقة والخاصة بموضوع الربا** :

( ١ ) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » رواه مسلم وأحمد .
( ٢ ) وعن علي أمير المؤمنين رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، ومانع الصدقة » رواه أحمد والنسائي
( ٣ ) حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على خيبر رجلا ، فجاءه بتمر جنيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكل تمر خيبر هكذا »
قال : لا ، والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفعل ،بِعِ الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا » . رواه البخاري ـ كتاب البيوع
( ٤ ) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء بلال إلى النبي صلى الله عليه وسلم بتمر برني ـ أصفر ـ فسأله الرسول الكريم من أين هذا ؟
قال بلال : كان عندنا تمر رديء فبعت منه صاعين بصاع لنطعم النبي صلى الله عليه وسلم .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك (( أوه ، أوه ، عين الربا ، عين الربا !! لاتفعل . ولكن إذا أردت أن تشتري ، فبع التمر ببيع آخر ثم اشتره » رواه البخاري ـ كتاب البيوع
( ٥ ) وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : « كنا نرزق تمر الجمع ، وهو الخلط من التمر ، وكنا نبيع صاعين بصاع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((لا صاعين بصاع ، ولا درهم بدرهمين » . رواه البخاري ـ كتاب البيوع

وتوضح الأحاديث السابقة أن هناك حالتين « نظريتين » للمبادلة بالكيل لا بالذهب والفضة فحسب وإنما بأشياء أخرى :
**الحالة الأولى** : الأشياء موضوع المبادلة التي تنتمي إلى النوع ذاته مثل : الذهب بالذهب والفضة بالفضة والشعير بالشعير ولكي تصبح هذه الصفقات نافذة شرعا لا بد من أن تكون السلع المتبادلة من الصنف عينه وأن يتم التسليم فورا . وفي

حالات الائتمان أو حين تختلف كميات الأشياء المتبادلة أو حين تنقص سلعة من سلعتي المبادلة أو كلاهما ففي كل من مثل هذه الحالات يكون التعامل محرّما وغير شرعي .

**الحالة الثانية** : اختلاف كل من سلعتي المبادلة عن الأخرى : فمثلا الذهب بالفضة أو الحنطة بالشعير ، فإن مثل هذه الصفقات حلال بشرط أن يتم التسليم فورا ، وأن تسلم الحنطة اليوم مقايضة بشعير يسلم غدا - أي وإذا لم يتم التسليم فورا - فهذه الصفقات الأخيرة تتعادل بالتعامل بالفائدة . حتى لو كانت المقايضة بقشرة جوز فإن الفائدة توجد في مقايضة نفس النوع ( الجنس ) إذا كان الكم متفاوتا . فإذا كان مطلوبا الحصول على سلعة أجود بدلا من سلعة أردأ من نفس الجنس ، فمن الضروري أولا أن تباع السلعة الأدنى بمقايضتها بسلعة أخرى من نوع مختلف ، ويمكننا بالسلعة التي تم الحصول عليها بهذه الطريقة أن نحصل على السلعة الأجود المطلوبة . إن هذا لا يتساوى مع الفائدة ما دام التبادل الأخير قد تم بين سلعتين مختلفتين تماما ، فحين تختلف سلع المبادلة في النوع لا يهم أن تتفاوت الكميات المتبادلة .

## ثالثا : قرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة :

لقد انتهى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة في دورته الثالثة في المدة من ٢٥ محرم ١٣٨٥ إلى ١٦ صفر ١٣٨٥ هجرية الموافق ( ٢٦ مايو ١٩٦٥ إلى ١٦ يونيو ١٩٦٥م ) ، بشأن المعاملات المصرفية إلى القرارات والتوصيات التالية :

( ١ ) الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرّم ، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الانتاجي لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين .

( ٢ ) كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة )** .

( ٣ ) الاقراض بالربا محرّم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرّم كذلك ، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة ، وكل امرىء متروك لدينه في تقرير ضرورته .

( ٤ ) أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ عليها في نظير هذه الأعمال ليس من الربا .

( ٥ ) الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتمادات بفائدة وسائر أنواع القروض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهي محرمة .

( ٦ ) أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أُجِّلَ النظر فيها إلى أن يتم بحثها .

( ٧ ) ولما كان للنظام المصرفي أثر واضح في النشاط الاقتصادي المعاصر ، ولما كان

الاسلام حريصا على الاحتفاظ بالنافع من كل مستحدث مع اتقاء أوزاره وآثامه ، فإن مجمع البحوث الاسلامية بصدد درس بديل إسلامي للنظام المصرفي الحالي ، يدعو علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد أن يتقدموا بمقترحاتهم في هذا الصدد .

**رابعا : حوار الندوة :**

ونستهل الندوة بعد أن رأينا ما ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما قرره مجمع البحوث الاسلامية بقولنا :

- إن الربا في اللغة يعني الزيادة مطلقا ، فيقال ربا الشيء ، ويربو إذا زاد ، ويطلق الربا على الكسب الحرام ، كما قال تعالى في اليهود :( **وأخذهم الربا وقد نُهُوا عنه** ) ويومىء الجميع علامة الرضا .

ويضيف الدكتور عيسى عبده :

الربا هو :

- فائض القيمة الذي يأكله القوي دون مبرر .
- الاحتكار وانتهاز الفرص واستغلالها .
- تجارة الموت كما يسميه الكتّاب الغربيون الآن ، ومن شأنه أن يشعل الرأسماليون الحرب وإن أكلت أكبادهم في سبيل مضاعفة رأس المال ببيع السلاح .
- الكسب الفاحش الذي يؤدي ولو في عقد يتشابه مع عقد البيع .
- الامتياز الذي يؤدي إلى استئثار شعب غني مقتدر بخيرات شعب فقير متخلف ، تقضي الانسانية بترشيده والتعاون معه .
- أكل مال يكسبه صاحبه بغير جهد أو بذل وإنما بمجرد الانتظار واستغلال حاجة المحتاج أو باستغلال فرص القحط والجوع إذا انتشرت الفاقة .

وبذا فالمعاملات الربوية هي عقد يكون من شأنه استغلال حاجة الضعيف وزيادة الفقير حرمانا وزيادة الغنى ثراء حتى يطغى ، وتتفق كل المعاملات الربوية في أمر واحد هو الاتجاه الى معاكسة التيار الخير في المعاملات ، ومن ثم يكون كل من الربا الجلي والربا الخفي وربا الفضل وربا النسيئة مفسدا لسير المجتمع .

* ونتساءل ترى ما هي العلة في تحريم الربا ؟ فيزيدنا الدكتور محمد عبد الله العربي ايضاحا فيقول :

أما التحريم في حد ذاته فهو قائم لأنه أمر الله ، الله الذي لا يريد لعباده إلا الخير وقد تقصر عقولنا البشرية عن إدراك مدى حكمته .

وبالنسبة للقرض الاستهلاكي فحكمة تحريمه ظاهرة لا تحتاج إلى بيان فهو يتناف مع الأخلاق الاسلامية وهو يهدم جميع الخصائص التي جعلها الله من مقومات المجتمع الاسلامي .

أما الربا على القرض الانتاجي فلعل حكمة تحريمه لم تظهر على أوضح وجه

مثلما ظهرت منذ أجازت التشريعات الأوروبية فرض الفائدة على القروض . ونكتفي هنا بما أثبتته المشاهدات لآثار هذا الربا في عصرنا :

**فمن جهة المرابي** : تركز الجانب الأكبر من المال بين أيدي أصحاب البنوك الحديثة حتى صار لهم السيطرة الكبرى على اقتصاديات المجتمع ثم امتدت هذه السيطرة الى سياسة المجتمع الداخلية والخارجية والى التشريعات بالمجتمع بل والى أخلاقيات المجتمع وأسلوب تفكيره بما أحرزه من سيطرة على وسائل الاعلام ، ودأبوا على توجيه كل هذه القوى في الاتجاه الذي يكفل لهم المزيد من القوة المالية ويدعم المكانة الرفيعة التي اغتصبوها .

**أما من ناحية المنتج** : الذي يقترض بالربا فهذه بعض النتائج التي تترتب على رباه :

ـ غلاء الأسعار للمنتجات التي ينتجها المقترض .

ـ اذا أراد المنتج تخفيض التكاليف الخاصة بالانتاج التي ارتفعت بسبب اضافة الفائدة اليها لا يجد أمامه الا أجور العمال فيسعى الى تخفيضها أو الاستغناء عن بعضهم .

ـ المجتمع هو الذي يدفع الفائدة الربوية .

ـ السعي الى تصريف فائض الانتاج بالخارج ، ويكون ذلك في البلاد المتخلفة صناعيا ولن يقوم لهذا الوضع قائمة إلا اذا بسطت الدول الصناعية نفوذها على هذه الدول .

ـ قد يلجأ المنتجون الى تخفيض أثمان المواد الأولية التي تعتمد عليها صناعاتهم والتي يستوردون أكثرها من البلاد المتخلفة غير الصناعية وهنا تتآمر الدول الصناعية بتكتلاتها الاحتكارية على تخفيض أثمان المواد الأولية .

ويعود الدكتور عيسى عبده الى الحديث بتؤدة وأناة موضحا لنا الآثار المترتبة على قيام نظام ربوي في المجتمع وإن كان مخففا فيما يسمى بالفائدة فيقول :

ـ ان الربا وإن كان مخففا فيما يسمى بالفائدة يعتصر الفقير فيزيده فقرا ، ويركم على مال الغني أوزارا فوق أوزاره .

ويمتص دماء الكادحين باحتكار السلع ورفع الأثمان مما يترتب عليه ضعف الجماهير ، وهم قاعدة التنظيم الاجتماعي ، ومن ثم يهتز البناء الاقتصادي بكافة أركانه لضعف الكافة من الأفراد ، وهذه الكافة هي جمهور المشترين والمستهلكين والعاملين في مجالات الانتاج ، وهم أيضا الذائدون عن الحياض والساهرون على أمن الدولة . ويطغى الغني لأنه يزيده قوة ليكون من الفرد أو من الجماعة الرأسمالية الربوية دولة أو دويلات تناهض سلطان ولي الأمر وتهدد الأمن والاستقرار بما تملكه من مال فائض تسخره في الطغيان كما نصت الآية الكريمة صراحة حين قررت : ( **إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى** ) العلق/٦و٧ .

ويشيع الخوف في جميع الطبقات ، فالضعيف المحروم غير آمن على رزقه ، لأنه من شأن التنظيم الربوي ألا يكون فضل في المعاملة ولا عفو ولا صدقة ، ويعيش

الغني الغاصب في خوف على ماله الذي جمعه باستغلال التفاوت الذي اقتضته الحكمة الإلهية ، وقد ظنه تكريما لذاته الفانية سفاهة منه وجهلا ، وحين يشيع الخوف فإن الثقة تنعدم ويحل محلها سوء الظن والتربص .

وتنبت الجريمة فالمحروم يحقد والمبطون يبطش قبل أن تدور عليه الدوائر ، ولهذا تشيع الجريمة في جميع الأوساط الرأسمالية والربوية على صور لا نظير لها في ظل المدنية الريفيةالتي كان فيها بلاء المعاملات الربوية محصورا .

ويزعزع العقيدة ، فالغني يطغيه سلطان المال ، وقد ينجح في فرض مشيئته على السلطات العامة بالاسترهاب أو بشراء الذمم وبتكرار فرض المشيئة ينسى انه بشر تافه زائل فيقول بمقالة فرعون : ( **أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي** ) الزخرف/٥١ .

والفقير يطول انتظاره للانصاف وتتزايد عليه البلوى فيضل وقد يلجأ بالشكوى ولو فيما بينه وبين نفسه المكلومة ويتساءل .. أين عدل الله ؟

وعندئذٍ ينسى انه لا مهان ولا ذليل ، وانه مبتلى من الله لا أكثر ولا أقل .. ويفسد المجتمع بما يضفيه عليه من مادية مسرفة خالصة ، فالفقير يفرط تحت ضغط الحاجة ، والغني يستثري من فيض ماله الذي يتزايد فتهوي الأعراض وتنحل الأسر .

ونتساءل عما قاله بعض المعاصرين ـ هنا وفي بلاد اسلامية أخرى ـ إن الربا الذي حرمه الاسلام هو ما اتصل بقروض استهلاكية يقترضها ذوو الحاجة الملحة ويؤدون عنها « رأسمالها » ثم الربا المضاف اليها ، أما القروض الانتاجية التي يفرضها الموسرون ويوظفونها في مشروعات انتاجية تدر عليهم ربحا وفيرا فإن الفائدة التي يؤدونها على رأس المال الذي اقترضوه ليست بالربا المحرم .

* ويرد الدكتور محمد عبد الله العربي على ذلك بقوله :

إن تسمية الربا بالفائدة لا يعتبر جديدا ولا يغير من طبيعته ، فالفائدة ليست إلا زيادة في رأس المال المقترض ، وكل زيادة هي ربا لغة وشرعا .

وأكبر حجة ساقوها على هذا الرأي هو أن الربا الذي حرمه القرآن هو ما كان سائدا في الجاهلية قبل البعثة المحمدية وأن العصر الجاهلي لم يكن أهله على علم بالقروض الانتاجية وأثرها على النشاط الاقتصادي الحديث . ونسوا ان القرآن خاتم الهدايات الإلهية لم يكن ليشرع لعصر معين ، بل تشريعه يمتد الى أبد الدهر ، ولم يكن ليغيب عن علم الله سبحانه وتعالى ما سوف يتمخض عنه اقتصاد هذا العصر ـ أو أي عصر ـ من اعتماد على القروض الانتاجية والزعم بضرورة ترتيب فائدة عليها حتى لا تنقطع ، ونسوا قوله تعالى : ( **وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** ) **بغير تمييز بين ما إذا كانت رؤوس أموالكم هذه التي استخدمها مقترضوها قد استخدموها في أغراض انتاجية أو استهلاكية ونسوا كذلك الحديث الذي يقرر أن كل قرض جرّ نفعا فهو ربا ، فلم يميز الرسول بين ما إذا كان القرض الذي عاد بزيادة على المقرض قد فرج**

**كربة المقترض أو قد وظفه في مشروع انتاجي .**
**ولو شاء سبحانه هذا التمييز أو علم أن فيه خيرا للناس لما ترك النص عليه ..**
وبعد أن أوضح لنا ما يتعلق بالقروض الانتاجية والاستهلاكية ، هل لنا أن نعرف رأي سيادتكم بشأن التعامل الخارجي ؟
* ويرد الدكتور محمد عبد الله العربي قائلا :
إنه كما نستطيع أن نمتنع داخليا عن التعامل الربوي وان نطهّر معاملاتنا عن الفائدة الربوية لتحل محلها شركة المضاربة ، فاننا لا نملك فرض هذا الحكم على البلاد غير الاسلامية التي نتعامل معها ، وما دمنا مضطرين الى التعامل معها في عقد قروض لتمويل بعض نشاطنا الانتاجي وفي استيراد سلع لم نصل الى انتاجها بعد ، فلا مناص من التغاضي عن وزر الربا الذي قد يشوب معاملاتنا معهم وذلك تطبيقا للقاعدة الشرعية :

**« الضرورات تبيح المحظورات »**

ومن هذه المعاملات «الكمبيالة» التي أصبحت أداة تمويل دولية ولها سوقها العالمية ، ويشتري فيها المستوردون الكمبيالات المدون فيها عملة بلاد المصدرين للوفاء بديونهم الى هؤلاء المصدرين وأصبحت البنوك والبورصات تتعامل في هذه الكمبيالات .
وقد يقال إن الاضطرار هنا غير حاسم فلا ضرورة حيوية لاستيراد سلع من الخارج وهذا صحيح بالنسبة لسلع الكماليات أو الترفيه ، ولكن هناك سلع ضرورية لم نتوصل إلى إنتاجها بعد ، وهناك ما هو أهم من ذلك بكثير وهو أجهزة الانتاج الآلية الضرورية لنا في مرحلة التصنيع الشامل التي اقتحمتها الآن كثير من البلاد الاسلامية .
لذلك لا أرى بدا من أن أقرر هنا ـ**مكرها لا مختارا** ـ جواز استمرار معاملاتنا المصرفية الخارجية على الوضع الربوي القائم ، وفي الكمبيالات بالذات لا مناص من التغاضي عن وصمة الربا في تداولنا السوقي للكمبيالات سواء كانت مسحوبة منا لصالح مصدرين أجانب أم لصالح موردين أجانب .
وبعد : هل لنا أن نعرف الحقائق الأساسية لكراهية الاسلام للنظام الربوي المقيت من وجهة نظر الأستاذ سيد قطب .
* يقول الأستاذ سيد قطب :
ومع أننا لا نستقصي كل عيوب النظام الربوي ـ فهذا مجاله بحث مستقل نكتفي هنا بالقدر الذي ينبه المسلمين الى جملة حقائق بصدد كراهية الاسلام للنظام الربوي المقيت :
* **الحقيقة الأولى** : لا إسلام مع قيام نظام ربوي في مكان ، وكل ما يمكن أن يقوله

بعض اصحاب الفتاوى من علماء الدين أو غيرهم سوى هذا دجل وخداع ، فأساس التصور الاسلامي يصطدم اصطداما مباشرا بالنظام الربوي ونتيجة الربا العملية في حياة الناس وتصوراتهم وأخلاقهم .

**الحقيقة الثانية** : * أن النظام الربوي بلاء على الانسانية ـ لا في ايمانها وأخلاقها وتصوراتها للحياة فحسب ـ بل كذلك في صميم حياتها الاقتصادية والعملية وأنه أبشع نظام يمحق سعادة البشرية محقا ويعطل نموها الانساني المتوازن .

* **الحقيقة الثالثة** : أن النظام الأخلاقي والنظام العملي في الاسلام مترابطان تماما وان الانسان في كل تصرفاته مرتبط بعهد الاستخلاف وشرطه وأنه مختبر ومبتلى وممتحن في كل نشاط يقوم به ومحاسب عليه في آخرته ، فليس هناك نظام أخلاقي وحده ، ونظام عملي وحده ، وإنما هما معا يؤلفان نشاط الانسان ، وكلاهما عبادة يؤجر عليها إن أحسن ، ويؤاخذ عليها إن أساء ، والاقتصاد الاسلامي الناجح لا يقوم بغير أخلاق .

* **الحقيقة الرابعة** : أن التعامل الربوي يفسد ضمير الفرد وخلقه وشعوره تجاه أخيه في الجماعة ، ويفسد حياة الجماعة البشرية وتضامنها بما ينبته من روح الشر والطمع والأثرة والمخاتلة والمقامرة بصفة عامة .

* **الحقيقة الخامسة** : أن الاسلام نظام متكامل فهو يقوم بتحريم التعامل الربوي يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة اليه ، وينظم جوانب الحياة الاجتماعية بحيث تنتفي منها الحاجة الى هذا النوع من التعامل بدون مساس بالنمو الاقتصادي والاجتماعي والانساني المطرد .

* **الحقيقة السادسة** : أن الاسلام لن يحتاج عند إلغاء التعامل الربوي إلى إلغاء المؤسسات والأجهزة اللازمة لنمو الحياة الاقتصادية العصرية نموها الطبيعي السليم ، ولكنه فقط سيطهرها من لوثة الربا ودنسه ، ثم يتركها وفق قواعد أخرى سليمة ، وفي أول هذه المؤسسات والشركات وما الى ذلك ، المصارف وما شابهها من مؤسسات الاقتصاد الحديث .

* **الحقيقة السابعة** : أن هناك استحالة اعتقادية في أن يحرم الله أمرا لا تقوم الحياة البشرية ولا تتقدم بدونه كما أن هناك استحالة اعتقادية كذلك في أن يكون هناك أمرا خبيثا ويكون في الوقت نفسه حتميا لقيام الحياة وتقدمها .

* **الحقيقة الثامنة** : أن استحالة قيام الاقتصاد العالمي اليوم وغدا على أساس غير الأساس الربوي ليست سوى خرافة أو هي أكذوبة ضخمة تعيش ، لأن الأجهزة التي يستخدمها أصحاب المصلحة في بقائها أجهزة ضخمة فعلا ، وعندما تصح النية للخلاص من المعاملات الربوية فالمجال مفتوح لاقامة النظام الرشيد الذي أراده الله للبشرية .

ونتقدم بالشكر والتقدير للسادة ضيوف الندوة شاكرين لهم حسن تقبلهم الدعوة وندعو الله لهم جميعا بالرحمة على ما قدموه من علم نافع للمسلمين .

# مائدة القارئ

قال تعالى : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولاتطغوا انه بما تعملون بصير.ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون . وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين » .
الآيات من سورة هود

***ورع الحاكم ***

روى أن رجلا أتى عمر ابن عبدالعزيز بتفاحات فأبى أن يقبل ، فقيل له : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقبل الهدية ، فقال عمر : هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، وهو لنا رشوة ، ولا حاجة لي به .

***حتى لايحتاج ***

سُئل أحد الحكماء : أتدخر المال وأنت ابن سبعين سنة ؟
فقال : يموت الرجل فيخلف مالا لعدوّه خير من أن يحتاج لصديقه .

***الأمل في رحمة الله ***

قال أحد الأعراب لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ
من يحاسب الناس يوم القيامة ؟ فقال : يحاسبهم الله تعالى .
فقال الأعرابي : نجونا اذا ورب الكعبة . فقيل له : وكيف ؟ فقال : ان الكريم لايدقق في الحساب .
« وأنت يا إلهي أكرم من كل كريم ، فاعف عنا ، واغفر لنا ، وتجاوز عن سيئاتنا » .
اللهم آمين .

***فضيلة التعاون ***

قال حكيم : فضيلة الفلاحين التعاون بالاعمال ، وفضيلة التجار التعاون بالاموال ، وفضيلة الحكام التعاون بالاراء والسياسة ، وفضيلة العلماء التعاون بالحكم الالهية ، والفضيلة المشتركة بين الاصناف الأربعة هي التعاون على مايصلح به المعاش والمعاد .

## *من أدب النبوة *

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا استقبله الرجل فصافحه ، لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع . ولايصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له .

رواه الترمذي

## *عيال الله *

قال رجل ناصحا هارون الرشيد : أيما رجل آتاه الله مالا ، وجمالا ، وسلطانا ، فأنفق ماله ، وعف جماله ، وعدل في سلطانه ، كتب في ديوان الله من الأبرار ، فقال له الرشيد : أحسنت وأمر له بجائزة ، فرفضها .

وقال : ياأمير المؤمنين : أنا وأنت عيال الله ، فمحال ان يذكرك وينساني .

## *العقل والأدب *

الفضل بالعقل والأدب ، لا بالأصل والنسب ، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه .

## *المحبة *

هي التي لاتزيد بالبر ، ولاتنقص بالجفاء .

○ ○

## شر الناس

**يقول الشاعر أحمد شوقي :**

وما الدنيا بمثوى للعباد فكن ضيف الرعاية والوداد
ولا تستكثرن من الأعادي فشر الناس أكثرهم خصوما

# مكافحة التبشير في الجزائر

**أطل القرن العشرون والمد التبشيري يكتسح كافة الميادين ، مدعما بالقوى الاستعمارية التي جثمت على صدر الجزائر تستنزف ثرواتها بأيدي المستعمرين وتحولها الى فرنسا ، وتتسلل بسمومها الى وجدان ناشئتها من الفقراء الضعفاء الابرياء لتخرب نفوسهم وتغريهم في وطنهم كي تصطنع منهم حين يشبون اعوانا لها معادين لدينهم وقوميتهم وآمال شعبهم في التحرر من ربقة الاستعباد والاستغلال . بيد انه لم يكن بد من انجلاء هذا الليل الطويل . فلم يكد ينتهي العقدان الاول والثاني من القرن الا بزغ ـ كالميلاد الذي يعقب المخاض العسير ـ فجر جديد كانت تسبقه ـ مثل كل فجر ـ احلك الظلمات ، مجسدة في كثافة النشاط الذي يمارسه « الآباء البيض » القائمون على حركة التبشير .**

وهكذا بدأت بوادر بعث لحياة جديدة في ارض الجزائر العربية الاسلامية ، ودقت ساعة اليقظة والعمل عبر اصوات مستنيرة تدعو الى رفض القيد والتمرد على التزييف والعودة للينابيع الصافية ، فكأنها استمدت قوتها الباعثة من رواد النهضة في المشرق بل كأنها كانت صدى لصوت جمال الدين الافغاني البعيد . وقاد المسيرة المؤمنة الشيخ عبدالحميد ابن باديس منطلقا من مدينة قسنطينة مع زمرة من رفاقه . وبلغت الناس جميعا دعوته الاسلامية من خلال خطبه ومحادثاته ، وأحسوا باليقين في كلماته التي تتدفق ، واذا بالوعي المخدر يصحو ، والجزائر تتهيأ لمرحلة تحول في تاريخها عبر الصراع المنتظر مع المستعمرين المتعصبين .

ادرك الشيخ ابن باديس ان الطريق المثلى

# الطريق المثلى لاسترداد الجزائر شخصيتها هي إحياء مبادىء الإسلام الصحيحة ومناهضة الاستعمار وأساليبه

الشيخ عبد الحميد بن باديس

## للدكتور / حسن فتح الباب

لاسترداد الجزائر شخصيتها هي احياء مبادىء الاسلام الصحيحة ، ومناهضة سياسة الاستعمار واساليبه في التبشير وفي العدوان على اللغة العربية والثقافة القومية ، وماخلفته من ظواهر ضارة في المجتمع توشك ان تعود به القهقري الى ظلمات الجهالة والافك ، وتقطع مابينه وبين العالم العربي الاسلامي من روابط تاريخية وروحية ، بما ضربه العدو على الجزائر من حصار مطبق حتى لاينفذ اليها شعاع من نور الحقيقة ، ويبدد تلك السحب الداكنة التي تخلفت عن الغزو الديني واللغوي والثقافي .

وقد كانت هذه الحركة الاسلامية الاصلاحية التي رادها الشيخ ابن باديس امتدادا لتلك التي سبقتها بعقدين في البلاد العربية . ففي الوقت الذي سيطرت اوروبا المنتصرة على تونس سنة ١٨٨١ وعلى مصر سنة ١٨٨٢ ، كانت النهضة الادبية واللغوية بالمشرق في أوج نشاطها ، كما كانت حركة الاصلاح المنبثقة عن جمال الدين الافغاني ( ١٨٣٨ - ١٨٩٦ م ) ومحمد عبده ( ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م ) في عنفوانها ، بحيث لم يأت الاستعمار العدواني الغربي ليفاجأ عالما اسلاميا وكأنه كان منغمسا في غفلة طويلة .

بل على العكس جاء ليعرقل حركة هذا العالم في اتجاه السيطرة على مصيره وتدبير اموره بنفسه . وقد كانت انطلاقة العالم الاسلامي على اثر شعوره بتأخره عن اوروبا التي نهضت بفضل الكشوف العلمية والثورة الصناعية ، وبوجوب استدراك هذا التأخر دون ان يفقد نفسه ، بل في نطاق قيمه ومبادئه .

**تخلف التعليم بعد ازدهار :**

لم يختلف المغرب العربي عن المشرق

كثيرا في حركته قبل الغزو الفرنسي في القرن التاسع عشر ، فقد كانت له دوله وتنظيماته الذاتية ، فجاء الاستعمار ليدمره تدميرا ، ويسحق اية بادرة منه لتحسين احواله والمشاركة في ركب الحضارة الانسانية . يدل على ذلك ان الجزائر قبل الاحتلال كانت تحفل بالمدارس سواء في المدن ام في القرى . وقد قدر أوجين كومب » رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي عددها « بأكثر من ألفي مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية » . فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعني بتلقين اللغة العربية . وقد شهد بهذه الحقيقة « جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ، وانبهروا من كثرة المدارس بها وندرة الامية بين سكانها » ، وكاد هذا البناء الحضاري ان ينقلب رأسا على عقب تحت سنابك المستعمر الذي أطفأ هذه المنارات العلمية ليجعل اعزة اهل البلاد اذلة تحت وطأة الامية والجهل ، فيسهل له قيادهم .

لقد استولت السلطات الفرنسية على الاوقاف ، وكانت من ضمنها المدارس ، فانقطع المصدر المالي الذي كان يمول التعليم ، فتفرق العلماء وتشتت المدرسون والطلاب . وكان في قسنطينة ـ مدينة الشيخ ابن باديس سنة ١٨٣٧ حين غزاها الفرنسيون ست وثمانون مدرسة ، فلم يبق منها بعد تسع سنوات من الاحتلال الا ثلاثون مدرسة . واتخذ الفرنسيون من المدارس مخازن وثكنات وحظائر لخيولهم كما فعلوا بالمساجد وكذلك الشأن في مدينة عنابة ، اذ كان بها قبل الاحتلال تسع وثلاثون مدرسة فلم يبق منها بعده سوى ثلاث مدارس . وقد حرم المستعمرون استعمال اللغة العربية في المكاتبات الرسمية ، وأوجبوا اصدار الاحكام باللغة الفرنسية . وظل هذا التضييق متواصلا طوال سنوات الاستعمار حتى اصدر « شوتان » وزير الداخلية الفرنسي بعد نيف ومائة عام من الاحتلال قرارا باعتبار اللغة العربية لغة اجنبية في الجزائر يحظر تعليمها او التعلم بها !! وكانت حربهم عليها واضطهادهم اهلها بسجنهم ونفيهم بل اعدامهم احيانا ، انطلاقا من حربهم على الاسلام ، باعتبار العربية لغة القرآن الكريم ولسان الاسلام دينا وحضارة ، والوعاء الذي يحتوي اهم العناصر المكونة للروح والشخصية القومية والثقافية للامة ، فلايتم فصل الجزائريين عن دينهم الا بفصلهم عن اللغة العربية . وكان فتح مدرسة او فتح مؤسسة دينية تجمع أكثر من عشرين شخصا ولو لغرض ثقافي يستوجب العقاب بمقتضى القانون . ثم تراجعت السلطة الفرنسية خشية الانفجار الشعبي ، فأجازت فتح المدارس بعد الحصول على ترخيص منها ، وكان ذلك من اشق الامور لكثرة الشروط المفروضة . ومن عجائب مايروي في ذلك ان احد اعوان السلطة الفرنسية بوهران منح رخصة لاحد المعلمين ، ولكنه اشترط عليه الا يعلم فيها أكثر من تلميذين !!

وقد كان التبشير والقضاء على اللغة العربية صنوين متلازمين ، يصدران عن فكر استعماري عنصري واحد . ويكفي للدلالة على ذلك ان نستشهد بقول لافير دي كاردينال الجزائر في المؤتمر النصراني الذي عقد سنة ١٩٣٦ في

الجزائر : « اذا اردتم ان تدمجوا افريقيا الشمالية في العائلة الفرنسية ، فما عليكم الا ان تضربوا على ايدي اللغة العربية . فاذا توصلتم الى قتلها توصلتم الى الادماج . وليس هذا فحسب ، وانما ايضا الى التمسيح ، لان اللغة العربية هي ضمان الاسلام ، وهي لغة القرآن ، فمن حاربها حارب الاسلام وكان مبشرا » ومن قبل هذا الكاهن ، قال الكاردينال « لافيجيري » عبارة مماثلة : « لقد وجب اعادة بناء الشعب وفصم وقف حياته على القرآن الذي ارتبط به منذ زمن بعيد ، باستعمال كل الوسائل الممكنة . ومن جهة أخرى يجب تلقين ابنائه - على الاقل - مشاعر ومبادىء جديدة . كما يجب على فرنسا ان تقدم - اذا لم أخطىء - او بالاحرى تسمح بتقديم الانجيل ، او تعمل على طرد هذا الشعب الى الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر . وبغير هذا يصبح كل شيء وسيلة لاتفي بالغرض ولاقدرة لها » ولاعجب في هذا التصريح اذا علمنا ان الصليب الاستعماري كان يسير دائما في ركاب السيف ، وكان كلاهما يشكلان معا سياسة واحدة .

والى جانب هذا الطمس للشخصية الجزائرية ذات الانتماء العربي الاسلامي العريق ، شجع الفرنسيون بعض المنحرفين في فكرهم وممارساتهم عن جوهر الاسلام الغارقين في التهاويم والشعوذة والخرافات ، المعادين للعلماء الجزائريين ذوي الفهم الصحيح والايمان الواعي الصادق . فكان معظم هؤلاء المنحرفين يتلقون العون المادي والمعنوي من السلطات الفرنسية ليحاربوا اولئك العلماء الصالحين ويصرفوا الناس عنهم . وقد انتشروا في الاماكن النائية المعزولة عن المدن ، واتخذوا منها مرتعا خصبا لبث دعاواهم وأباطيلهم ، مستغلين الامية المتفشية وسوء الاحوال الاقتصادية والاجتماعية .

## ابن باديس ومنهجه في الفكر الاصلاحي :

في هذه الظروف المأساوية التي نجمت عن الاستعمار والتي اتسمت بالاضمحلال والجمود والقلق بالاوهام ، والانصراف عن الاسلام الحق في ايجابيته وسمو مبادىء ونظمه وقيامه على العلم والعمل والتقوى ، نشأ عبدالحميد بن باديس ، فوعى علة هذا الواقع السقيم ، واعمل فكره في التماس العلاج فوجد ضالته في النهج الاصلاحي الاسلامي الذي استنه من قبله الافغاني ومحمد عبده ، والذي كانت الصحف التي تصدر باسمه في المشرق ، وعلى رأسها العروة الوثقى ، تخترق أشعتها المغرب رغم الحصار المضروب . كما كانت هنالك بعض الكتب التي ترد من مصر وبعض الاقطار العربية الاخرى ، فضلا عن المؤلفات والمراجع التي تضمها المكتبات الخاصة في الجزائر .

وقد حذا ابن باديس حذو الحركة الاسلامية الاصلاحية من حيث نظرتها المتفتحة ، واعتمادها الاسلام عقيدة وسبيلا الى التحرر والتحضر والتقدم . فكان يتطلع الى بناء مجتمع جديد على قاعدة متينة من الاسلام بمفهومه

العقلاني دون بدع ولاتزمت . وبذلك تنهض الجزائر من كبوتها وتسترد اصولها التي كادت تقطع ، ثم تتقدم حثيثا الى الامام . فالاسلام في ينابيعه الصافية سبيل الى النهضة ، والنهضة هي طريق التحرر من الاستعمار . ومن ثم كانت رسالته ذات بعد ديني حضاري تحرري .

وفي ضوء هذا الفكر اعلن ابن باديس دعوته تحت شعار : « الاسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا » ، وسعى الى جعله واقعا معيشيا ، فانضمت اليه الصفوة من رجال الدين والتعليم ومختلف الفئات المثقفة ، وكان في طليعتهم : البشير الابراهيمي والطيبي العقبي والعربي التبسى ومبارك الميلي والعامودي ، والشعراء محمد العيد آل خليفة واحمد سحنون ومفدي زكريا . وقد ضموا صفوفهم حول ابن باديس تؤلف بين عقولهم وقلوبهم قوة الايمان ووحدة الهدف ، وتزيدهم قربا من الشيخ شخصيته الفذة الفتية ، تلك الشخصية التي وصفها المفكر الاسلامي الجزائري مالك بن نبي بقوله : « انها تجمع في طياتها جوانب بلغت من التنوع والغنى مبلغا يجعل في قدرة الباحث دوما ان يتطرق الى دراستها من زاوية تحرر الفكر من الظروف العريضة النسبية .

لقد كان مناظرا مفحما ، ومربيا بناء ، ومؤمنا متحمسا ، ومجتهدا يرجع الى اصول الايمان المذهبية ، ويفكر في التوفيق بين هذه الاصول توفيقا عزب عن الانظار ابان العصور الاخيرة للتفكير الاسلامي . وهو كذلك وطني مؤمن . والشعور الوطني المتقد يغدو لديه فيضا شعريا عندما ينظم قصائده التي قدر لها ان تعيد الى الشعب الجزائري ابعاده الحقيقية في التاريخ الاسلامي ، وفوق ذلك فقد كان ابن باديس مصلحا اقترن اسمه واثره بتاريخ هذا البلد ( الجزائر ) في مرحلة سياسية كانت تعده للثورة ، وفي هذه الكلمة من المعاني اكثر مما تعودنا ان نفهم » .

ويستطرد العلامة مالك بن نبي في تحليله للفكر الاصلاحي لابن باديس قائلا : « انه المصلح الذي استعاد موهبة العالم المسلم ، كما كانت في عصر ابن تومرت بافريقيا الشمالية . ولم يستطيع ان يطمح الى تأسيس امبراطورية تحرر الضمير ، لقد تغير الزمان ، فالاستعمار والقابلية للاستعمار غيرا كل المعطيات في الجزائر ، كما فعلا ذلك في سائر العالم الاسلامي . كانت الظروف تقتضي الرجوع الى السلف ادراجا ، اذ لم يكن القيام بأي عمل في النظام السياسي او الاجتماعي وغيره ممكنا قبل تحرير الضمائر . وكل مذهب الاصلاح الجزائري الذي تجده في ابن باديس كان لابد ان يصدر عن هذه الضرورة او عن هذه المقتضيات الخاصة . والمبدأ الاساسي القائل : **( ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )** الرعد / ١١ الذي كان اول خطوة في الاصلاح يمكن ان يعتبر ـ من زاوية ما ـ ترجمة لهذه الضرورة في صيغة مذهبية . وقد كان للشيخ دوره في توجيه الرأي العام الجزائري ، وكان كذلك المعلم الذي يدرس في معهد تكون فيه كل قادة تعليمنا الحر وحتى شعراؤنا . لقد كان المدافع عن الدين ، والناقد الاجتماعي ، والعالم

المحقق ، والمصلح ، كل بدوره ، وهو مثقف يعيش مأساة مجتمع وحضارة على طريقته الخاصة » .

**مكافحة اعداء الدين والعروبة :**

أدرك الشيخ ابن باديس ان العمل الفردي لايجدي في مواجهة المستعمر الغاشم وأساليبه ، وانه لابد من انشاء تنظيم محكم قادر على هذه المواجهة .

**فأنشأ جمعية العلماء الجزائريين المسلمين سنة ١٩٣١** . ولكي تحبط الجمعية اعمال الحركة التبشيرية والمنحرفين التابعين للاستعمار وما افرزته من فساد اجتماعي ، ركزت نشاطها على انشاء المدارس الحرة الشعبية لاحياء الدين واللغة العربية ، ومن ثم بدأ الصراع بينهما وبين الجهاز الاساسي للاستعمار المتمثل في رجال التنصير الاباء والاخوة البيض الذين كانوا يغرسون في النشء تلك الفرية الصارخة القائلة بان الجزائر فرنسية !! ولم يعمد الفرنسيون الى استخدام العنف لتصفية حركة ابن باديس في السنوات الاولى لنشأتها ، اذ عدوها حركة دينية فقط فلا خطر منها ، ولان استخدام القوة لقمعها من شأنه ان يفضح ادعاءهم الحرص على اقرار حقوق الانسان وتشدقهم بالديمقراطية . وقد افاد رجال الجمعية من هذا الهامش الضئيل الذي اتاحته لهم السلطات المحتلة في بث دعوتهم الاصلاحية وانشاء مؤسساتهم في ظل رقابة صارمة منها . وظل الصراع خفيا حتى اسفر عن وجهه ، مسدلا الستار على الهدنة المؤقته ، ومفجرا الصدام الذي أرجئ طويلا ، وذلك بعد ان شعر الفرنسيون بالخطر الذي تشكله الجمعية بمبادئها واهدافها القريبة والبعيدة ، فكان القمع والتنكيل ، ثم كان الاعدام الجماعي حين اشتد ساعد الكفاح ، وانتشرت المقاومة في الاربعينات والخمسينات ، واصبحت القضية لدى المعسكرين « نكون اولا نكون » .

ولم تكن المدارس التي اسستها جمعية العلماء الجزائريين مجرد كتاتيب لتعليم مبادىء القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن على النمط التقليدي ، بل كانت الى جانب ذلك مراكز لتنوير وبث الوعي ومنارات للمعرفة العصرية . ومن ثم دعا ابن باديس الى دراسة علم الاخلاق وعلم النفس ، واعتبر هذه الدراسة مبدأ اساسيا في مناهج التربية والتعليم ، وانتقد طرق التعليم في عصره قائلا : « ان التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه ، اذ ان تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الاقطار لايفيد المتعلم ..... فلا بدمن معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا . اما اذا اقتصرنا على احد العلمين ضاع مايفتقر لذلك العلم المجهول . ولكن اهل زماننا تركوا العلمين معا ولاحول ولا قوة الا بالله . نعم انه يوجد بعض العلماء ولكن صاروا لقلتهم كالعدم » ولم يغفل المصلح الجزائري عن جانب مهم من الحياة الاجتماعية الاسلامية ، وهو خطبة الجمعة فدعا الى اصلاحها ، وأشار الى الحضارة الاسلامية وتاريخها ، واستشهد بأقوال الاجانب مما يدل على سعة اطلاعه .

## صحف جمعية العلماء الجزائريين :

إلى جانب النهضة التعليمية الاسلامية التي حملت لواءها جمعية العلماء الجزائرين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، أصدرت الجمعية عدة صحف تنطق بلسانها وتبث دعوتها ، إدراكا منها لما تلعبه الصحافة من دور كبير في تشكيل اتجاهات الرأي العام ، وأن كل الحركات التاريخية بدأت بإصدار الصحف والمجلات ، ودحضا للدعاوي الباطلة التي تنشرها الصحف الاستعمارية في الجزائر . وأول صحيفة صدرت هي « المنتقد » التي أسسها ابن باديس سنة ١٩٢٥ وتوقفت بعد صدور ثمانية عشر عددا منها ، وخلفتها صحيفة « الشهاب » في نفس السنة ، وكانت اسبوعية ، ثم تحولت إلى شهرية في سنة ١٩٢٩ واستمرت في أداء رسالتها حتى الحرب العالمية الثانية إذ توقفت في سبتمبر ١٩٣٩ . ثم أصدر الشيخ ابن باديس جريدة « البصائر » وأصدر الشيخ محمد السعيد الزاهري جريدة « الجزائر » وقد عطلتها الحكومة الفرنسية ، وأصدر الشيخ العقبى والشيخ أحمد العابد جريدة « صدى الصحراء » ثم صدرت جريدة « البرق » سنة ١٩٣٧ . وأصدر الشيخ العقبى كذلك جريدة « الاصلاح » .

وقد كانت هذه الصحف التي أصدرها الشيخ ابن باديس وأصحابه امتدادا للصحف الجزائرية العربية التي أصدرها المثقفون الجزائريون في مطالع هذا القرن ، والتي وضعت البذور الأولى للنهضة ، وكان الدافع إلى إصدارها الرد على الجريدة الحكومية التي كانت تحاول أن تبث الدعاية ضد الوطنيين الذين هم في نظرها شياطين مشوشون . وأول هذه الصحف جريدة « الجزائر » التي أصدرها بالعاصمة عمر راسم سنة ١٩٠٨ ، ثم جريدة « الحق » سنة ١٩١١ في وهران ، وهي أول جريدة فتحت الاكتتاب للهلال الأحمر العثماني أيام حرب طرابلس ، وأول من نبه إلى الخطر الصهيوني ، وفي عام ١٩١٣ أسس الشيخ عمر بن قدور صحيفة « الفاروق » ثم صحيفة « الاقدام » التي أصدرها الأمير خالد حفيد البطل الجزائري الأمير عبد القادر وذلك سنة ١٩١٩ . وفي السنة نفسها أصدر الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي بالاشتراك مع ابن باديس جريدة « النجاح » .

وقد كانت هذه الصحف وسيلة للاتصال بين المشرق والمغرب ، وينتمي بعض مؤسسيها إلى المدرسة الاصلاحية المتأثرة بالامام محمد عبده الذي زار الجزائر ، والتقى بعلمائها في مطلع هذا القرن ( ١٩٠٥ ) ، وكانت تستعين بمجلة « المنار » لرشيد رضا ، فتنقل بعض مقالاتها ، وتهتم بأخبار العالم الاسلامي . وقد سارت على نفس النهج صحف جمعية العلماء المسلمين ومجلاتها ، فكانت تؤدي رسالة اليقظة والتوعية ، وتمثل لسان الشباب الناهض بالوطن الجزائري . وقد حملت الصحيفة الأولى التي أسسها ابن باديس اسم « المنتقد » للدلالة على معنى النقد ،

وكان شعار « المنتقد »
« الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شيء » . ومن الاتفاقات الغريبة كما يقول الأستاذ عمار الطالبي أن جريدة « المنتقد » قد صودرت بعد ثمانية عشر عددا منها كما وقع ذلك للعروة الوثقى إذ صودرت بعد صدور هذا العدد أيضا .

والواقع أن الجريدتين متشابهتان في اللهجة الثورية وتوجيه النقد للأوضاع الاجتماعية والسياسية ، وتصدران عن روح واحدة وإرادة قوية وحماسة يقظة .

وأخذ الامام ابن باديس يوقع مقالاته في صحف الجمعية بأسماء تعيد إلى الأذهان أمجاد الماضي الذي حاول الاستعمار دفنه . فترددت أمام الأنظار أسماء « الكيتامي » و « الصنهاجي » و « الزواوي » و « العبسي » وصارت هذه الصحف تنشر الأنباء عن الثورة السورية ، وثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب ، وعن البطولات الليبية ضد الطليان ، وعن قضية فلسطين ، لكي يشعر القارىء بأنه جزء من أمة عريقة كبيرة تنتفض لنيل حريتها . ومن طيات التراث بدأت تتردد قصص عن البطولة العربية . كما بدأت اتجاهات ابن باديس نحو تربية الشبيبة وإعدادها للمعركة الحاسمة . فباسمه يرتبط إنشاء الفرق الرياضية والكشفية ، التي كانت تعبيرا واضحا عن يقظة الوعي القومي والاستعداد للجهاد في سبيل التحرر واسترداد الشخصية العربية الاسلامية .

لقد كانت حركة الوعي في المشرق في بعض جوانبها تصديا لغزوةخارجية عن طريق الصحافة ، وكانت حركة الوعي في الجزائر تصديا لمحاولات الوأد والافناء المتكررة ، إلا أنهما التقيا معا في المنطلق الاساسي وهو العودة إلى الجذور ، بإحياء اللغة والفهم الصحيح للدين بصورته الديمقراطية المتسامحة والداعية إلى مواجهة الظلم ، والشعور بالكيان القومي المشترك الموحد . وقد عبر ابن باديس عن هذا المنطلق في أبياته المشهورة التي كانت أشبه بالنشيد القومي ، يردده عشرات الآلاف من الشباب ويحفظه التلاميذ في المدارس بدلا من نشيد « المارسيليز » الفرنسي الذي كانوا يجبرون على ترديده كل يوم ويؤدون تحية العلم الفرنسي :

شعب الجزائر مسلم
وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أو قال مات فقد كذب
من رام إدماجا له
رام المحال من الطلب

وبصدور صحف جمعية العلماء الجزائريين ومواصلتها أداء رسالتها إلى جانب المدارس التي أسستها الجمعية نشب صراع بين المخطط الاستعماري الذي يهدف إلى التنصير وتغليب ظاهرة الخمود بإغلاق أبواب الفكر ، وبين الجمعية التي تبذل جهدها للقضاء على تلك الظواهر الضارة بل المدمرة ، وبعث حركة اجتماعية تهدم الفاسد وتنمى

الصالح . ولم يكن ثمة مفر من وقوع الصدام بعد أن أدرك أرباب التبشير المستعمرون مدى خطورة ابن باديس وأصحابه على مصالحهم ، نظرا لأن المحاولات الاصلاحية التي سبقت جمعية العلماء الجزائرين كانت كلها جزئية فردية لا تشمل الوطن كله ، وذلك على عكس حركة ابن باديس ذات الصبغة العامة والاعتماد على تربية الشباب .

**تدابير الاضطهاد والقمع :**

وهكذا بدأت إجراءات القمع بشتى صنوفها بعد أن أثمرت جهود التعريب والتوعية الاسلامية التي قامت بها جمعية العلماء محطمة ما سعت حركة التبشير طويلا لانباته في الأرض الجزائرية . فأصدرت السلطات الفرنسية قرارا يمنع كل منتسب إلى الجمعية من إلقاء دروس أو خطب في المساجد ، إذ كانت المساجد تحت إشراف هذه السلطات . فأدى ذلك إلى قيام الشعب بإنشاء مساجد حرة بالاكتتاب المالي ، ووكل أمر أداء الشعائر بها إلى أعضاء الجمعية ، ويتبين من ذلك أن المستعمر الفرنسي الذي كان يهدم المساجد أو يحولها إلى أغراض أخرى في القرن التاسع عشر ، قد خفف من أسلوبه القائم على استخدام القوة منذ الثلث الأول للقرن العشرين تحت ضغط الظروف الجديدة التي أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى ، وقيام عصبة الأمم التي أقرت مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، والرعاية الانسانية لسكان المستعمرات .

غير أن السلطات الفرنسية في الجزائر لم تلبث أن ضربت عرض الحائط بالمبادىء التي نص عليها عهد العصبة والمعاهدات الدولية الأخرى الخاصة بحقوق الانسان ، وذلك بعد انتشار مبادىء جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، فعادت تلك السلطات إلى أساليب القوة التي استخدمتها قديما من اضطهاد لاعضاء الجمعية ومصادرة لصحفهم ومجلاتهم ، حتى أصدر مجلس الجمعية قرار بناء على اقتراح من الشيخ ابن باديس بالتوقف عن إصدار الجرائد سنة ١٩٣٣ بعد أن شددت عليه السلطة ضغطها لتأييد السياسة الاستعمارية .

ولقد دفع بعض أعضاء جمعية العلماء الجزائريين المسلمين حياتهم ثمنا لمواقفهم البطولية ، ومواجهتهم الغزو التبشيري والعدوان على وطنهم وأمتهم . فاستشهد الشيخ التبسي إذ لم يعثر له على أثر بعد أن اختطفه الجنود الفرنسيون ، والأديب رضا حومو الذي ألقوه من أعلى جسر في قسنطينة ، ليسقوا بدمائهم شجرة الحق والحرية ، ويمهدوا الطريق لثورة نوفمبر ١٩٥٤ التي رفعت راية الجزائر الشعبية العربية الاسلامية ، وليخلدوا في التاريخ مع أولئك الأدباء الجزائريين الذين حاربوا الاستعمار بأقلامهم الوطنية من خلال اللغة الفرنسية التي فرض عليهم تعلمها ، على حين حيل بينهم وبين تعلم اللغة العربية ، واستشهد منهم مولود فرعون الذي سقط قتيلا برصاص عصابة الأقدام السوداء الفرنسية في الجزائر .

## فأما الزبد فيذهب جفاء :

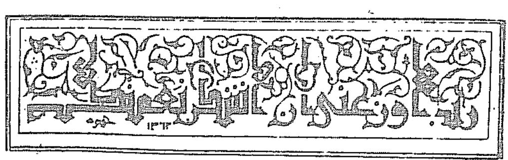
ويكفي تخليدا للدور التاريخي الذي قامت به جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، أنها مهدت - جنبا إلى جنب مع الحركات الوطنية - لتفجير الثورة التحريرية الجزائرية التي جعلت المدرسة والجامعة والمركز الثقافي والقرية الزراعية الاشتراكية والمصنع والمعمل والمستشفى ومؤسسات الضمان الاجتماعي بديلا عن السجن ومركز الاعتقال والمنجم الذي تذوب فيه حياة العمال الجزائريين لتتزايد أرباح المستعمرين الغاصبين . بل يكفي تمجيدا لرجال هذه الجمعية أنهم أثبتوا أن العنصر الثقافي الأصيل لا يموت ، ولكنه يتخذ لنفسه مسارات خاصة أمام الغارات الأجنبية وفي ظل الضغط والقسر الثقافي .

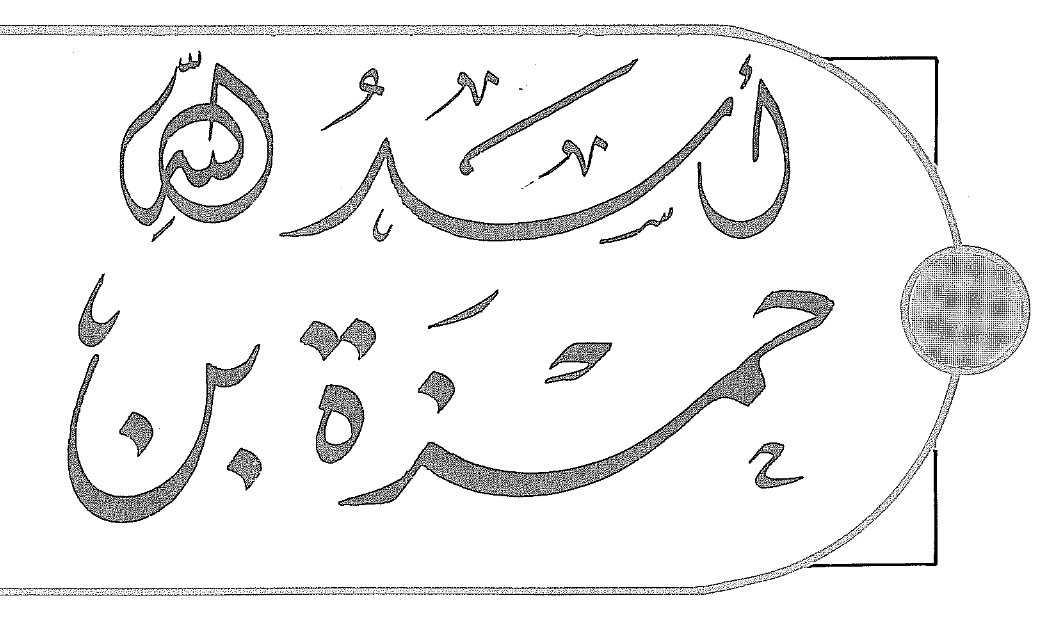
لقد سقطت إلى الأبد بفضل جهود جمعية العلماء الجزائريين ورفقائهم من المناضلين الوطنيين أسطورة « الجزائر فرنسية » وفرية « فرنسا هي الوطن الأم » ، وسقطت محاولات التبشير والقضاء على اللغة والثقافة العربية ، وظهر الجوهر الجزائري الصافي من تحت الركام الذي استمر أكثر من قرن ، ومن خلال لهيب المقاومة الشعبية وإعادة المفاهيم الصحيحة للاسلام . فبعد تجربة المستعمرين الطويلة تأكدوا أن التبشير بين المسلمين هو كالحرث في البحر لا يؤدي إلى أية نتائج . ولما اتجهوا إلى التبشير الثقافي والسياسي أحبطت أعمالهم أيضا . وقد اعترف بهذه الحقيقة الراهب « كارون » في كتابه « رحلة في الجزائر » إذ قال : إن الأطفال الذين جمعتهم السلطات العسكرية والدينية الفرنسية في مراكز التنصير يلوذون بالفرار » .

وشهد الراهب « جيرارد » أيضا على هذا الفشل فقال : « عندما جئت إلى الجزائر كنت آمل في تنصير العرب . ولقد رأيت عددا منهم يصلون إلى مرحلة التعميد ، ولكنني لم أر أحدا يثبت أو يبقى على النصرانية » . وقد نقل الأمير شكيب أرسلان عن جوستاف لوبون قوله « إن الأربعة آلاف يتيم الذين رباهم الكاردينال لافيجيري في الديانة المسيحية ، منقطعين في علائقهم مع المسلمين ، وتلقوا التربية المسيحية بكل معناها ، ما إن بلغوا سن الرشد حتى عادوا إلى الاسلام دين آبائهم إلا النادر منهم .

وصدق الله العظيم : ( **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ) الرعد/ ١٧








**مقدمة :**

لو استطاعت جبال مكة لأنتّ جزعا مماكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه بعد أن أعلن دعوته إياهم الى الاسلام ، ولو أعطيت حجاراتها ألسنة لنادت بالويل والثبور لمن يصفون الصادق الأمين بالكذب على ربه والتزوير على مرسله .

التجار خائفون على تجارتهم أن تبور إذا بطل الغبن واستقامت الأمور ، والسادة يخشون أن يتساوى بهم عبيدهم فلا يبقى آمر ومأمور . وعامة القوم عاكفون على أصنام يعبدونها استمرارا للعادة ورضوخا لحكم التقاليد ، إذ يعز عليهم أن يستبدل بها وبعبادتها عبادة الخالق العظيم ، وقائد قريش في معارضتها للدين وفي إيذائها لرسول الله وأتباعه الضعاف أبو جهل الذي اضطرم فؤاده بالحقد ، وامتلأت نفسه بالبغضاء لبني هاشم أن يظهر من بينهم هذا الرجل الذي تكاد كلماته تحرك الجماد وتعطف الحيوان ، والتي جمعت حوله أناسا يفدونه بكل ما يملكون وبأعز مما يملكون ، بأرواحهم التي بها يحيون ، فلم يترك شيئا يستطيع ان يسيء به إلى رسول الله إلا فعله ، ولم يعرف لفظا بذيئا يشتم به الاسلام والمسلمين إلا فاه به .

# وسيد الشهداء عبد المطلب

**للأستاذ محمد علي العبد**

### إسلام حمزة رضي الله عنه :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجابه قريشا بكل بطونها يدعوهم الى الخير والاسلام ، ويدعونه الى الاستمرار على ما كان يعبد الآباء ، يتردد بين الصفا والمروة والبيت العتيق ، كان جالسا يوما عند الصفا فمر به أبو جهل ( بهذا كناه المسلمون ) فآذاه ونال منه ، وعاب دينه ، ولم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب أبو جهل إلى نادي قريش عند الكعبة ، وكان ذلك كله على مرأى ومسمع من جارية لعبدالله بن جدعان كانت بمسكنها عند الصفا ، فأهمها ما سمعت وثقل على نفسها مارأت ، فلما رأت حمزة بن عبد المطلب ذلك اليوم راجعا من قنصه متوشحا قوسه ـ وكان إذا رجع لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة ، ويقف على أندية قريش ، ويسلم عليهم ، ويتحدث معهم ـ وكان أعز قريش وأشدهم شكيمة ـ فنادته قائلة له : ياأبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن اخيك محمد من أبي الحكم بن هشام ، فانه سبه وآذاه ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد ، فاستشاط غضبا وخرج مسرعا لا يقف على أحد كما كان يصنع ، فلما دخل المسجد رأى ابا جهل جالسا في القوم ، فأقبل نحوه ، وضرب رأسه بالقوس فشجه ، وقال : أتشتم محمدا وأنا على دينه ؛ أقول ما يقول ! فاردد علي إن استطعت ، وقام رجال من بني مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني سببت

ابن اخيه سبا قبيحا .

وتم حمزة على اسلامه ، فلما اسلم عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

وأنذر عشيرتك الأقربين :

ولما نزل قوله تعالى : ( **وأنذر عشيرتك الأقربين** ) جلس رسول الله في بيته كالمريض ، فأتته عماته يعدنه ، فقال : ما اشتكيت شيئا ، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فقلن له : فادعهم ، ولا تدع أبا لهب فيهم فإنه غير مجيبك .

كان أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو عبدالمطلب وهم عشرة ذكور وست نساء لم يكونوا جميعا أحياء عند بعثته ، ولكن الموجودين منهم يومئذ وهم أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب وقفوا إلى جانبه إلا أبا لهب فإن زوجته أم جميل استطاعت أن تذهب به بعيدا عن قومه ليدور في فلك أخيها ابي سفيان بن حرب وقومه بني أمية ، الذين عادوا الدعوة الاسلامية أشد العداء حسدا أن يكون نبي من أبناء عمومتهم ، كما فعل بنو مخزوم وبنو عدي وبنو سهم وغيرهم ، فقد كانت قريش صاحبة الحرم ومضيفة الحجيج ، تملك الأموال الكثيرة ، والتجارة العظيمة لها بين العرب الحب والأكرام ولدى الدول المجاورة الهيبة والاحترام لايسفك دم في بلدها ، ولا يعتدي على حرمة في ارضها ، أمن وحشها واطمأن طيرها ، بل وحفظ شجرها ، قال تعالى « **أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم** » فبطونها متنافسة في نيل المحامد يشق على كل واحد منها أن يقر بالسبق لغيره أو يرضى بالتقدم لسواه . بل إن انحياز أبي لهب لبني أمية حمله على تطليق ابنتي الرسول من ولديه لالحاق الأذى برسول الله ، وكان جارا لرسول الله فكان يضع القذر على باب رسول الله ، فكان الرسول يقول إذا شاهد ذلك : أي جوار هذا يابني عبدالمطلب ؟ فرآه حمزة يوما يفعل ذلك ، فأخذ القذر وطرحه على رأس أبي لهب ، فجعل ينفضه عن رأسه ويقول : صاحبي أحمق ، وأقصر عما كان يفعل ، ولكنه صار يضع من يفعل ذلك .

لم يطع الرسول الكريم عماته بل صدع بأمر ربه فدعا عشيرته الأقربين جميعا ومعهم نفر من بني عمومتهم ، فبادره ابو لهب الى الكلام وقال : هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك ، فتكلم ، واعلم انه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وان احق من اخذك فحبسك بنو أبيك ، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش ، وتمدهم العرب ، فما رأينا أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به . لم يكتف أبو لهب بهذا بل جابه الرسول صلى الله عليه وسلم بالتكذيب في مواطن كثيرة ، ولذلك نزلت في حقه السورة المعروفة .

ومما يروى في هذا السياق ان معاوية بن أبي سفيان كان إذا رأى

عقيل بن أبي طالب قال : هذا عمه أبو لهب ، فيقول عقيل : وهذا عمته حمالة الحطب .

### حب حمزة لرسول الله:

حمزة أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، أما أمه فهي ابنة عم أم رسول الله فكلتاهما من زهرة ، ولد قبل الرسول بسنتين وقيل بأربع ، لم يمنعه كبر سنه هذا ولا كونه عم رسول الله من الاستجابة للدعوة الاسلامية كما فعل أبو طالب الذي ناصر الرسول وأحبه حبا عظيما كحمزة ، ولكنه خشى أن تعيره نساء قريش إن اسلم ، ولم يفعل كما فعل العباس الذي كان يكن في قلبه عطفا عظيما على رسول الله ، ولكن حرصه على صلاته بزعماء قريش جعله يؤخر اسلامه حتى قتل منهم من قتل ، وأسلم أخيرا منهم من أسلم ، لقد نسى حمزة أنه من سادات قريش وعظمائها فجعل هذه المعاني وراء ظهره ودبر أذنه إذ صهر الاسلام نفسه وقلبه وكل عواطفه .

لما تآخى المسلمون في المدينة بعد الهجرة كان أخاه زيد بن حارثة الذي كان عبدا أسود أعتقه رسول الله وسمته قريش زيد بن محمد ، قال عمر ابن الخطاب : ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت الآية ( **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ) .

ولما خرج من خرج الى بدر ، حيث كانت المعركة الكبرى ، من المسلمين ، لم تكن لدى كل منهم ركوبة يمتطيها ، بل كان الاثنان والثلاثة يتعاقبون على الجمل الواحد ، فكان حمزة وزيد بن حارثة ومولیان آخران لرسول الله يتعاقبون على جمل واحد .

ولما كانت معركة أحد أوصى حمزة رضي الله عنه ، إن أصابه حادث الموت ، لزيد بن حارثة أن يقوم بعده على شؤون أهله .

إن هذا كله يدل على مقدار حب حمزة لابن أخيه إذ قرن حركاته وسكناته وأخوته في حياته ووصيته في مماته بمولى رسول الله . وقد كان شرفا كبيرا لكل كبير من الانصار والمهاجرين أن يكون أخا لحمزة في الحياة ووصيا في أهله بعد الممات .

إن حب حمزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من جانب واحد فقط بل إن رسول الله كان يحب عمه حمزة حبا لم يظهر منه مثله لأحد ، وقد ظهر ذلك الحب العظيم يوم أحد ، يوم استشهد حمزة ومثل به ، مما سيأتي ذكره في مكانه .

### شجاعة حمزة رضي الله عنه:

لو لم يكن سيدنا حمزة من الشجاعة في الذروة العليا ومن الاقدام في المحل الأسمي لما أقدم على شج سيد بني مخزوم بقوسه على ملأ من قريش ، وفي وسط ناديها ، وفي قلب البيت الحرام ، وبنو مخزوم يومئذ رأس قريش مالا وعددا .

وحسبك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه ( أسد الله ) ومن أوسمة الشجاعة التي علقها التاريخ

على صدر سيرته ما حدث يوم اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلقد حمل عمر سيفه ، وذهب إلى دار الأرقم حيث يجتمع الرسول بأصحابه ، فلما طرق الباب نظر أحدهم من خلل الباب فرآه ، وكان شديدا على المسلمين يعذبهم ليفتنهم عن دينهم ، يعينه على ذلك أنه جلد منيع ، فلم يكن مجيئه شيئا سارا ، ولا منظره على هيئته تلك شيئا محبوبا ، ولكن حمزة قال للرسول : إئذن له ، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن أراد شرا قتلناه بسيفه .

أما شجاعته في ساحات القتال فينبئك عنها اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم إياه لقيادة أول جيش ارسله لاعتراض عير قريش مكون من ثلاثين مقاتلا ، فوجد تلك العير بحراسة ثلاثمائة مقاتل ، فلم ينكل عنهم ، بل واقفهم للقتال ولكن أحد أمراء العرب واسمه مجدي بن عمرو الجهني حجز بين الفريقين ، فقد كان حليفا لكلا الفئتين . وفي أول غزوة خرج فيها الرسول بنفسه بعد اثني عشر شهرا من هجرته الى المدينة ، وهي غزوة الأبواء ، كان حامل لواء رسول الله حمزة بن عبدالمطلب .

● ولو ادعى مدع ان انتصار المسلمين في غزوة بدر العظمى إنما كان بشجاعة حمزة لاستطاع أن يستدل على رأيه بأمرين :

● الأول قتله الأسود بن عبدالأسد المخزومي ، وكان مدلا بشجاعته تياها بنفسه ، قبيحا في أخلاقه ، فأقسم أن يشرب من حوض المسلمين وأن يهدمه أو يموت دونه ، لقد كان حين خرج من بين جيش قريش يحمل عزة مخزوم كلها وغطرستها ، فتصدى له سيدنا حمزة فأطار قدمه مع نصف ساقه ، فلم يرتدع ، ولم يتراجع ، بل أخذ يحبو ويزحف إلى الحوض حتى اقتحمه ليبر بيمينه ، فتبعه حمزة ، وقتله في الحوض .

أما الثاني فقتله سيدان من سادات قريش هما شيبة بن ربيعة الذي بارزه فقتله ، وعتبة بن ربيعة الذي اشترك مع علي رضي الله عنه في قتله ، وذلك بعد الحادث الأول ، حين برز عتبة بن ربيعة واخوه شيبة بن ربيعة وولده الوليد بن ربيعة وطلبوا مبارزة أبناء عمومتهم رافضين مبارزة ثلاثة من الأنصار خرجوا اليهم ، فدعا الرسول حمزة وعليا وعبيدة بن الحارث لمبارزتهم .

لقد كان هذان الأمران مما أذل شجعان قريش ، وشل حركتهم ، وطار بقلوبهم ، وحطم روحهم المعنوية فتمت الهزيمة عليهم بتوفيق الله . بل ان المرء ليتخيل ان غزوة احد انما اثارتها قريش لاغتيال سيد الشهداء حمزة الذي بهر قريشا بشجاعته في بدر ، فجاءوا بذلك الفتى الحبشي ( وحشي ) لاغتيال حمزة بتلك الطريقة التي لم يكن العرب يعرفونها في حروبهم لأنها تقوم على الغدر والخداع .

## الابتلاء العظيم :

غزوة أحد كانت هجوما قرشيا على

المدينة المنورة للثأر لقتلى بدر وهزيمة بدر ، لقد كان جيشهم ثلاثة آلاف مقاتل يقوده ابو سفيان بن حرب الذي تركته غزوة بدر يسود قريشا ، غير منازع ، بمقتل ساداتها هناك .

لقد جمع أبو سفيان هذا الجيش الكبير من قريش ومن الأحابيش وغيرهم ، واستعد للثأر لهزيمة بدر أعظم الاستعداد ، فصحب زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة التي قادت فريقا من النساء القرشيات أتين لبث روح الاقدام في كفار قريش وحلفائهم ، وجيء بفتى حبشي يحسن رمي الحربة من بعيد لاغتيال حمزة رضي الله عنه .

لقد خرج الرسول إليهم في سبعمائة مقاتل ونظم جيشه تنظيما جيدا ، وكان النصر في بادىء الأمر للمسلمين ، لكن مخالفة بعض فرق الجيش لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت سببا في ظهور قريش واستشهاد كثير من المسلمين .

ولكن أيعتبر تجاوزا للحقيقة اعتبار استشهاد حمزة رضى الله عنه سببا لما حل بالمسلمين ، وبما نال المشركون من نصر ؟

لقد جاءوا بهذا الفتى الحبشي لاغتيال حمزة ، ووعدوه بنيل حريته ان فعل ذلك ، فاستعد طويلا على استعمال الحربة التي يعرفها قومه الأحباش . لقد روى وحشي الحادثة ، فقال : والله اني لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه ، ما يليق به شيئا ، مثل الجمل الأورق ، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في أسفل بطنه حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فغلب فوقع ، وأمهلته حتى اذا مات ، جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحيت ولم تكن لي بشيء حاجة غيره ، وإنما قتلته لاعتق ، فلما قدمت مكة اعتقت .

لقد خلعت هند حليها كله وألبسته لوحشي ، واستبدلت به قلائد من آذان وأنوف شهداء المسلمين ، ولم تقنع من حمزة بجدع الأنف والأذن بل بقرت بطنه ، وأخذت قطعة من كبده فلاكتها ، فلم تستطع ان تسيفها فلفظتها وأنشدت :

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
شفيت نفسي وقضيت نذري
شفيت - وحشي - غليل صدري
فشكر وحشي على عمري
حتى ترم أعظمي في قبري

لقد انهزم كثيرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، واصيب بعدة جراح ، ولكن مصيبته في حمزة جعلته يخرج الى طور الانسان في أمرين :

* الأول أنه أقسم قائلا : لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم ، ولكن الله تعالى رده ردا جميلا الى ما يليق به فقال « **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم . ولا تك في**

**ضيق مما يمكرون** » ، فعفا رسول الله ، ونهى عن المثلة .

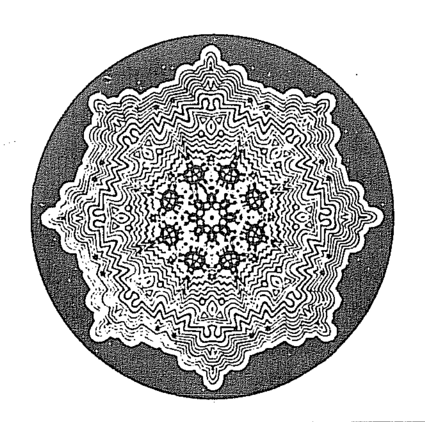
* اما الأمر الثاني فأنه لما سمع نساء الأنصار يبكين على قتلاهم قال « لكن حمزة لابواكي له » فسمع ذلك رجال من الأنصار ، فجاءوا بنساء يبكين على حمزة ، فلما سمع الرسول ذلك قال : ما هذا ؟ فأخبروه ، فقال اني لاحب البكاء ، ونهى عنه .

ولقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مصرع حمزة وناداه قائلا : أي عم ، رحمك الله ، لقد كنت وصولا للرحم ، فعولا للخيرات . وحاول أن يمنع صفية عمته من مشاهدة حمزة ممثلا به فلما علم بقوة صبرها سمح لها بذلك .

ولقد راح ابو سفيان صخر بن حرب يطعن حمزة برمحه ميتا ، فعابه سيد الأحابيش على فعلته ، قال له : لقد كانت غلطة فاكتمها . ولقد شوهد أبو سفيان يقف على قبر حمزة بعد أن آل الأمر الى بني أمية ، ويخاطبه ، قائلا : رحمك الله ياأبا عمارة ، لقد قاتلتنا على أمر صار إلينا .

هذه سيرة رجل كان له في نصر الاسلام واعلاء شأنه وخضد شوكة مناوئيه ما قصصت عليك ، وما لم أقصص ، من اقدام لا تردد فيه وبلاء منزه عن أي فخر يباريه ، وانكار للذات لم يشبهه أحد فيه ، عاش مجاهدا يعادي أعداء الاسلام ويؤاخي انصاره ومواليه ، فما أحسن أن ننشر اخباره ، وأن نكثر من الحديث عن صفاته ، ليكون نبراسا يهتدي به في ظلمات الفخر الأحمق والتباهي بالتوافه والكبرياء على خلق الله مما نرى ونشاهد هذه الأيام .

بل إن من حقه علينا أن نطلق اسمه على نوادينا وشوارعنا ومدارسنا ومساجدنا لا تخليدا لأعظم أبطال الاسلام فقد خلدته أعماله ، ولكن تخليدا للصفات السامية وابرازا للمعاني النبيلة التي يجب أن ترى في كل مكان لتكون ذكرى للذاكرين .



# عودة البرداء



«ان البرداء ( الملاريا ) من أعظم المحن التي ابتليت بها البشرية.

الملاريا «ملك الامراض» اللعين الذي يعد اوسع الامراض انتشارا في العالم، واكثرها فتكا بالانسان. لقد استعاد البعوض الناقل لهذا المرض نشاطه بعد ان اصبح يتمتع بمناعة ضد المبيدات الحشرية، والأدوية التقليدية للملاريا ؟! وازداد انتشاره حتى في أكثر الدول المتقدمة علميا وتكنولوجيا مثل فرنسا والمانيا وبريطانيا وامريكا حيث ظهرت بعض حالات ادت الى الوفاة. لذلك تتجه البحوث حاليا الى محاولة انتاج لقاح او اكثر، وكذلك ادوية جديدة لمواجهة مرض الملاريا. هذا الشبح المخيف. لقد حدثت ٥٠ حالة وفاة بسبب الملاريا فيما بين عامي ٧٣ و ١٩٨٣ في جمهورية المانيا الاتحادية وفي عام ١٩٨٠ حدثت في بريطانيا تسع وفيات وفي نفس السنة توفى خمسة سياح نمساويين لدى عودتهم من رحلة صيد في شرق افريقيا بعد معالجتهم باعتبارهم مصابين بالانفلونزا، لان احتمال اصابتهم بالملاريا لم يخطر على بال احد



عمليات الرش مستمرة من اجل القضاء على البعوض

كما أن الامثلة على ذلك كثيرة في أسيا وأفريقيا نذكر منها :

* في الهند بلغ عدد حالات الاصابة بالملاريا سبعة ملايين حالة في ١٩٨١ ، وهي أكثر مائة مرة مما كانت عليه في عام ١٩٦٢ ؟!

* وفي جهات أخرى من أسيا وأمريكا اللاتينية بلغت نسبة زيادة الاصابة بالملاريا الضعف وأحيانا اربعة أمثال ماكانت عليه منذ عامين فقط !!

* وفي أفريقيا ـ وخاصة في المناطق الريفية منها حيث تتوطن الملاريا ـ يتعرض جميع السكان للاصابة بها بين يوم وآخر .

* وفي تركيا ، حيث كان يعتقد ان الملاريا قد استؤصلت ، عادت الى الظهور بصورة مكثفة .

* كما أصبحت المناطق المحيطة بالبحر الابيض مهددة بانتشار الملاريا ، فقد ظهرت حالات الاصابة بها في اوروبا الغربية ، منتقلة اليها عن طريق العمال المهاجرين والسياح وسائقي اللوريات الذين يصلون من آسيا وقد أحصيت حالات الاصابة بالملاريا في فرنسا فبلغت ٢٠٠٠ اصابة .

وطبقا لاحصائية أجرتها منظمة الصحة العالمية .. W . H . O فان أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة يصابون بالملاريا .

ومما هو جدير بالذكر انه في عام ١٩٥٤ كانت منظمة الصحة العالمية

تساعد الدول على استئصال الملاريا ، ولكن هذه المساعدات لم تعد قائمة في الوقت الحاضر مع الاسف الشديد ، وغير مقطوع باستمرارها في المستقبل ، وقد صرح مدير المنظمة بقوله : « لكي اتحدث بصراحة يجب ان نعترف هذه المرة انه في افريقيا مثلا فان غاية ما نستطيع عمله هو التأكد من ان اي شخص يصاب بالملاريا يمكنه الحصول على بعض الاقراص لعلاجه » .

ومن الثابت علميا انه في المناطق التي تحدث فيها الملاريا الخبيثة بصورة طبيعية يكون هذا المرض من الاسباب الرئيسة لوفيات الرضع اذا لم يتوفر العلاج كما انه يصيب جميع السكان بالضعف في نفس الوقت !! اذ ان اثناء انتشار اوبئة الملاريا الخبيثة قد تلقى اعداد كبيرة من السكان حتفها بسبب هذا المرض .

وعبر القرون كان للملاريا تأثير بالغ على المجتمعات البشرية في جميع انحاء العالم ، ففي الهند قبل عدة قرون من عصرنا الحالي سمى مرض الملاريا « ملك الامراض » وكذلك عرفه الصينيون القدماء ، ولا يمكن تحديد ما اذا كان للملاريا دور حاسم كما يؤكد بعض المؤرخين ، في سقوط اليونان وروما ، وفي نزوح السكان هذا الأمر الذي يكتنفه الغموض مما خلف خرابا هائلا في بعض البلدان .

ولقد سميت الملاريا بهذا الاسم منذ القرن الثامن عشر فقط ، فعندما كان الناس يموتون من الحمى المتقطعة في ايطاليا كان الاعتقاد انهم ضحايا « الهواء الفاسد » او « MAL ARIA » بالايطالية .

وابتداء من عام ١٩٠٠ تقريبا اتخذت كلمة الملاريا الاستعمال الحالي لها في اللغة الانجليزية وعلى ممر العصور كان الدور الذي تلعبه الحشرات محل شك ، كما ان التراث الشعبي في افريقيا واوروبا وآسيا كان يشير باصابع الاتهام الى البعوض ، ولكن تعين ان تظل الحقيقة خافية حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عند ما اسهم العلماء من بلدان عديدة في معرفتنا بالدورة المعقدة لحياة مختلف طفيليات الملاريا في البعوض والانسان ، ويرجع الفضل الرئيسي في ذلك الى الفونس لافران ، وكاميلوجولجي ، وروناروس .

## كيف تحدث الاصابة ؟

ولاشك ان اخطر انواع الملاريا هو « البلازموديوم فالسيبارم » Plas-modium Falciprium هذا الطفيل الذي يصيب الانسان ينمو بالتناوب في جسم عائلين او ثوبين هما : أنثى البعوض « الانوفيل » والانسان ، فعندما تلدغ البعوضة مصابا بالملاريا فانها تمتص الدم الذي يحتوي على الطفيليات وتنمو هذه الطفيليات في جسم البعوضة ، وبعد فترة قصيرة تصيب غددها اللعابية بالعدوى وعندما تتغذى البعوضة بعد ذلك فانها تحقن هذه الطفيليات مع لعابها في جسم الانسان .

وبعد اصابة الانسان بالعدوى يمر مابين اسبوع واحد وأربعة اسابيع « وأحيانا أكثر من ذلك بكثير » قبل ان تظهر الطفيليات في دمه وتتضح أعراض المرض ، الذي تتميز نوباته الحادة بالقشعريرة وارتفاع درجة الحرارة ، وغزارة شديدة للعرق .

ولكن بعد ان اكتشف ان البعوضة هي ناقلة الملاريا تجدد الاهتمام باستعمال الناموسية ( وهي اختراع قديم ) في القضاء على أماكن توالد البعوض .

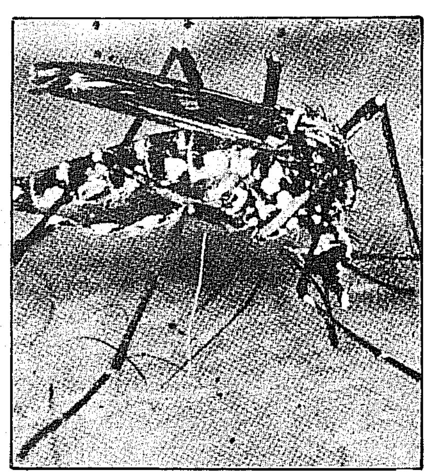
ومع بداية هذا القرن كانت هناك بالفعل دعوة جادة « للقضاء » على الملاريا فبالاضافة الى الطريقة التقليدية للصرف جرت معالجة اسطح المياة الراكدة بمنتجات البترول للقضاء على يرقات البعوض . وكانت هناك محاولات للمكافحة البيولوجية عن طريق تربية الاسماك التي تلتهم يرقات البعوض في البرك والمستنقعات ، واستحدثت طرق للقضاء على البعوض البالغ ، وهذه الطريقة هي الاكثر استخداما الان لمكافحة الملاريا .

## * صراع مع الموت *

ومن المعلوم ان البعوضة ، وحليفها طفيل الملاريا الذي تحمله وتحقنه في جسم الانسان وهي تتغذى بدمائه ، قد حققا انتصارا ، وهناك عوامل كثيرة ساعدت على احداث ذلك التغير غير المرتقب ، فمثلا :

* توجد انواع عديدة من بعوض « أنوفيل » Anopheles ناقل الملاريا اكتسبت مناعة ضد الـ « د . د . ت » اهم المبيدات الحشرية التي لا يقتصر استعمالها كمضاد للملاريا . ولكن يستعمل ايضا في الزراعة للقضاء على الحشرات الاخرى ، وضد أنواع اخرى من المبيدات كالديلورين Dieldrine واورجانوكلور Organochleres واورجانوفوسفات Organophosphates وكارباميت Carbamates

وفي حالات كثيرة اكتسبت نوعا من المناعة يسمى كروازى Croisee أي ان البعوضة المعرضة لمبيد حشري معين قد تكتسب مناعة ضد مبيدات حشرية أخرى ، حتى وان كانت هذه الاخيرة من عائلة مختلفة عن الاولى .. كما ان البعوض قد يتعلم ايضا تجنب المبيدات . ففي امريكا الوسطى نجد ان بعوض انوفيليس البيمانوس Anophelis albmanus الناقل



البعوضة المصرية ( ايدس ايجبت ) التي تنقل الحمى الصفراء في المدن .

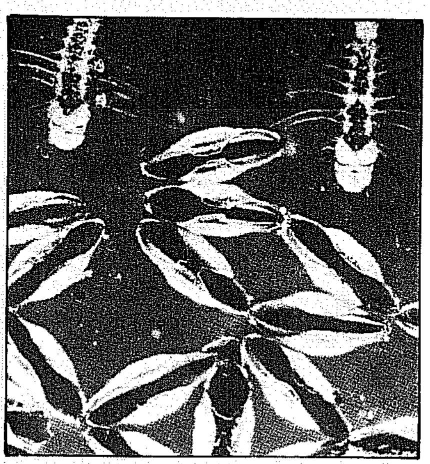
الـرئيسي للملاريـا أصبـح يتجنب الوقوف على الجدران المرشوشة بمادة الـ د . د . ت . D . D . T وبعد ان يمتص دم ضحاياه يستريح خارج المباني بعيدا عن المكان المرشوش بهذا المبيد .

* وتوجد في بعض المناطق طفيليات دموية اكتسبت مناعة ضد الادوية الاسـاسية لعـلاج المـلاريـا مثـل الكلووكين ومشتقاته التي تعد من أكثر الادوية فاعلية وانتشارا كما انها ارخص ثمنا ، ومنها الطفيل المسمى Plasmodium Falciparum المسئول عن اشد انواع الملاريا خطرا والتي تسبب الوفاة لانها سريعة الفتك بضحيتها ولانها اخذت تظهر بشكل متزايد مقاومتها للكلـووكين ، وهـو العقار المستعمل حاليا في الوقاية من الملاريا وعلاجها .

* كما ظهرت سلالات ذات مناعة في امريكا الوسطى وشمال شرق آسيا وخصوصا تايلاند وفيتنام ، وتجري مراقبة انتقال هذه السلالات ، تجاه الهنـد وباكستـان ، وبعض الدول العربية بقلق بالغ ، ويخشى تمكنها من عبور شبه الجزيرة العربية والوصول الى افريقيا .

## وانتهى عصر الـ د . د . ت .

وفي معظم الاحيان تقف السلطات الصحية عاجزة أمام المناعة المزدوجة ضد المبيدات وضد الادوية كما ان



بيض البعوض ويرقاته في اشكال جميلة خادعة .

التـوسـع في استعمـال المبيـدات الحشرية في الزراعة ساعدت على ظهور سلالات ذات مناعة ضد هذه المبيدات وخاصة مبيد الـ د . د . ت الذي يعد أرخص الانواع ، هذا المبيد الـذي قـام الـعـالم النمسـاوي اوثمارزايدلر بتحضيره عام ١٨٧٤ ، ولكنه ظل غير معروف حتى عام ١٩٣٩ عندما اكتشف بول مولر السويسري الجنسية انه مبيـد حشري فعـال للغاية ، وقد منح جائزة نوبل نظير اكتشافه ، وترجع اهمية الد . د . ت بصفة خاصة الى ماله من أثر قاتل يدوم عدة اشهر اذا تم رشه على الاسطح التي تمشي او تستريح عليها الحشرات فيما بعد .

وكان الدكتور ارنولد وجبالدون ، وهو من فنزويلا ، من بين اوائل الذين ادركوا تماما امكانية استعمال الـ د . د . ت في مكافحة الملاريا في المناطق الريفية ، ففي عام ١٩٤٥ بدأ تنفيذ مشـروع قومي هنـاك لاستئصـال


طفيل الملاريا في الانسان الذي زرع لأول مرة في المعمل تحت المجهر

الملاريا من البلد بأكمله عن طريق رش الـ د . د . ت ذى الاثر المتبقي ، وفي الخمسينات نظم عدد من البلدان برامج للقضاء على الملاريا وبعض الامراض الاخرى التي تحملها الناقلات .

وفي عام ١٩٣٥ قدر عدد اصابات الملاريا في الهند بمائة مليون اصابة سنويا مع حدوث مليون وفاة ، وبعد استعمال الـ د . د . ت انخفض الابلاغ عن حدوث الملاريا بشكل حاد حتى بلغ عدد الحالات في عام ١٩٤٥ مائة الف حالة فقط ، كما لم يبلغ عن اية وفاة . وتحقق نجاح مماثل في « سري لانكا » وبعض دول العالم الثالث .

وقد ادت هذه النتائج في عام ١٩٥٥ الى تبني جمعية الصحة العالمية الثامنة التابعة لمنظمة الصحة العالمية فكرة برامج استئصال الملاريا المحددة زمنيا التي تنفذ على نطاق عالمي باستثناء جنوب الصحراء الكبرى بافريقية .

وفي الماضي كان هناك سبعة معرضون لخطر الاصابة بالملاريا من بين عشرة اشخاص في العالم واليوم اصبح ثلاثة اشخاص تقريبا من هؤلاء السبعة الذين كانوا معرضين اصلا لذلك الخطر في مأمن منه .

ومن الناحية الجغرافية تم القضاء على الملاريا الى حد ما في اوروبا كلها ، وفي كل انحاء الاتحاد السوفيتي تقريبا ، وفي العديد من بلدان الشرق الادنى ، وفي الولايات المتحدة الامريكية ومعظم بلدان البحر الكاريبي . وفي مناطق شاسعة من شمال وجنوب امريكا الجنوبية واستراليا واجزاء واسعة من الصين ورغم ذلك عاود البعوض انقضاضة مرة اخرى .

## * السفر .. اخطر وسائل نقل المرض *

ولقرون من الزمان كانت اصابات الملاريا تفد الى المناطق الخالية من المرض ، ولكن حتى عصر الطيران فان معظم الحالات او على الاقل تلك التي كانت تفد من افريقيا الاستوائية او شرق اسيا ، كانت تظهر عليها الحمى وهي في عرض البحر ، وكان يقوم بعلاجها طبيب السفينة الذي كان على دراية كاملة بالامراض الشائعة التي تصيب المسافرين .

أما اليوم فان خطوط الطيران تمكن

الناس من ان يقطعوا مسافات طويلة في حدود فترة حضانة اي مرض ، مهما قصرت هذه الفترة ، ومن المفيد أن يعاد الى الاذهان ان عدد المسافرين بالطائرات بلغ ١٥٠٠ مليون مسافر عام ١٩٨٢ ، وفي امريكا ارتفع عدد حالات الملاريا الوافدة بين المدنيين من ١٤٣ حالة عام ١٩٦٧ الى ٨٩٢ حالة عام ١٩٨٢ ، وفي اوروبا كان هناك مايقرب من ٤٩٠٠ حالة ملاريا وافدة عام ١٩٨٢ ، مقابل ٨٤٠ حالة عام ١٩٦٧ .

## * تشخيص الملاريا *

وتشخيص الملاريا سهل بشرط ان يضع الطبيب في اعتباره احتمال اصابة المريض بها . فالطبيب الذي يعالج عددا كبيرا من المرضى الذين يعانون فقط من امراض المناطق المعتدلة يجد من الصعوبة بمكان ان يظل منتبها لاحتمال اصابة مريضه بمرض غريب .

وفي كثير من الاحيان لاتكون العلامات السريرية « الاكلينيكية » لاول اصابة بالملاريا هي تلك التي توصف عادة كعلامات مميزة للمريض .

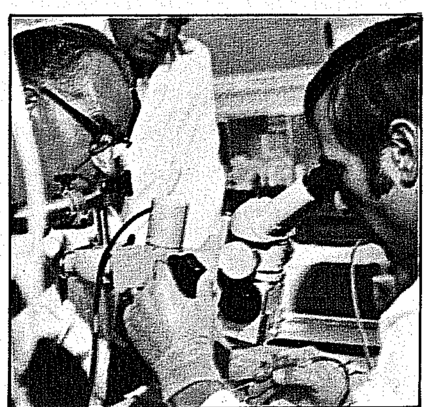
ففي البلاد الخالية من الملاريا يشخص كثير من الاطباء المرض على انه التهاب معدي معوي مصحوب بحمى ، أو انفلونزا ، او التهاب رئوي ، او التهاب الكبد ، او التهاب الكلى قبل ان تخطر الملاريا على بالهم .

ويمكن ان تتشابه الملاريا مع كل هذه الامراض وفي كثير من الاحيان يفوت على المريض ـ اذا كان لايزال في وعيه ـ ان يذكر انه اقام اوحتى توقف في منطقة موبوءة بالملاريا ( وهناك مطارات تعج بالبعوض اي الناموس ) .

ولذلك فانه من الضروري عند اخذ تاريخ الحالة ان يستفسر الاطباء من مرضاهم عما اذا كانوا قد عادوا حديثا من الخارج . ووجه المأساة في الوفيات الناجمة عن الملاريا الخبيثة ( ملاريا فالسيبارم ) هو انه من السهل جدا علاج هذا المرض في مراحله الاولى .

## * الأدويــة .. والمحاولات العلمية *

بالنسبة لادوية الملاريا ، فانها مازالت محدودة لان البلاد الغربية اهملت التوسع في انتاجها لارتفاع ثمنها اذا قورنت بالقدرة الشرائية في المناطق الاستوائية . كما لايوجد حاليا الا مركز وحيد للابحاث ، وهو مركز ابحاث الجيش الامريكي الذي تمكن من تحضير سبعة مستحضرات لعلاج الملاريا ، احدها مستحضر المفلوكين Mafloquine الذي يعتبر السلاح ، الاشد فتكا بالسلالات الطفيلية المقاومة للكلوروكين Chloroquine ومع ذلك فهناك عقبتان في طريق هذا المستحضر ، الاولى هي ارتفاع ثمنه ، والثانية هى عدم التأكد من استمرار



ابحاث العلماء تجري على قدم وساق من اجل الوصول الى لقاح دائم ضد الملاريا .

فاعليته على البعوض

ومنذ فترة قصيرة بدأت محاولات لاستغلال الوسائل الفعالة في علم الاحياء والتي ظلت حتى الان تهمل الملاريا والامراض الاستوائية الاخرى لسبب بسيط هو ان البلاد الغربية لم تكن مهددة بهذه الامراض .

كما بدأ الاهتمام بالابحاث العلمية في مجالات الامراض الاستوائية عن طريق برنامج مختص للبحوث والتأليف في هذا المجال ، تحت رعاية منظمة الصحة العالمية ، وبمساهمة مادية من البنك الدولي وبرنامج الامم المتحدة للتنمية ومن بعض البلاد والهيئات المعنية .

وفي اطار هذا البرنامج ، تم اكتشاف هام على يد الاستاذ « وليم تريجر » من جامعة روكفر بنيويورك ، فقد نجح ، ولاول مرة ، في المحافظة على مستنبت طفيل بلازموديوم فالسيباروم واصبح بالامكان تحضير كميات الملاريا ، والامال معقودة على نجاح مصل للملاريا خلال عدة اعوام وان كان الدكتور تريجر ، وآخرون غيره ، يعترفون بصعوبة المسألة وعدم التأكد الذي مايزال يحيط بهذه الابحاث ، وعلى كل حال لابد من التطعيم عدة مرات لاكتساب المناعة ضد الملاريا .

والى الان لم يجر سوى نوع واحد من الامصال على الانسان يسمى سبورزويت Sporzoitw وهو مضاد للنوع المعدي بلازموديوم فالسيبارم الذي ينتقل للانسان عن طريق البعوض عندما يمتص دمه .

وهناك ايضا محاولات لايجاد امصال تحمي الانسان من انواع اخرى من الطفيليات ، ولكن الابحاث يجب ان تتم في مواقع انتشار الملاريا لان البعوض والطفيليات والظروف البيئية تختلف من موقع الى آخر . واتباع طريقة واحدة مهما كانت كفاءتها ودقتها قد تكون فعالة في مكان وغير فعالة في مكان آخر . وفي حالات كثيرة يكون الانسان نفسه ناقلا للعدوى دون ان يدري فيساعد على انتشار المرض .

ويوجد في شمال شرق آسيا بعوض يسمى Anopheles Balancensis وهو غير مؤذ عندما يعيش في بيئة وسط الغابات ، ولكن بمجرد استصلاح هذه الغابات فانه يعمل على نشر الملاريا ، وفي المناطق الخصبة الغنية بالزراعة كمنطقة الجزيرة الواقعة بين النيلين الابيض والازرق بالسودان يتواجد بعوض الجامبيا الذي يتكاثر

في مزارع الأرز .

## *الوقاية الذاتية *

ان نوعية السكان في المناطق الموبوءة بالملاريا تعتبر من اهم وسائل الوقاية فقد نجح الصينيون في ذلك الى ابعد الحدود اذ سيطروا على الملاريا في مناطق كثيرة كانت متوطنة ويقولون في تواضع ان الوسيلة التي حققت لهم اكبر قدر من النجاح هي « التوعية » ويبدو ان الفيتناميين يتبعون هذا المنهج اذ يعتبرون استئصال الملاريا واجبا ثوريا بالنسبة لكل مواطن فيتنامي .

**ولكن كيف يمكنك ان تحمي نفسك من الملاريا ؟**

الى جانب الوقاية الكيمائية من الملاريا فان الاجراء الاحتياطي الرئيسي الذي يمكن ان يتخذه الانسان هو **ان يتحاشى التعرض للدغ الحشرات ، وخاصة اثناء الليل كذلك** يوصى بالتدابير الاتية :

**اختيار الغرف التي تغطي نوافذها والفتحات الاخرى بها بستائر من السلك يمنع البعوض من دخولها . رش مبيد للحشرات يحتوي على مادة « البيريثروم » للقضاء على اي بعوض يكون قد تسلل الى الغرفة على الرغم من وجود الساتر السلكي** . ولكن اثر هذا المبيد يبقى لفترة قصيرة ، ويجب تكرار الرش في حالة استمرار دخول البعوض الى الغرفة .

ان الحشرات تفضل بوجه عام اللدغ تحت مستوى الركبتين فمن المستصوب ارتداء احذية طويلة الرقبة لحماية الساقين من لدغ البعوض ، او على الاقل سراويل او اردية طويلة في المساء . وتتميز بعض انواع البعوض بأنها عموما لاتلدغ الانسان الا خارج المنازل ، ولذلك فان هذه الاحتياطيات ضرورية بوجه خاص في الهواء الطلق .

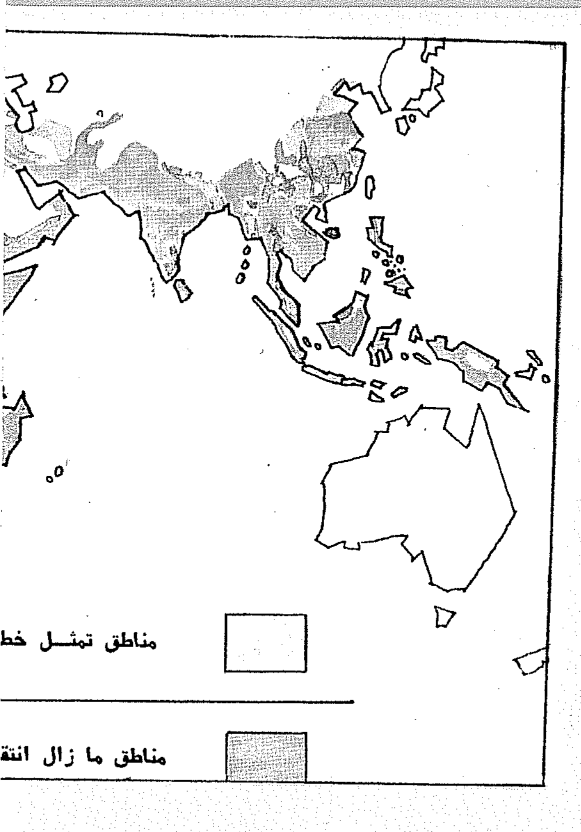
اذا كانت ابواب غرف النوم لايحميها ساتر سلكي فيستحسن ان تستعمل كلات البعوض ( الناموسيات ) ليلا حول السرير وخاصة للرضع وصغار الاطفال ومن الضروري ثني اطراف النموسية تحت خشبة السرير والتأكد من عدم وجود اي ثقوب بها .

بعد غروب الشمس يجب ان يرتدي جميع من يبقون خارج المنزل ملابس

كافية لحماية اجسادهم من لدغ البعوض مثل الاكمام الطويلة والسراويل الطويلة .. الخ ) وان يدهنوا الاجزاء العارية باي مادة طاردة للحشرات مثل مادة **الديت** Deet ، او مادة **الافثالات** ثنائية المثيل Dimethylphthalate ولكن اثر هذه المنتجات لا يستمر اكثر من ساعتين او ثلاث ساعات يجب بعدها اعادة الدهان ، كما يجب توخي الحذر عند استعمالها اثناء ارتداء ملابس مصنوعة من الالياف الصناعية نظرا لان المادة الطاردة يمكن ان تذيبها .

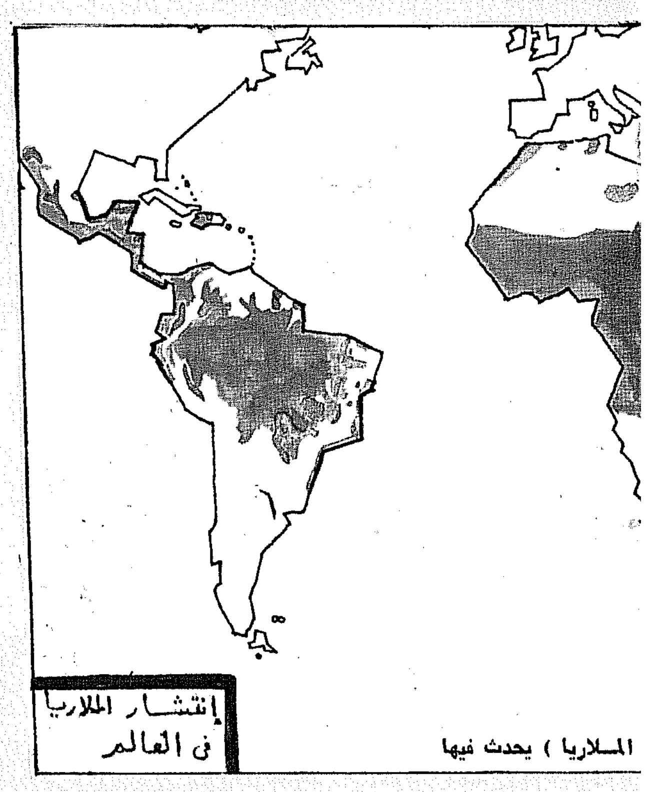
واذا كنت مسافرا خارج وطنك فيجب الاستعلام من الادارة الصحية في البلد الاصلي لك عما اذا كان هناك مجال للاصابة بالملاريا في مكان وزمان معينين وكذلك استشارتها بشأن التدابير الوقائية ، حيث يمكنها ان تستعين بالاطباء ووكالات السياحة وشركات الملاحة ، وشركات الطيران وغير ذلك من الهيئات لتقديم المعلومات المطلوبة للوقاية والاحتياطيات .

● ويجب الا يغيب عن البال انه في كثير من البلدان المبتلاة بالملاريا غالبا ماتكون المدن الرئيسة خالية من المرض وان كان هذا لاينطبق




بالضرورة على الضواحي ، وعلى الاماكن التي ترتفع اكثر من ١٥٠٠ فوق سطح البحر ، فقد تحدث الاصابة بالمرض في ظروف مناخية على ارتفاعات أعلى من ذلك بكثير ويختلف خطر الاصابة بالملاريا حسب فصول السنة .

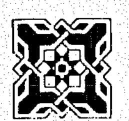
واذا ساورك اي شك بخصوص خطر الاصابة بالملاريا فمن الحكمة ان تتخذ التدابير الوقائية على اي حال ، وان تأخذ العقاقير الموصى بها ، واذا مرضت فيجب ان تخبر طبيبك عن اي




رحلات تكون قد قمت بها مؤخرا في الخارج .

فالحقيقة التي لاشك فيها هي ان الملاريا عائق كبير في طريق التنمية ، وفي استطاعتها القضاء على برامج التنمية الزراعية ، وهذا هو ماحدث في منطقة الجزيرة ، كما انها تعوق برامج تنظيم الاسرة وتجعل الدعوة اليها غير مقبولة ، وهل من الممكن تحديد عدد اطفال الاسرة مع تواجد مرض الملاريا ، هذا المرض المسئول عن ١٠٪ من وفيات الاطفال كما هو الحال في افريقيا ؟

وأخيرا فان انقضاض الملاريا في الوقت الحاضر يتيح لها فرصة العودة الى بلاد كانت خالية منها عن طريق الهجرة والسياحة والرحلات . حيث يتعرض الانسان للعدوى او نقل المرض فقد كانت الملاريا سببا في وفاة خمسة من السياح النمساويين اثر عودتهم من منطقة موبوءة بها .



# الشريد

«على شاطىء الليل حط الرحال» / وخيم .. بين الرؤى .. والخيال
وامسى .. كسير الفؤاد .. يقلب / كفيه .. يسقي .. ظماء الرمال
والقى الضياع به .. بين فكيه / لما تمطى .. وراء .. المحال
الى أين يمضي الضياع به !! / الى أين يمتد هذا المآل !!
وحتام يقتات .. عذب الأماني / والدهر .. ينذره بالزوال !
وحتام يطويه .. درب النضال / المرير .. ويسخر منه الكلال !
يفتش عن لقمة العيش .. بين / غبار الطريق .. وذل السؤال
الى أين يمشي .. بطيئا ! الى / اين يمضي ! سؤال .. وأي سؤال !
الى الموت ! هذا مصير الرجال / لعمري .. وأيام .. عهد النضال
الى الحرب ! والحرب جرت عليه / وجرت على العالمين .. الوبال
هزائم لم تمحها .. عنه هذي / السنون .. وهذي الليالي الطوال

xxxx

هو الدهر .. يومان : يوم اليك / ويوم يميل .. الى حيث مال
فلا تبتئس من ظلام .. أطاح / بعرش .. الضياء .. البديع الجمال
فليس بأقوى من النور .. ليل / طويل .. اغدا بؤرة .. للضلال

xxxx



## للاستاذ : جميل عياد الوحيدي

وتبدو السنون ثقالا .. تمر ويارزء هذي السنون الثقال !
يصارع فيها الحياة .. يصارع بالجوع والعرى .. في شر حال
يكافح .. من أجل ارجاع حق .. مضاع .. ويبدو .. عزيز المنال

××××

وتمضي به الذكريات .. الى جنة الخلد .. والمجد قبل الزوال
وعمرو .. مع الفجر - يزحف والجيش - يطرح بالروم تحت النعال
ويزحف سعد .. الى مطلع الشمس يسحق .. جحفل اهل الضلال
وخالد في الشام .. يلقى هرقل .. ويوثق اجناده .. بالحبال
وفي القدس .. أصحاب خير الانام .. يدقون ابوابها .. بالنبال
وتخفق فوق .. الروابي .. البنود ويرتاح للعرب .. في الكون .. بال
الى ان يعود .. الظلام الكرية .. رويدا .. يخيم .. فوق الجبال
وتعول ريح السموم .. وينعب يوم الخراب .. يهدد بالانحلال
وينخر جسم العروبة .. سوس هزيل .. فلا كان هذا الهزال
وتفقد حتى الطريق .. وتخلط بين الجنوب .. وبين الشمال
وتنتهب الارض .. ذات المعادن والخير .. تسلب حتى الغلال

وتجدب أرض .. الشريد .. بتلك العهود .. على كثرة .. في الرجال
الى ان تطل .. عهود « صلاح » يعيد بـهـا المجـد .. مـن حيـث زال
وتغرق .. بالنصر .. ارض البطولات لكـن : هـل النصر ذيـاك طـال !
وكيف يطول مع الانحراف .. انتصار ! محـال .. وألـف .. محـال
ومـذهب قـومي .. أصيـل .. نقي البـذور .. قـويم .. لحـد الكمـال

××××

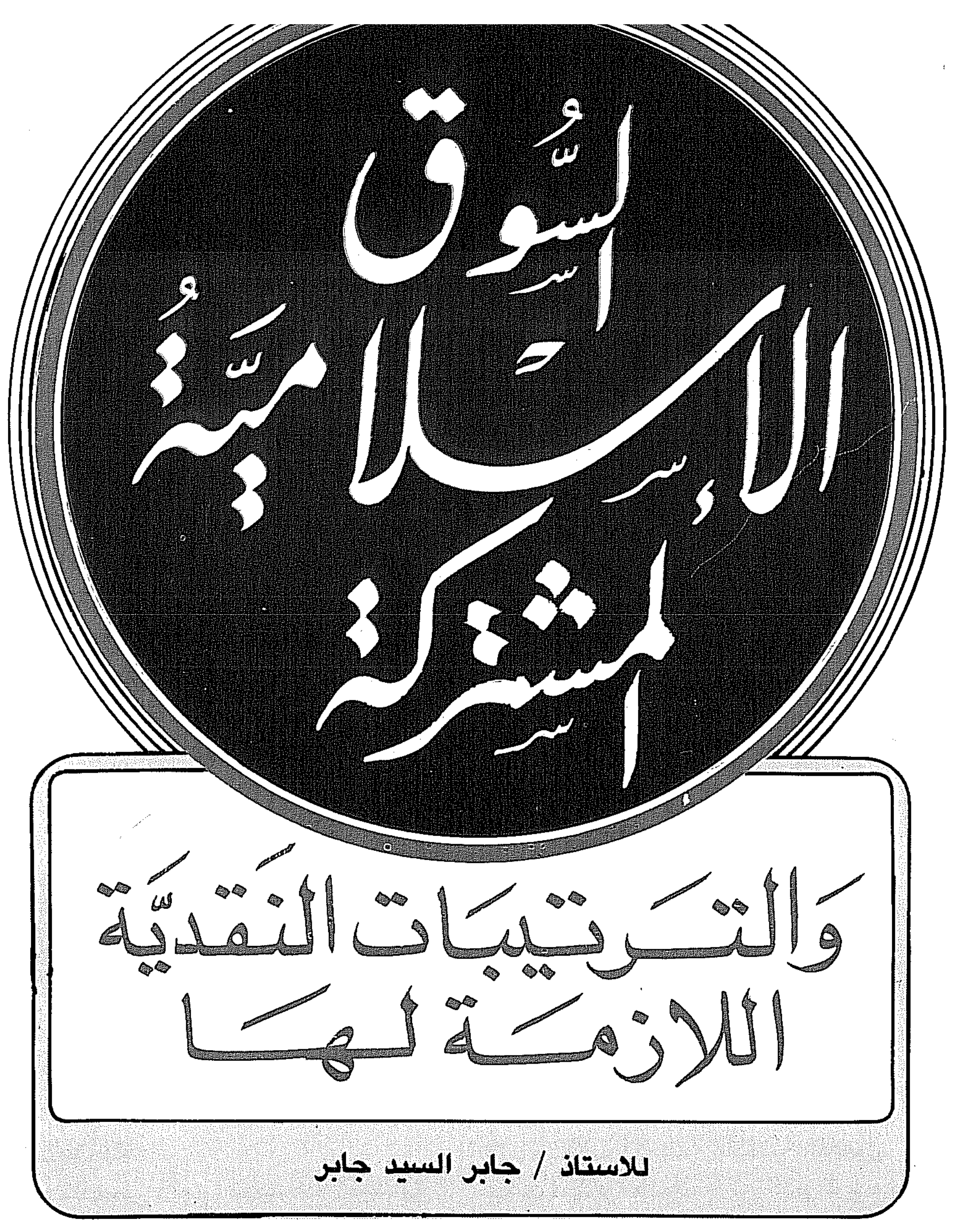
أرى الـدهـر ... لايستقـر .. يـدور فيضحى بحـال .. ويمسي .. بحـال
أرى الارض .. تبدو : تموت سريعا ولاغرو .. فالعهـد .. عهد احتلال
ويصبـح اهـل البـلاد : فلـولا ممـزقـة .. مثـل فضـل .. النصـال
وتختـم اغـرب اسطـورة .. في الـورى .. مالهـا في بـلاد .. مثـال

××××

وتمضي به الذكريات .. الى القمـح في الحقـل .. والكرم .. والبـرتقـال
الى الطـير .. تسبـح في الأفـق .. تنشد للنجم : تاريخ فخر الـرجـال
الى نسمـات .. عـذاب .. تـراقص فـوق مياه .. الشطـوط .. الطـوال
الى الشاة .. بين مروج السهول .. الى الزهر .. فوق الذرى .. والتلال
الى اخوة .. يسمرون .. مع الليل .. بـين الكـروم .. وتحـت الظـلال
يصعـد .. في الذكـريـات .. يجيـل بها الطرف .. يرجو : كريم الوصال
وقد لاح .. فجر الهداية .. يهـدي الى الدرب .. اهل العمى .. والخبال
أرى المجد .. اقبل .. يمشي سريعا .. وعمـا قـريـب .. بلـوغ النـوال
أرى النقب .. تنتظـر العائـدين .. روابيـه .. في فـرحـة واختيـال
أرى شـامة البحـر .. يافـا .. أرى عسقلان .. ارى القدس ذات الجلال
ودنيا الجليل .. وحيفـا .. وعكا .. أرى طبـريـا .. معـا في احتفـال
للقيا الأحبة .. بعد الكفاح العنيد .. تـعـانقـهـم .. في .. دلال

××××

فـلا بـد .. للعـرب .. من صحـوة تصحـح وضعـا .. وتمحـو نكـال
ولابـد .. للـعـرب .. مـن عـودة لـديـن الالـه .. فنعـم .. المـآل !




# السوق الاسلامية المشتركة والترتيبات النقدية اللازمة لها

للاستاذ / جابر السيد جابر

أصبحت السوق الاسلامية المشتركة أمل كل مسلم واداة وعلامة على طريق التكامل الاقتصادي الاسلامي وسلاحا قويا في مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية الاخرى والتي أصبحت طابعا مميزا لهذا العصر .

وفكرة السوق الاسلامية المشتركة تستحوذ على اهتمام الاقتصاديين المسلمين ، خاصة وان البلاد الاسلامية تملك من مقومات التكامل في كافة المجالات مالم يتوافر لأي مجموعة أخرى من بلدان العالم .

ولما كانت التكتلات الاقتصادية

الدولية هي منهج البلاد المتقدمة في الخروج من اطار المنافسة الحادة والحصول على التكنولوجيا لتحقيق نمو مطرد فاني أرى ان البلاد الاسلامية أحرى باتباع هذا الاسلوب .

**ماهية السوق الاسلامية المشتركة :**

هي درجة مرتفعة من درجات التنسيق والتكامل بين الامكانيات المادية والبشرية المتاحة للدول الاسلامية .

**العوامل الاقتصادية لقيام السوق الاسلامية المشتركة :**

بالاضافة الى وحدة الدين والهدف والمصير المشترك هناك عوامل اقتصادية نوجزها في الآتي :

١ ـ تباين امكانيات رأس المال البشري
٢ ـ تباين القدرات التمويلية
٣ ـ تباين الهياكل الانتاجية ، خاصة الانتاج الزراعي .
٤ ـ اتساع السوق على نطاق الامة الاسلامية .

**اهداف السوق الاسلامية المشتركة :**

تتلخص أهم اهداف السوق الاسلامية المشتركة في :

● تهيئة الظروف المناسبة للارتفاع بمعدل النمو الاقتصادي للبلاد الاسلامية ، وذلك عن طريق التخفيض من حدة المشكلات الاقتصادية التي تقف عقبة أمام مجهودات النمو الاقتصادي في كل منها على حدة وخاصة فيما يتعلق بضيق نطاق السوق أمام الصناعات الناشئة ومايتبعه من وجود عجز في موازين مدفوعاتها لانخفاض حجم صادراتها بالنسبة للواردات .

● تشغيل المدخرات الراكدة الناتجة من عائدات البترول المرتفعة ، وذلك باستثمارها في مشروعات انمائية مختلفة داخل نطاق البلاد الاسلامية .

● ايجاد مجمع صناعي زراعي متكامل يهدف الى تحقيق الاكتفاء الذاتي للبلاد الاسلامية بما ينأى بها عن التبعية والاحتكار ، وزيادة قوة المساومة لها في الامور الاقتصادية على النطاق العالمي .

**السوق الاسلامية المشتركة والتعاون النقدي :**

ان من أهم المعوقات أمام قيام التعاون الاسلامي في المجال الاقتصادي .

■ انخفاض حجم التجارة المتبادلة بين البلاد الاسلامية بعضها وبعض اذ انها تمثل نسبة متواضعة بالمقارنة بحجم تجارتها المتبادلة مع الغير .

■ اختلاف الانظمة النقدية المعمول بها في البلاد الاسلامية ، والذي ترجع جذوره الى الاستعمار وماترتب عنه من ربط الانظمة الاقتصادية والنقدية للبلد المستعمر بالبلد المستعمر .

ولما كانت السوق الاسلامية المشتركة هي مرحلة من مراحل التكامل الاقتصادي الاسلامي الشامل فان قيامها معناه القضاء على المعوق الاول « انخفاض حجم التجارة

المتبادلة » وذلك بما تؤدي اليه من رفع معدل هذا التبادل الى الحدود القصوى بين البلاد الاسلامية بعضها وبعض .

ولكي تكون السوق الاسلامية المشتركة ذات أثر فعال فلابد من تنسيق السياسات النقدية بين البلاد الاسلامية المشتركة فيها بصورة تؤدي الى :

● تسهيل التعامل فيما بينها .

● إبطال مفعول التأثيرات الضارة التي تعود على موازين مدفوعات هذه الدول نتيجة للسياسات النقدية العالمية او على الأقل إضعاف قوة هذه التأثيرات .

**اهمية التعاون النقدي بين دول السوق الاسلامية المشتركة** :

ان السبب الرئيسي للالتجاء الى السياسات التقييدية للمبادلات هو قصور وسائل الدفع الدولية ، وهي المشكلة التي واجهت عددا كبيرا من الدول بعد الحرب العالمية الثانية ، حتى اتضح ان تحرير المعاملات بين الدول المختلفة وتنميتها يعتمد اساسا على وجود نظام نقدي كفء تكون مهمته تنظيم التسويات الدولية المشتركة لهذه الدول على اساس متعدد الاطراف وان يزودها بوسائل الدفع الدولية .

من هنا تبرز اهمية تحرير التعامل داخل نطاق السوق الاسلامية المشتركة من القيود بل وتنمية التعاون النقدي بينها .

**أهم صور التعاون النقدي على النطاق العالمي** :

■ من أنجح صور التعاون النقدي على مستوى التكتلات الاقتصادية الدولية وتجربة **اتحاد المدفوعات الاوربي** . وهو ترتيب انتقالي بدونه لم يكن يتسنى لاوروبا انشاء السوق الاوروبية المشتركة . وقد أنشىء سنة ١٩٥٠ للقيام بعمليات المقاصة متعددة الاطراف بين مدفوعات الدول الاعضاء في المنظمة الاوروبية للتعاون الاقتصادي وكذلك منح التسهيلات الائتمانية اللازمة لمواجهة العجز في ميزان المدفوعات لاحدى الدول الاعضاء .

ولقد اقتضى نظام المقاصة وتسوية صافي الديون او المطلوبات بين الدول المشتركة استخدام وحدة نقدية معينة يمكن تقويم كل الحسابات على اساسها بطريقة موحدة ولذلك عمد الاتحاد الى ايجاد وحدة نقدية حسابية جديدة هي وحدة اتحاد المدفوعات الاوروبي .

**ومن أهم اهدافه كما رتبها الاستاذ روبرت تدفن** :

● الازالة التامة لجميع القيود على التجارة والطرق الثنائية .

● التوسع غير التمييزي على أوسع نطاق ممكن في التجارة .

● التخففيض التدريجي لبقية اشكال القيود وحماية التجارة المباشرة منها ، أي المواجهة والرقابة على الصرف .

● تجنب التقلبات غير الضرورية في

اسعار الصرف .

وقد تمكن اتحاد المدفوعات الاوروبي من تحقيق اهدافه حيث :

● أوجد نظاما للتسويات المتعددة الاطراف بين الدول الاعضاء مما ساعدها في عدم الافراط في السحب على احتياطياتها من الذهب والعملات الاجنبية القابلة للتحويل .

● نجح في تحقيق اهم اهدافه اذ رفع نسبة التبادل التجاري بين دول اوروبا الغربية فبعد ان كانت سنة ١٩٤٧ لاتمثل سوى ثلثي ماكانت عليه قبل الحرب ، وصلت الى ١١٧٪ في الربع الاول من سنة ١٩٥٠ وسرعان ما ارتفعت في الربع الاخير من نفس العام الى ١٤٠٪ .

● يضاف الى ماتقدم ان الاتحاد اسهم في تحرير التجارة بين الدول الاعضاء بفضل حرية تحويل العملات ، وبفضل التسهيلات الممنوحة للدول المدينة .

**□ اتحاد المدفوعات العربي :**

برزت اهميته عندما أصدر مجلس الوحدة الاقتصادية قراره بانشاء السوق العربية المشتركة ، وكان الغرض منه تسهيل المدفوعات الجارية بين الدول الاعضاء ، وذلك بوضع نظام للمقاصة تسوى عن طريقه المدفوعات الجارية كل ثلاثة شهور ، وتلتزم كل دولة من الدول الاعضاء بسداد ثلث حصتها بعملة قابلة للتحويل والباقي بعملتها الوطنية .

ولعل الآمال التي تتوقف على قيام السوق الاسلامية المشتركة واتحاد المدفوعات الاسلامي انما ترجع الى ان كلاً منهما يعتبر خطوة هامة نحو التكامل الاقتصادي الاسلامي الشامل ، كذلك فان اتحاد المدفوعات الاسلامي لا يعتبر دعامة قوية لاستبقاء السوق الاسلامية فقط بل وسيلة هامة تمكنها من تحقيق اهدافها . كما أن قيام هذا الاتحاد المرتقب بدوره المنشود بنجاح ، سيدفع الدول الاسلامية الى مزيد من التعاون النقدي نحو الغاء العملات الوطنية وانشاء عملة اسلامية واحدة ، اذ ان العملة الواحدة تجسد غاية التوحيد الاقتصادي والنقدي بين مجموعة من البلاد مع مايعنيه ذلك من جمع لطاقات انتاجية عظيمة ومن خلق سوق داخلية واسعة تفتح آفاقا انمائية جديدة ومن ايجاد اقتصاد متين البنيان يقوم بدور فعال ومؤثر على المسرح الاقتصادي العالمي .

ان مواجهة قوى الكفر للرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه ومقاطعتهم وعدم البيع لهم او الابتياع منهم ، تعتبر أقدم صور التكتلات الاقتصادية التي استهدفت الاضرار بمصالح المسلمين ، فهل يفطن المسلمون اليوم الى ذلك وبعد ان أصبحت البلاد الاسلامية هي أكثر الدول تضررا من قيام التكتلات الاقتصادية الدولية في الوقت الحاضر .




أ . د . محمد محمد ابو موسى

لا ريب أن ثمة منافذ طبيعية ، ومداخل صائبة لانماء العلوم العربية ، وتحريكها ، وإبداع المعرفة التي بها تتسع اتساعا ينداح من داخلها ، ويمتد فيه نسيجها امتدادا يتراحب . وبين أيدينا تجارب غنية في إبداع المعرفة ، وإنشاء العلوم ، ويمكننا أن نصطنع مسالكها . وهي باختصار شديد بعد استقصاء كلام أهل الطبع ، وطول النظر فيه . وطول المراجعة ، وإدمان النظر ، والتفتيش في كلام الأوائل ليس لحفظه واستيعابه ، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر ، فيما نحن فيه . وإنما لاستخراج خبيئة ، وبعث الفكرة من وراء الفكرة ، واستلال الخيوط المضمرة في غيبها ، ومَدِّها ، ونسج كلام آخر منها ، على حد ما فعل الكبار .

تأمل كلامِ عبد القاهر في أي باب تشاء لا لتحصِّل مادته ، فذلك شيء يجب أن نكون قد فرغنا منه ، وإنما لترقب حركة عقله ، وهو يكابد « عملية الابداع » وخلق الأفكار ، ويعتصر ما بين يديه من حقائق سلفه ،

ليستخرج منه رحيقا جديدا .

تأمل باب التقديم الذي ظل يلح فيه على استنطاق كلمة سيبويه : « إنما يقدمون الذي بيانه أهم وهم بشأنه أعنى » حتى غمغمت بكل ما في بحث التقديم مما يُرى في كتاب عبد القاهر متميزا ، وكأنه على غير مثال . وتأمل بحث « القصر » الذي أسسه على محاورة ذكية مع نص نقله من الشيرازيات ، وما زال يستل من هذا النص خيوطا ، ويستخرج من الخيوط خيوطا حتى قدم شيئا جديدا ليس هو كلام أبي علي ، وليس مقطوعا عنه ، وإنما هو متناسل منه كما يتناسل الحي من الحي .

ودع عبد القاهر وانظر إلى تجربة أبي الفتح عثمان بن جني في كتابه الخصائص ، وكيف استخرج من كلام سيبويه وأبي علي وغيرهما علما ليس هو علم سيبويه ولا علم الفارس ، وإنما هو علم أبي الفتح ، وكما استخرج عبد القاهر من مكنون النحو علما آخر هو علم المعاني ، استخرج أبو الفتح من هذه المضابىء نفسها علما آخر هو علم أصول النحو ، وقياس العربية ، وهو عند ابن جني : « أشرف ما صنف في علم العربية ، وأذهبه في طريق القياس والنظر ، .. وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة » هكذا قال في مقدمة الخصائص .

وأُلْفِتُ هنا إلى شيء مهم وهو أن اجتهاد أهل الاجتهاد من علمائنا رضوان الله عليهم لم يكن اجتهادا في استخراج مسألة من مسألة فحسب ، وإن كان ذلك نفيسا وعز علينا ، وإنما كان اجتهادا من استخراج علم من علم ، وتلك هي الغايات التي لا يدركها إلا الأفراد .

ومن الغريب أننا سكتنا سكوت من لا يعلم عن مناهج هؤلاء من الاجتهاد والاستخراج ، وهي مناهج جديرة بأن تدرس ، وسيتخرج منها ، وتكون بدائل زاهية لما ندرسه من مناهج البحث في معاهدنا لأنها تجارب كل خطواتها بين أيدينا ، ومحيطها الذي تحركت فيه كذلك بين أيدينا ، ثم هي أقرب إلى عقولنا لأنها مستخلصة من علومنا ، وقبل ذلك وبعده هي جزء من تاريخ حضارتنا وعلومنا . ومناهج البحث الحديثة لم تخصب عقولنا بشيء ، ولم تحفز هممنا نحو الابداع والوصول إلى حقائق علمية جديدة ، والذي هو المقصود أساسا من احكامنا لمناهج البحث ، وليس هذا قدحا فيها لأنها أثمرت عند من استخرجوها ، والواقع الذي نلمسه بأيدينا أنها لم تثمر عندنا ولم أعرف عقلا ألف مضغها ثم انبثق عن حقيقة نافعة .

وأقول إن استخراج مناهج هؤلاء الأعلام ليس هو هذا التهاون الذي نجده في الكتب التي صنفت عنهم ، والذي نجد فيها بابا أو فصلا يسمى ( منهجه ) ثم نقرأ حقائق مثل: إن هذا العالم كان ينسب النص ، أو كان لا ينسبه ، أو أنه يكون بصريا في

مسألة وكوفيا في غيرها ، أو أنه من مدرسة المتأدبين ، أو من مدرسة المتكلمين ، وأنه كان يُخرِّج الشعر ، أو لا يُخرجه إلى آخر هذه المعلومات السطحية التي يقع عليها القارىء المبتدىء .

ولا بد أن يكون دارس منهج الواحد من هؤلاء قد فطن لكل كلمة قالها ، ووعاها وعيا يستطيع به أن يَقْفُوَ أثرها ، حتى يصل بها إلى منابتها في كلام من سبقه ، أو يصل بها إلى انبثاقها في نفسه ، ثم يصف بدقة قصة الفكرة في عقل هذا العالم ، وكيف نَمَّاها ؟ ومن أي جهاتها جذبها حتى امتدت ؟ وكيف مَخَضَها حتى أخرجت مَخْضَها ؟ وغير ذلك مما تجده حيا واضحا بين عينيك حين تديم النظر إلى كلامهم ، وتعطيه ما هو أهله من العناية والصبر .

وهذا الباب الذي هو « علم مناهج البحث في علوم العربية » لا يجوز أن ينهض به المبتدىء ، مهما كان إخلاصه ، وجده ، وإنما ينهض به الشيوخ من علمائنا ، الذين عكفوا الفكر على هذه العلوم ، وانجذبت رويتهم إليها ، لأنها ليست دراسة في كلام العلماء ، وإنما هي نظر في منابع علومهم ، وترقيق أفكارهم بحركة عقولهم ، وارتياض قلوبهم للذي ارتاضته من عصيه ، ومعاناة أفئدتهم من اقتناص نافرة ، وتأليف شاردة ، وكيف كانوا يتدبرون ؟ ولا أقل من أن نحفظ لهؤلاء حقوقهم ، وحرماتهم ، ونبعد بهم عن اللغو الذي نحن فيه ، ولا ننتدب لدراسة هذا الجانب في تراثهم إلا من كان أشبه بهم هديا وسمتا ..

وتجلية روح الاجتهاد المنطوية في التراث أمر ضروري ، وإشاعة هذه الروح كأصل من أصول المعرفة أمر ضروري ، وليس بين المتخصصين في العلوم العربية والاسلامية فحسب ، وإنما بين المشتغلين بالعلم في كل فروعه ، لأنها قيمة ابداعية ، وحضارية ، لا يجوز إغفالها ، وقد غابت عن الساحة منذ زمن ، وصارت حياتنا الفكرية في غيبة هذه القيمة تعاني عقما ظاهرا ، بل و « عنوسة » بغيضة شوهاء ، والغريب أن هذا التراث الذي ينطوي على هذه الودائع التي تستهدف إثارة أقدس ما في الانسان من طاقات خلاقة ومبدعة ، يوصف بالجمود ، ويوصف القائمون عليه بالجمود أيضا ، بل والتخلف ، وأنهم يريدون أن يرجعوا بنا إلى الوراء « تَخُبُّ بنا النجيبةُ والنجيبُ » وأنهم ختموا على عقولهم بأنه ليس في الامكان أبدع مما كان ، وأن عيونهم لا ترى أضواء العصر الباهرة ، إلى آخر ما تجده في كتابات قد تذيل أسماء كاتبيها بأنه رئيس قسم كذا في جامعة كذا وهذا دليل قاطع على ما قلناه من أن القيم الابداعية في تراث الأمة مطمورة مُغَيَّبَة عن عيون من يسميهم الناس « علماء » وليس هذا تقصيرا فحسب ، وإنما هو أمر منكر ، وكلنا يسمع من طلابه ، ومحدثيه ما يدل دلالة قاطعة على أنهم يفهمون أن

الحفاوة بالتراث والعكوف عليه تعني إحكام الرتاج في وجه كل جديد ؛ كما تعني إلغاء الطاقات الخلاقة ، والاكتفاء بالحفظ ، والاستيعاب ، إلى آخر ما لا تجد في نفسك أمامه إلا الحيرة ، والصمت لأنه جهل بألف باء حقائق التراث ، وجهل بتاريخ قصة العقل ، والعلوم من أمة نلبس جلودها ، ونمتلك ماضيها وحاضرها .
وقد تسمع ذلك من رجال مذكورين بالعلم بين الناس فتزداد لأواؤك ، ويزداد تلددك .
ومن أهم ما غرس هذا الخطأ في النفوس ارتباط كلمات « التطور » و « التجديد » وهي أسبقها شيوعا قد ارتبطت أول وجودها بأمرين :
١ ـ الرمى في وجه القديم . بعد قتله بحثا !!
٢ ـ إغراء العقول بالفكر الغربي ، والترويج له ترويجا ظاهرا ، تجد كتب التجديد تقوم على أساس عرض شريحة من الفكر التراثي ، وقد يساء اختيارها ويهمل فهمها ، مع الزعم أنها قتلت بحثا ، ثم عرض شريحة من الفكر الغربي ، ثم التعليق على كلام القدماء بأن انظر لترى : « وجها معروقا ، بادي العظام ، شاحبا ، يسير الحظ من الحيوية ، والنضرة » .
ثم التعليق على كلام الغربيين بأن انظر لترى صورة : « أنضر وجها وأبهى قسمات من تلك الصورة التي عرضها حديث الأقدمين » وهكذا كأنك في معرض لوحات إعلامية للتشهير بالقديم « العربي الاسلامي » والتنويه بالحديث « الغربي المسيحي » .
ومع هزال هذا اللون من الاخراج ، وسذاجته ، وضعف مادته العلمية والخطأ البين في تفسير المعروض من الصور التراثية ، وركاكة المعروض من الصور الحديثة وسطحيته ، والانبهار الصارخ في التعليق عليه ، أقول مع ظهور ذلك كله فقد نفقت هذه الأفكار وغذت العقول والقلوب لأنها تلقتها وهي هواء ، وأخذتها أخذ المتعلم الصغير عن المعلم الكبير وصَحِبَتْها جلجلة جهيرة بأستاذية قائليها ، وريادتهم وعلمهم الواسع بالتراث ، وجهادهم في سبيل تجديده ، ومحاماتهم الشديدة عن القديم ، وغيرتهم عليه من عقلية الشيوخ ، وهذا الذي يرى كأنه هدم ، هو في الحقيقة تجديد لعقل الأمة ووجدان الأمة ، وتراث الأمة أيضا ، وأن هذه النار التي يشعلها هذا الكلام في عقل الأمة ، وتراثها ، هي النار العظيمة المقدسة التي تجلو الجوهر ، وتزيل الخبث إلى آخر ما أحاط بالنفوس وهيأها لهذا الفساد فَقَرَّ فيها وتأثّل .
وبهذا ومثله وهو كثير ويتكاثر ارتبط التجديد في نفوسنا بالأخذ عن الغرب ، وارتبط التراث في نفوسنا بمجافاة التجديد ثم الاغراق في الجمود ، والدوران في الدائرة المغلقة « مَحلّك سِرْ » .
وغابت عن الأذهان فكرة انبثاق الجديد من غيب القديم ، وإشاعة طرائق المفكرين المسلمين ، واجتهادهم ، وجهودهم في خلق

المعرفة وقدراتهم الفائقة على تطويرها ، وكيف كانوا يصبون عقولهم على القليل الخافت فيصبح كثيرا نافعا ، وكيف شقت عقولهم حجب الغيب عن خير كثير؟؟ إلى آخر ما يلفت إلى تلك الطاقة الهائلة من التراث ، والتي هي قادرة - لو أتقن اصطناعها - على إثارة ما أودع الله في فطرة الانسان من طاقات ، وابتعاث شُعَل القلوب والعقول تسطعُ وتُدْفِىء ، كل ذلك مسكوت عنه ، ومضت البحوث والكتب على النمط الذي لا يبعد عن صورة العرض التي ذكرناها ، والتي كانت بداية التجديد ، يساق كلام القدماء في المسألة ثم يعلق عليه بأنه صادر عن فقدان الوعي بكذا « جوهر الشعر ، .. حقيقة التجربة .. الصدق الفني .. التناسق النفسي .. وظيفة الخيال .. وظيفة اللغة .. طبيعة الادب .. استاطيقا اللغة ، وهذه الاخيرة اطرفها ، وخاصة عند من سبر علم من يقولونها ، ، » إلى آخر ما ترى ، والمهم أنه كلام صادر عن عدم وعي ، يعني غفلة ، أو بلادة ؛ او ما يمكن أن يقع في الذهن ، ثم يذكر في المسألة نفسها نص مقتبس ، ويعلق عليه بأنه صادر عن وعي عميق بالأدب ، أو طبيعة الخيال ، أو وظيفة كذا .

إلى آخر ما تقرأ .

وصار هذا القالب أو النمط أو المنوال هو ما ينسج عليه كل من أراد أن يكون ابن عصره !! مجددا !! مستنيرا غير جامد ولا متخلف ، !! يأخذ بطرفي الأصالة والمعاصرة معا ، وخطر هذه الطريقة انما يكون على الجيل الذي يتربى عليها ويعتقدها علما ، وأنها معرفة ، ولم يفطن إلى أنها أشبه بكلام الباعة في الأسواق منها بكلام أهل التحقيق ، وأنها أقرب إلى أن تكون لغة أصحاب « البوتيكات » منها بلغة العلماء .

وهذا الأسلوب في الكتابة سهل جدا - وذلك أيضا مما أغرى به - لأن التعليق على النص - سواء بالحق أو بالباطل - بأنه غير قائم على الوعي الاستاطيقي ، أو على الجهل بالنظرة الحديثة في بناء الصورة ، أو أن مصدره هو التذوق المادي أو الحسي للأدب إلى آخر ما تراه، أيسر بكثير من الوقوف على النص لتفصيل مجمله ، وتوضيح مبهمه ، وتجلية جوهره ، إلى آخر ما يعانيه أهل العلم في كل أمة من عرب وعجم . وصدقني إن كتابة الكتاب من هذا الباب المتجدد المتطور الآخذ بذيل الحداثة ، وذيل المعاصرة معا ، لأيسر كثيرا من فهم باب من كلام أبي الفتح ، فضلا عن سيبويه ، الذي يكاد يتقول العقل تقولا ، وصدقني مرة ثانية إنك تستطيع أن تكتب من هذا اللون بحوثا ومقالات تشغل بها الناس ، دون أن تتوفر على طلب العلم لأنها ليست من بابه ، ودون أن تشعر بالرهق الذي يكاد يخلع نفسك وأنت تساور نصا من نصوص أهل الفقه . إنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمد ومن تبعه .

## وقفة تأمل

# اتقوا الشبهات

فهمي عبد العليم الامام

● إن الحلال هو ما أحلّه الله سبحانه وتعالى .. ودائرته واسعة تشمل كل ما خلق الله في كونه الفسيح .. حتى أن العلماء قالوا : إن الأصل في الأشياء الحل .

● والحرام هو ما حرّمه الله سبحانه ... وتعالى : وكأنه استثناء من الأصل .. فما نص الشرع على تحريمه فهو الحرام .. وذاك إما لأن فيه ضررا ذاتيا أو مفسدة قبيحة تمس أصول الدين .. وتعرض للخطر والضياع الدين والجسم والعقل والنسل والمال .

وأما أن يعرض للأمر الحلال عارض يقتضي تحريمه .. كالبيع الذي فيه غش ، وصوم يوم العيد مثلا ..

● ومما هو معروف أن ما يؤدي إلى الحرام حرام .. فقد نهي الاسلام عن التباغض والتفرق ، ولذا نهي عن كل ما يؤدي إلى ذلك .. فلا يجوز مثلا أن يخطب الرجل امرأة هي مخطوبة لغيره .

● والحلال بين وواضح .. والحرام بيّنه الشرع فلا لبس فيه ولا غموض ، وفطرة الإنسان السليمة ، وقلبه المضيء بنور الإيمان يصلح مقياسا للحلال والحرام .. يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

● ولكن البعض ممن أزاغ الله بصيرته وطمس على قلبه ، يحلو له أن يسمي الأشياء بغير أسمائها ، فيحل ما حرّم الله ، ويحرّم ما أحل الله ، ويلتمس ألف سبب وسببا وصولا إلى تحقيق أهوائه ومآربه ، فيأكل أموال الناس بالباطل ، وقد يطلق على تصرفه أنه تجارة ، ويرتكب الإثم والفحشاء بحجة أن ظروف العصر وتطور الحياة إقتضت ذلك ، فتخالط المرأة الرجال الأجانب ، وينظر الرجل إلى ما حرّم الله النظر إليه .

ـ ويشرب الخمر لأنها مشروب شائع في الغرب ، وفي دول كثيرة ، ولا يعاقب على ذلك القانون .

● وهكذا تحت شعارات زائفة ، ومبادىء هابطة ، ومسميات ما أنزل الله بها من سلطان ، يرتكب البعض الموبقات ، ويظلم الغير ، بأفعال تكون صورها مشروعة ، وفي باطنها الإثم كل الإثم ، فكم من أجير لا يأخذ أجره المناسب ، وكم من عامل يبذل كل طاقته في عمله ولا يتقاضى ما يكفيه ، وكم من مستأجر يدفع ما يعجزه نظير ما يستأجره ، ويقال : مادام هناك إيجاب وقبول فلا حرج في كل هذا ..

ونسوا أن استغلال الحاجات منهي عنه ، وبخس الناس أشياءهم ظلم ، والإثم لا يخرجه من دائرة الإثم أن يغلف بغلاف الحلال أو المباح .

● لابدّ للانسان أن يتخذ من نفسه رقيبا على تصرفاته ، فالله أعلم بالسرائر ، فيجعل ضميره يقظا ينهاه عن الشرّ ، ويحثه على الخير ، يبعده عن المنكر ، ويأمره بالمعروف ، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها .

● وإذا تربى ضمير المسلم التربية الاسلامية الصحيحة ، فإنه سوف يسلم من الأمراض التي تشيع في مجتمعنا الآن ، حيث يجعل الناس الحق تبعا لهواهم ، فيقولون عن الرّبا : إنه فائدة ، وعن المُجون في الفكر والتصرف والسلوك إنها حرية ، وعن التطاول على الغير إنها صراحة .

● أدعوك أخي القارىء أن تتأمل الواقع من حولك ، بعد أن تتأمل ذاتك .. وسوف ترى كم نحن في حاجة إلى الأخذ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » وإلى أن نحتاط في كثير من تصرفاتنا حتى لا نقع في الحرام .

يقول الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام : « **إن الحلال بيّن ، وإن الحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه** » .

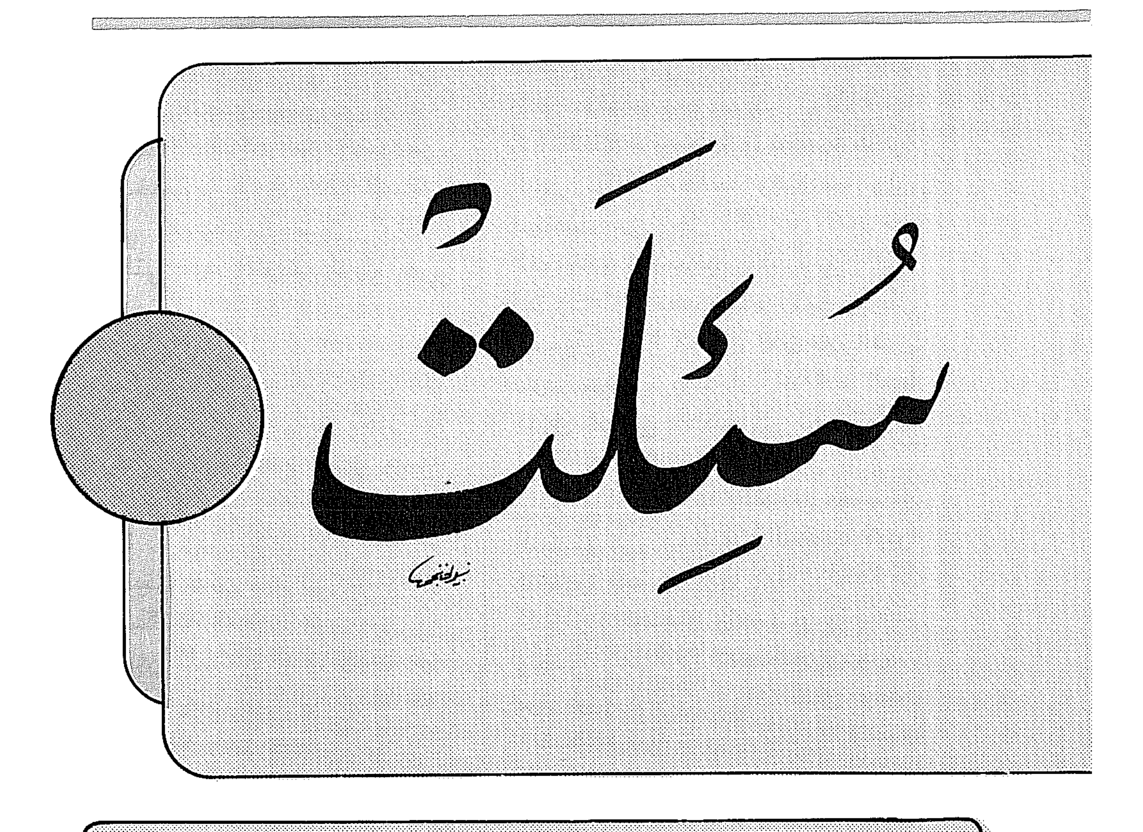
○ **وليس معنى ذلك أن نضيّق على أنفسنا ، أو نقع في الحرج ، بل المقصود أن نبتعد عن الحرام** وكل ما فيه شبهة الحرام ، وبعد ذلك فلا حرج علينا ، فإن **رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما** .

هكذا يربينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل نستجيب ؟

# وَإِذَا الْمَوْءُودَة

جرم أثيم وجناية ذميمة ضلعت فيها الجاهلية أزمانا حتي جاء الاسلام فحرمها واستأصل شأفتها وعلم أن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا .. لأن الحياة الانسانية قيمة ، وهي قيمة مطلقة لا ينقص منها أنها حياة أنثى ، وفاءت الأمة الى أمر ربها بعد أن أضلتها شياطين الانس والجن ، فكان المفتون منهم يظن أنه يبني الخلود في دار الفناء بإنجاب الذكور ، ويؤوب بالعار والشنار بإنجاب الاناث ،« **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** » النحل / ٥٨ ـ ٥٩ وما نعود الي الماضي الا بهذه المقدمة القصيرة ، فإنا لنبرم بالناس إن كان كل حديثهم أو جله عن الماضي ، وإنا لنهيب بالمسلمين أن يحاولوا التعرف على يومهم الحاضر وعالمهم المعاصر ماذا يدور فيه من علم وجهل وجد وهزل وصواب وخطأ ، وقديما قالوا لعمر « فلان لا يعرف الشر » فقال : « هذا أوقع له فيه » .

ونختار في هذا المقال أن نسلط الضوء لقارئنا على صفحتين معاصرتين على بعد ما بينهما من مسافة جغرافية أو




للدكتور/حسان حتحوت

فكرية . فإحداهما تصف واقعا يحدث في أمريكا زعيمة الغرب المسيحى ، أما الثانية فمن الصين تنين العالم الشيوعي الالحادي .

فأما التي من أمريكا فنموذج لبعض تطبيقات الكشوف الطبية الحديثة .. فمن المعلوم الآن أنه يمكن معرفة جنس شخص من فحص بعض خلاياه .. وأن الجنين في بطن أمه لا يشذ عن ذلك الا إذا تمكنا من الحصول على شيء من خلاياه وهو في مستقره ومستكنه .. وقد أمكن ذلك بغرس إبرة خلال البطن الى داخل الرحم وشفط بعض من السائل الذي يسبح فيه الجنين ، فإن هذا السائل يحتوي على خلايا نفضها الجنين عن سطح جلده ، وبزرع هذه الخلايا في وسط غذائي معين تنمو الخلايا ويصبح ميسورا عد ما تحتوي من أجسام صبغية والتعرف عليها وتحديد ما اذا كانت خلايا ذكر أم أنثى . هذا عن مجرد المعرفة وتكون عادة في أواخر الشهر الرابع من الحمل . وقد أمكن للأطباء بهذا

الفحص أن يتعرفوا على كثير من المعلومات عن الجنين وليس عن جنسه فقط ، فهناك عشرات من الأمراض أمكن تشخيصها بفحص هذا السائل الأمنيوسي المحيط بالجنين ، وإنما اللقطة التي نود التوقف لديها هي معرفة الجنس .

فالظاهر أن مسألة تفضيل جنس على جنس من المواليد مازالت تجد لها مجالا حتى في المجتمع الذي يصفه الكثيرون بأنه بلغ قمة الحضارة المعاصرة .. وما تكاد الأم تعرف جنس جنينها حتى تجد في إمكانها أن تحل مشكلتها فتعزم على أمر ثم تنفذه . فإن المجتمع الذي تهيأت فيه تلك المعرفة أيضا تهيأ فيه أيضا حق المرأة في أن تجهض جنينا لا ترغب في حمله .. وما نقول إن تلك شيمة الغالبية من النساء هناك ولكن دخل الحياة الأمريكية فعلا أن تحمل المرأة ثم تعلم أن الجنين ليس من الجنس الذي ترغبه ( وتقول الاحصاءات إن الذكر دائما هو المفضل ) فتذهب للطبيب ويتم إجهاض الجنين الأنثى .

نفس التصرف الذي عرفته جاهلية العرب وإن تدخل علم القرن العشرين فهيأ المعرفة الباكرة وهيأ الاجهاض الطبي .. وقد شفى الاسلام العرب في السابق ولا نعلم ما يشفي أمريكا في اللاحق .

وأما نبأ الصين فمختلف وإن لم يختلف . وما نحب أن نجحد على النظام الصيني أنه أيقظ الأمة بعد رقاد ، وقواها بعد ضعف ، واتجه بها بعد تشتت ، وجعلها في نظامها كخلية النمل طاقة ونظاما والتزاما وإن استغنت من أجل ذلك عن كثير من العواطف الانسانية الأساسية التي اعتبرت ترفا يعوق بناء الأمة ويعطل التنمية ، فإذا الصين الآن بين الدول مارد مرهوب بعد أن تداعت إليها الدول تداعى الأكلة الى قصعتها ..

وإذا بها تجد ما تلتهمه عصافير الفضاء من محصول الحبوب كبيرا فتسهر الصين كلها ليلة واحدة في المزارع تصفق وتصيح وتصفر وتضج ، عالمة أن العصافير إن حرمت نوم ليلة ماتت .. وقد كان وحلت المشكلة في ليلة .. وإن الصين ليزعجها الذباب بما يجلبه من أمراض فإذا كل من في الصين وزيرا وخفيرا ورئيسا ومرؤوسا وصغيرا وكبيرا يمسك في يده بمقرعة فإن رأى ذبابة فوراءها حتى يقتلها .. وحلت المشكلة .. لكن السلطة العليا في الصين قدرت كذلك أن معدل نمو السكان يفوق معدل التنمية فقررت أن تجتاز الصين فترة من تحديد النسل تمنع التعداد العام من الزيادة لفترة زمنية مقبلة .. وفي نظام محكم ذي قبضة قوية وضعت التفاصيل لممارسة الضغوط الفادحة على الاسرة التي تنجب أكثر من وليد ، مع تحتيم الاجهاض إن قصرت وسائل منع الحمل على شيوعها ، فمن لم ترض بالاجهاض فرضت عليها غرامةباهظة لا سبيل إلى الوفاء بها ..

ونجح برنامج منع الحمل . ولكن ظهرت في الصين جريمة جديدة لم تكن معروفة من قبل . تلك هي جريمة قتل البنات . فإن من جاءته بنت ويعلم أنه غير مسموح له بحمل آخر ، يختار أن يقتل البنت بطريقة ما ليأخذ فرصته من جديد دون تجاوز العدد المفروض ولعل الحمل المقبل ينتج ذكرا .. هذه جريمة لا يقرها القانون ولكنها تكشف أولا عن أن القانون إذا ضاق عن حد معين حفز الناس الى التمرد عليه ، وثانيا أنه حتى في الصين حيث الرجال والنساء سواء في العمل وفي الزي ، ما زالت كوامن النفوس تشتهي الولد وقد تقتل من أجل الحصول عليه فلذات أكبادها من البنات .

روايتان مضمونهما واحد وان نبتت كل منهما في حضن فلسفة مختلفة عن الأخرى كل الاختلاف .. ومع ذلك فكل من الفلسفتين تتهمنا نحن كمسلمين بأن مكان المرأة عندنا مكان خفيض !

سمعت من أصحابهما - أو أتباعهما - أن الاسلام لم ينصف المرأة وأنها فيه مواطن من الدرجة الثانية . ومن أسف أن بعض المنتسبين للاسلام يقوى لديهم هذا الزعم .

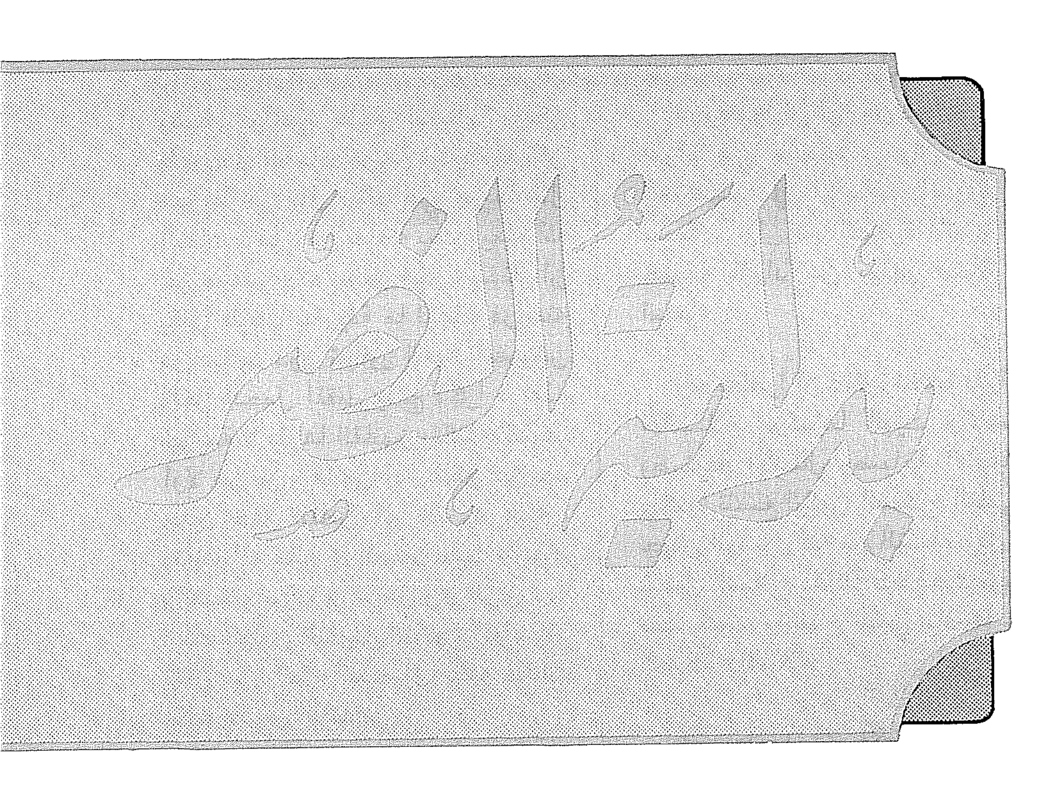
لم يعلموا أن الاسلام حين حرم الوأد حمى المرأة من هذا الذي نخر في حضارة القرن العشرين بجناحيها الرأسمالي والشيوعي .

لم يعلموا أن أول من دخل الاسلام امرأة هي خديجة .. وأن أول من استشهد في الاسلام امرأة هي سمية .. وان سر الهجرة أئتمن عليه خمسة أفراد من بينهم فتاة هي أسماء ..

ولم يعلموا أن دائرة نشاط المرأة في الاسلام مركزها البيت والأسرة وصناعة الأبطال وصياغة الاجيال ، ولكنها تتسع ليكون السلاح الطبي في جيش الرسول كله من النساء ، بل لأن تحمل السلاح مقاتلة كما فعلت نسيبة بنت كعب وامتدح النبي بلاءها عليه الصلاة والسلام .

لم يعلموا أن الأوامر والنواهي والتكاليف والعقوبات في الاسلام يستوي فيها الرجل والمرأة .. ويقولون فما بال نصيب المرأة في الميراث نصف نصيب أخيها .. يدركون أن نصيبه له ولامرأة يتزوجها ، وأن نصيبها لها وحدها فإن تزوجت فنفقتها على زوجها هو مسئول عنها وليست مسئولة عنه ، وإلا فأخوها مسئول عنها إن احتاجت وليست مسئولة عنه وإن احتاج .

مكاء وتصدية في موكب ظالم صاخب يرقص على إيقاعه مع الأسف الشديد كثيرون ممن يحملون اسم الاسلام ، وما نتهمهم بالجهل فمنهم من يحمل أرقى الشهادات ، ولكن زاغت أعينهم عن الحق فنسأل الله أن يهديهم إليه وأن يهدي بهم من وراءهم . والحمد لله رب العالمين .



كان أبو خالد وزوجته وأولاده الثلاثة يتجاذبون أطراف الحديث على مقربة من المذياع بانتظار نشرة الأخبار وإذ بالمقدمة الموسيقية للنشرة تقطع حديثهم ، ويبدأ المذيع القراءة ليعلن نبأ كان له وقع الصاعقة في نفوسهم الا وهو حرق إسرائيل للمسجد الأقصى . فصاح أبو خالد : الله أكبر إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وراحت أم خالد تردد كلمة يا لطيف ، يا لطيف . أما خالد فقد راح يلعن اسرائيل ، ويصب عليها جام غضبه فيقاطعه أسامة قائلا : وما قيمة إسرائيل لولا أمريكا ، وأخذ يشتم هذه الأخيرة ، ويندد بها .

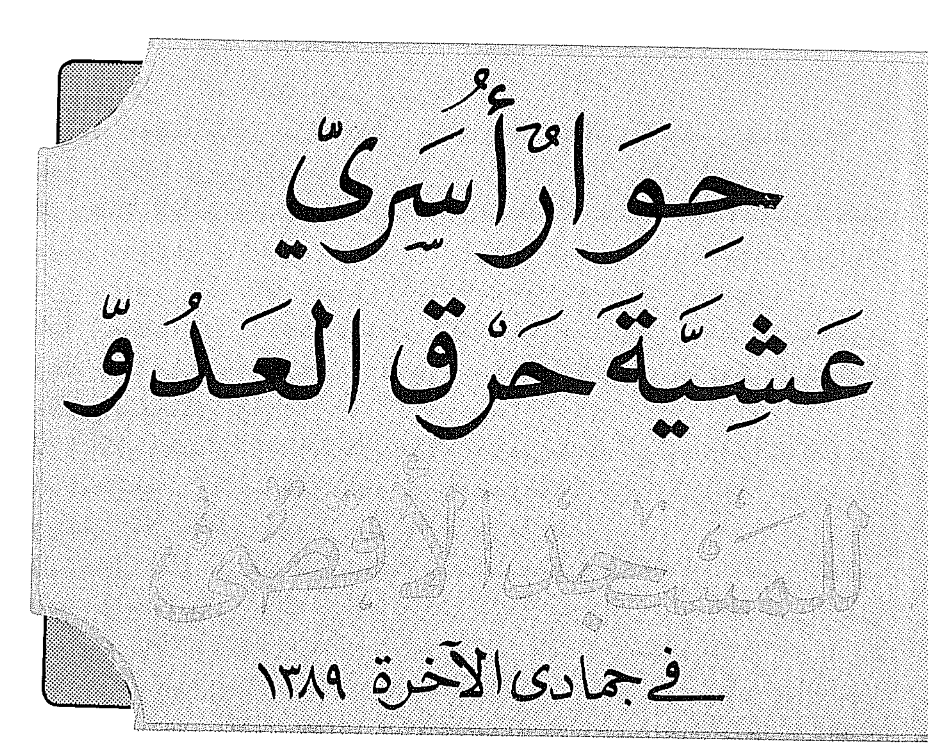
أما خولة فقد بقيت صامتة ، لكن شكلها كان يدل كل الدلالة على مشاركتها ، وتأثرها العميق . في حين أطرق الأبوان صامتين ، وكأنما هدتهما المصيبة هدأ .

وتابع أسامة حديثه ينحي باللائمة على أمريكا باعتبارها المسؤولة عن تمادي إسرائيل في غيها وطغيانها ، ويذهب به الحماس إلى امتداح روسيا واعتبارها الصديق المخلص للعرب . ويدور بينه وبين أخيه الحوار التالي :

خالد : أنسيت دور روسيا في إقامة دولة إسرائيل ، وسبقها للاعتراف بها وحرصها الدائم على بقائها ؟ إن روسيا إذا كانت تساعدنا الآن فذلك ليس من أجل سواد عيوننا ، وإنما تأمين لمصالحها .

أسامة : يكفي أنها تزودنا بالسلاح ، في حين تسلح أمريكا عدونا .

خالد : ليتها لم تفعل ، اذا لما بررت لأمريكا أن تقف منا هذا الموقف .




للأستاذ / عبد الرحمن قره حمود

أسامة : لماذا لا تقول بأن امريكا هي التي ناصبتنا العداء فوقفت روسيا إلى جانبنا ؟

خالد : لأنه كان لأمريكا موقف آخر عام ١٩٥٦ ، وهي لم تنقلب علينا إلا حين تنكرنا لها ، وألقينا بأنفسنا في أحضان الروس .

أسامة : إذا أمريكا في نظرك كانت مخلصة لنا ، ونحن الذين بدأناها بالعداوة .

خالد : أنا لم أقل بأنها مخلصة ، فليس في السياسة إلا المصلحة ، وحيثما وجدت مصلحتنا علينا أن نتجه .

أسامة : تعني أنه لا بد لنا من الانحياز لجهة ، وهذه الجهة في نظرك هي أمريكا .

خالد : نعم يجب أن نكون واقعيين ، فليس ثمة حياد في العالم حتى الدول الكبرى قسمت بانحيازها إلى دول شرقية ، وأخرى غربية ، فاذا كان هذا حال الدول القوية ، فكيف بالدول الضعيفة ؟

أسامة : إذا كان الأمر كذلك فخير لنا أن ننحاز إلى الشرق أبى الاشتراكية وعدو الاستعمار .

خالد : بل قل : أبو الفقر وعدو الحرية .
ويكاد أبوهما يتميز من الغيظ ، ولكنه يكظم غيظه ولا ينبس ببنت شفة .
أسامة : فماذا ترى بالضبط ؟
خالد : طالما أننا في وضع من الضعف والتخلف لا بد معه من الانحياز لاحدى الجهتين ، فإن ما في الغرب من حرية ، وارتفاع مستوى معيشة يجعله خيرا من الشرق ، وليس ثمة عاقل يفضل المانيا الشرقية على المانيا الغربية .
أسامة ( محتدا ) : ما كنت لأتصور كيف تجيز لنفسك أن تعايش المستعمرين الأوغاد مصاصي دماء الشعوب ، الذين مصوا دماءنا ولا يزالون وقد رأيت وترى ما نلاقي منهم كل يوم .
خالد ( أكثر احتدادا ) : إذا كان هؤلاء يمصون دماء غيرهم ، فأولئك يمصون دماء شعوبهم ، ولا يتركون لأحد حرية معارضتهم وإذا كان هذا حالهم مع شعوبهم ، فلا تنتظر منهم أن يكونوا أرحم بغيرهم .
وهنا تحاول الأم أن تتدخل محاولة إسكات ولديها مخافة أن يتطور الخلاف بينهما . في حين يبقى الوالد صامتا يترقب فتتجه إليه منكرة عليه ذلك البرود الذي غاظها منه قائلة بانفعال : مالك يا أبا خالد ؟ لماذا لا تسكتهم ؟!
أبو خالد : دعيهم يا أم خالد ، لقد نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، انها صورة حقيقية لما هي عليه أمتنا . وصدق الله العظيم إذ يقول : « **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا** .. » طه/ ١٢٤ وقال أيضا : « **وأن هذا صراطي مستقيما فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » الانعام/١٥٣ .
آه ، يا أم خالد ، كم يؤلمني أن لا يكون لهم من أسمائهم نصيب .
خولة : ماذا تقصد يا أبي ؟
أبو خالد : يا بنتي ، أنا لم أختر لكم هذه الأسماء التي سميتكم بها عبثا ، فالظروف التي كنا نعاني منها حين ولدتم هي التي أملت عليّ هذه الأسماء ، لقد جعلتني النكبة أقارن بين ماضي أمتنا المجيد ، وبين ما آل إليه حالنا . تذكرت خالد إبن الوليد وانتصاراته وخولة بنت الأزور وبسالتها وأسامة بن زيد القائد الذي لم يجاوز السابعة عشرة فسميتكم بأسمائهم ورجوت الله أن يجعلكم مثلهم ، فينصرنا بكم كما سبق أن نصر أمتنا بهم . ولكن ويا للأسف لم يكن لنا إلا أن حصدنا بعد عشرين سنة من النكبة نكسة وأي نكسة لقد وصل الأمر إلى إحراق المسجد الأقصى ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين . ذلك المسجد المقدس الذي أسرى الله برسوله إليه ، فأم الأنبياء جميعا فيه ، ثم عرج منه إلى السماء .
واغرورقت عينا أبي خالد بالدموع وهو يقول : إيه أيها الأقصى يا أولى القبلتين ، ويا ثالث الحرمين . يا من أسرى الله برسوله إليك ، ومنك عرج به إلى سدرة المنتهى . وكانت الصلاة عماد الدين على المؤمنين كتابا موقوتا .
إيه أيها الأقصى ، يا ثالث ثلاثة تشد إليها الرحال ، ماذا حل بك اليوم ؟ كيف

أنت وأعداء الله والناس يجوسون خلالك ، والخاسئون يطوفون حولك ، ومن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله يتيهون في رحابك ، يأتمرون ويمكرون ويحسبون أنهم آمنوا مكر الله خير الماكرين .

لا شك أنك أظلمت عليهم إذ بهرهم نورك فخطف أبصارهم ثم اجتازهم إلى باقي الأرجاء ليوقظ القلوب المؤمنة فتصحو من غفلتها وتذكر عهد ربها ، فتعلن الجهاد على نفسها فتغير ما بها ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ليغير الله حالها ويمحق من سلطهم عليها بذنوبها ممن لا يخافه ولا يرحمها ، حتى إذا مشت إلى الله بذلك أتاها النصر من عنده ، وهو القوي العزيز الذي يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

إيه أيها المشرف ، يا مسجدا أسس على التقوى ، إن العيون لتدمع ، وإن القلوب لتخشع ، وإنا على فراقك ، وما صرت إليه لمحزونون .

ولكن ما نفع الدمع إن لم يغسل عيونا فيزيل عنها الغشاوة ؟ وما فائدة خشوع لا يكون للرحمن ؟ وما قيمة حزن لا يفجر طاقة تستخدم مافي الحديد من بأس شديد ؟

لا شيء . لا شيء سوى أن نضيف إلى المصيبة مصائب أخرى .

إيه أيها الأقصى ، ما أبعدك اليوم ؟ حتى لكأنه قد أصابك من اسمك نصيب يا مسجدا بارك الله حوله أيعبث فيك يهود ؟ أيرتع حولك القردة والخنازير ؟ لا والله لن تكون لهم سكنا ، ولا أمنا فيك يجدون . إنك محرم عليهم ، وأكرم على الله من أن يحكمهم فيك ، وإذا لم يكن في الناس من يذود عنك فان رب الناس يحميك كما حمى الكعبة من قبل « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول** » .

أسامة : وأية ذلة هذه التي جعلتهم ينتصرون علينا ؟

خالد : وأي غضب هذا الذي مكنهم منا ؟

خولة : صحيح يا أبي إذا كان الله قد أذلهم وغضب عليهم فكيف نصرهم علينا ؟

أبو خالد : تأكدي يا ابنتي أننا لو كنا مؤمنين حقا ، لنصرنا الله ولو اجتمع علينا أهل الأرض جميعا ، ولكننا كما ترين ويا للأسف تركنا الصراط المستقيم ، واتبعنا السبل التي نهانا الله عنها ، فتفرقت بنا عن سبيله . ولذلك خذلنا ونصرهم علينا رغم انهم اعداؤه . لا تستغربي ذلك يا ابنتي ، فالظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه . ولا تستغربي إذا قلت لك أن في ذلك خيرنا ومصلحتنا .

الأولاد جميعا : في انتصار اليهود علينا خير ومصلحة لنا ؟

الأب : نعم يا أولادي . لا تعجبوا من ذلك . إن الله سبحانه وتعالى يقول : .. « **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** » السجدة/ ٢١ .

ولو نصرنا ونحن بعيدون عن الايمان لما رجعنا إليه أبدا . وما قيمة نصر يبعدنا عن

الجنة ويقحمنا في النار ؟ إن المحن والشدائد تجعل الناس يرجعون إلى الله يلوذون به ، ويدعونه مخلصين . فبها تصحو القلوب من غفلتها ، وتذكر عهد ربها ، وأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فتعلن الجهاد على نفسها أولا ، حتى إذا تم لها النصر ، أعلنته على عدوها ، عند ذلك لا بد من أن يؤيدها الله بنصره تصديقا لقوله سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » . وقوله جل شأنه :(**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** » .

« .. **ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون.يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** » .

إن هذا اليوم قريب إن شاء الله ، وكم يؤلمني ويحز في نفسي أن لا يكون أولادي من أصحابه ، بسبب انحرافهم ذات اليمين وذات الشمال ، وإنجرافهم في تيارات عدوة كافرة ، يرجون عندها الخير ، من حيث تسعى دائبة لضياعنا جميعا . لقد نسيتم الله ، فأنساكم أنفسكم ، وأنتم الفقراء إليه ، وهو الغني عنكم . أتحسبون من حمى الكعبة من الفيل لم يستطع حماية المسجد الأقصى من القردة والخنازير ؟ أبدا . إنه على كل شيء قدير . أما لماذا لم يفعل ؟ فذلك لأنه يوم حمى الكعبة لم يكن هناك مسلمون يبتليهم ويمتحنهم ، يومها لم يكن للكعبة سواه فتولاها بنفسه .

أما اليوم ففي العالم مئات الملايين من المسلمين ويريد الله أن يقيم الحجة لهم أو عليهم بابتلائهم ليعلم الذين صدقوا ، ويعلم الكاذبين . إنه يريد أن يباهي ملائكته بأن له عبادا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فهان في أعينهم ، ما كان يكبره غيرهم من المال ، والأهل ، والولد ، فاقبلوا على ربهم قائلين : وعجلنا إليك ربنا لترضى . فيتخذ منهم شهداء ويهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة . كان الأولاد مشدودين إلى حديث أبيهم ، مأخوذين بما أفاض عليهم ، وأدركتهم رحمة الله ، فدمعت عيونهم ، وتملكهم الأسى . ولاحظ أبوهم ذلك فأخذ يستحثهم ويستنهض هممهم فقال : ما نفع الدموع إن لم تغسل العيون فتزيل عنها الغشاوة ، وما نفع حزن لا يفجر ما في الحديد من بأس شديد ؟

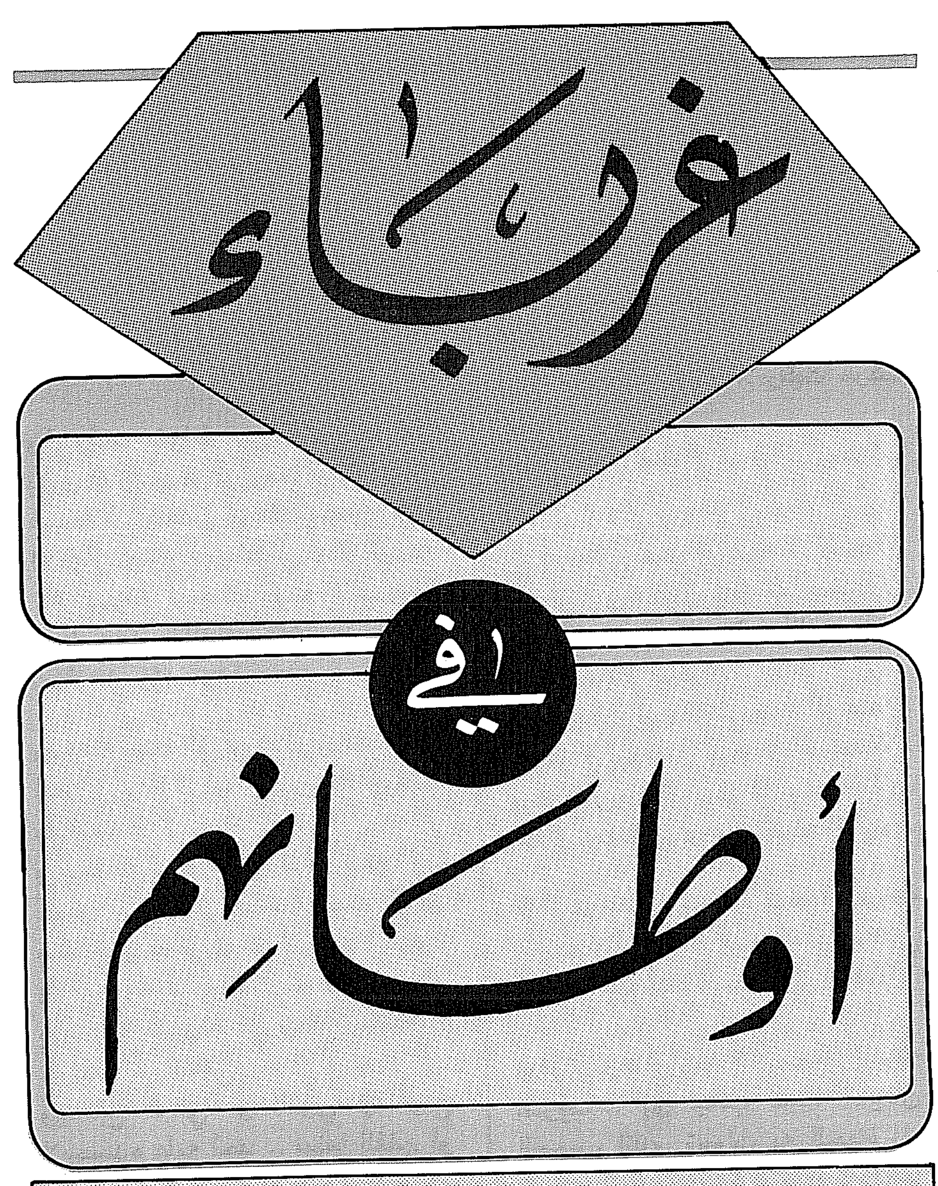
فقال خالد : أعاهدك يا أبي أن أحقق أملك باتخاذي خالدا أسوة .

وقال أسامة : وأنا أعاهدك أن يكون لي أسامة قدوة .

وقالت خولة : وأنا بفضلك إن شاء الله يا أبتاه خولة .

فقال أبوهم : ( والدموع تترقرق في عينيه ) : اللهم لك الحمد هذه بداية النصر ، وضم أولاده جميعا إليه وهو يقول :(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)آل عمران/٨ .

اللهم كما أنعمت فزد ، ثبتنا كما هديتنا ، وانصرنا كما وعدتنا إنك لا تخلف الميعاد .




للدكتور/ محمود محمد محمد عمارة

لو كانت السعادة في وفرة المال . وكثرة العيال .. إذن .. ما أكثر السعداء فينا لكن واقع الحياة لا يسلم إلى هذه النتيجة :

فقد يعطي الانسان مالا ممدودا .. وبنين شهودا .. ومع ذلك فهو يحس بالغربة في بيئة طافحة بالأنس والحركة ..

وكأنما هو شراع تتنازعه الأنواء .. أو كهف مظلم تأوى اليه أسباب الشقاء

وقد يكون هـذا الرجـل في موقـع المسؤوليـة .. وبدل أن يتخـذ من المنصب سبيلا إلى قلوب أناس يعملون معه .. بدل أن يجعله فرصة يحقق بها آمالا وينجز أعمـالا إذا بالمنصب يتحول بالغرور إلى نقمة .. حين يدور به كرسيه الدوار زهوا وخيلاء ..

وفي رأسه خواطر من جنس ما كان يدور في رأس فرعون مما حكاه الحق سبحانه ( **أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي** ) الزخرف/ ٥١ فـإذا لـم تسعفـه الظـروف بمرؤوسين خائفين خاضعين صبها لعنة على رؤوسهم ..

ومع انه يملك القرار .. قرار الفصل أو العزل .. إلا أنه يحس بالغربة في موطنه ..
وبينما يعود مرءوسه قرير العين بما أحس من عمل أكسبه حب أناس يحتفظون بصورته في قلوبهم .. يعود رئيسه وحيدا وليس له من حصاد يومه إلا صورته على زجاج مكتبه !
الراكب ... الماشي :
ويصبح الغني أو القوي في موقع لايحسده عليه أحد .. بينما الفقير أو المرءوس . في وضع يحسده عليه كل إنسان .. حتى رئيسه . وذلك بعض ما يشير إليه موقف لابراهيم بن أدهم في رحلة . من رحلات حجه :
فقد ذهب ابن أدهم ليحج ما شيا .
فرآه رجل يركب بعيره فقال له :
إلى أين يا ابن أدهم .
قال : إلى الحج .

قال الرجل : وأين الراحلة .. فإن الطـريق طويـل .. قال إبـراهيم : المراكب كثيرة .. ولكنك لا تراها .
قال الرجل : وما هي ؟
قال ابن ادهم :
إذا نزلت بي مصيبة .. ركبت مركب الصبر .
وإذا نزلت بي نعمة .. ركبت مركب الشكر .
وإذا نزل القضاء .. ركبت مـركب الرضا .

وإذا دعتني نفسي إلى شيء .. علمت أن ما بقي من الأجل أقل مما مضى .
فقال الرجل : سر بإذن الله . فأنت الراكب وأنا الماشي ..
إن إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه .. يعيش في جنة من مشاعره الراضية . ويقف من إيمانه على قاعدة صلبة .. تتكيف مشاعره به مع تقلبات الأيام .

فإذا هو سعيد سعادة تنسيه صرامة الواقع وقسوته .. هذه السعادة التي اعترف بها رفيقه مع قوة الراحلة .

ووفرة الزاد مؤكدا أنه - مع رفاهيته غـريب .. إلى جانب هـذا الايمان العجيب الذي تحولت به الحياة إلى أعياد دائمة متجددة ، بمكابرة آلامها والاستعلاء فوق ضغوطها .

وقلب كقلب ابراهيم بن أدهم « رضي الله عنه » لا يجزع لحادثات الليالي . وتظل شخصيته ثـابتة في مـدلهم الخطوب فلا تطير شعاعا .. فهي من إيمانها ثابتة على مرفأ اليقين :

ركب مرة سفينة فهاجت الريح وثار الموج وبكي الناس من ركاب السفينة وأيقنوا الهلاك من هول ما نزل بهم . وكان إبراهيم بن أدهم نائما فاستوى جالسا وقال :

أريتنا قدرتك .. فأرنا عفوك . فذهبت الريح .. وسكن البحر . وهكذا يصنع القلب الموصول بالخالق سبحانه .. بقدر ما تتمزق قلوب واهية الصلة بربها ..

وكما كانت المراكب كثيرة .. وما رآها زميله في رحلة الحج فإن المراكب هنا كثيرة أيضا وما رآها الخائفون الوجلون .. إنها مراكب : الثقة بالله .. وبقدرته .. وعفوه .. والتهوين من شأن الأسباب المادية التي علق الراكبون آمالهم بها فلما لم يروها أيقنوا بالغرق .

أما هو .. فمن واقع إيمانه الوثيق .. أطلقها دعوة إلى الله فكانت النجاة .. ممن يملك النجاة والاغراق وحده سبحانه وتعالى .

وما زلت أذكر موقفا لي مع صديق : قد طوف في البلاد وجمع ثروة تفوق المليون .. ثم عاد إلى القرية منتفخ الأوداج بما حقق من مال وفير .. ولم يكن يتكلم إلا بحساب .. ولا يبتسم إلا بمقدار في محاولة لرسم صورة من العظمة الواقفة على كومة من المال . ولم أكن أملك حينئذ إلا قوت يومي : فانظر ماذا ترى : قابلته بالأشواق .. ودرت حوله بالاستفسار عن قصة زواجه وأولاده .. وأنا سعيد أن تجدد الحياة ذكريات عزازا خلت من عمرنا . وانتهت المقابلة دون أن يكلف نفسه عناء السؤال عن واحد من أولادي .. بل عاد إلى غربته ولم يدر حتى موقعي الوظيفي : أنا إذن أسعد منه .. وإن لم أمتلك مليونا ، لأن القلب - قلبي - ما زال يحتفظ بوفاء قديم عصى على البلي . وسعادته الكبرى أن يمارس هذا الوفاء .. وهذا مذهبه .. بينما أماتت الثروة في قلب صديقي الاهتمام بالآخرين .. فعاش لنفسه فقط .. إنه الحي .. الميت .. فما عاش من عاش لنفسه فقط .

إن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه يمثل حزب الله القانع بما كسب من عرض الدنيا .. السعيد بجنة عريضة ظليلة في باطنه .. وهو الرد الالهي على المترفين العابثين .. الساعين وراء سعادة هي السراب . ولم يستطيعوا أن يحققوا بالمال شيئا إلا المرض والندم فوقعوا في براثن العبودية للترف .. فمضت أيامهم بلا أعياد . وتلك عقبى الذين أداروا ظهورهم لمعاني الخير فلم يسعوا لها سعيا ، وفي حياة الحسن البصري « رضي الله عنه » وقفات مع هذا اللون من البشر .

( أحيانا كان يتلو الآية ثم يعقب عليها بعظة مؤثرة جدا ) . فقد تلا يوما قوله تعالى :

« **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا** » الأحزاب/ ٧٢ .

« ثم عقب عليها بقوله :

إن قوما غدوا في المطارف العتاق ( المطارف : أثواب من خز ) والعمائم

الشهادات .. واحتياز الأموال .. والتفنن في صورة الملذات ، لكنهم سقطوا حين لم يستثمروا الذكاء والأموال لصالح أنفسهم ودينهم جاهلين أو متجاهلين .. أن الله تعالى تعبدهم بهذه الثروات العلمية والمالية .

لينظر كيف يعملون .. وأنه سبحانه لا ينظر إلى الأجسام والأموال . لكنه ينظر إلى ما تثمره من أعمال .

نعمة الابتلاء :

ولك أن تتصور بعد المسافة الايمانية بين رجل يرفل في بحبوحه النعيم هكذا .. ثم لا يلفته النعيم بقوة إلى خالقه سبحانه وبين رجل تدهمه المصائب فاذا بالايمان يحولها كيماويا إلى نعم تحرك لسانه بشكر المبتلي سبحانه « يقول عمر رضي الله عنه » ما من بلاء يصيبني إلا وأرى لله علي فيه أربع نعم :

النعمة الاولى : أن البلاء وقع في دنياي ولم يقع في آخرتي .

النعمة الثانية : أن البلاء لم يقع أكبر مما وقع .

النعمة الثالثة : أن الله صبرني عليه فاحتملته .

النعمة الرابعة : أن الله تعالى ادخر لي ثواب الصبر عليه .

ولأن النعم كثيرا ما تنسي الانسان واهبها سبحانه .. ترى علماءنا المخلصين يحاولون الخروج بالمفتونين بها من كهوفهم المظلمة .. ليقيدوا هذه النعم بشكرها ويقدروها حق قدرها لافتين الأنظار إلى النعم الجزيلة التي تحف بهم ، بينما هم ساهون قالوا النعم ثلاث : نعمة حاصلة يعلم بها العبد ، ونعمة منتظرة يرجوها ، ونعمة هو فيها لا يشعر بها ، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبد عرفه نعمته الحاضرة ، وأعطاه من شكره قيدا يقيدها به حتى لا تشرد فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر .. ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه ،وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها وقد حكي أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين : ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بادامة شكرها وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته .

وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها .. لتشكرها فأعجب به الرشيد فقال: ما أحسن تقسيمه ونقول نحن : ما أحسن منهجه في الأخذ بيد الشاردين الرافلين في حلل النعيم ثم هم غافلون عنها .. ليحسوا بالأنس والقرار .

وليخرجوا بالاحساس بها من عزلتهم وغربتهم . وما أكثر الذين يعيشون في البساتين والظلال بينما تجيش نفوسهم بمشاعر الضيق والقلق .. إنهم أصحاء الجسوم مرضى المشاعر ، أقوياء .. لكنهم ضعفاء أمام أعدائهم .

تسجل أرقام حساباتهم نسبة عالية .. غير أن الأرقام لم تحقق لهم ما يرجون

من وئام وقرار .

ولكن ابن أدهم .. وإن أضناه السفر .. وأدمى قدميه الطريق .. إلا أنه في نظر نفسه قوي .. صحيح .. يمثل جلال الحق الذي يعبر عنه بصبره وإن كان فردا .. ( وإذا كان الباطل يتفشى في مجتمع مستكثر مستكبر . فان هذا الاباء وهذا الاستعلاء يزرى بأساليب الباطل التي تحاول فرضه على الحياة وبينما يتخبط المبطلون في التيه بحثا عن السعادة .. التي لا يكتشفونها يكتشف المؤمن الحقيقة .. ليمنحه الكشف سعادة .. لا يحس بها المبطلون لأنهم فقدوا صلاحية تذوقها .. ورحم الله إبراهيم ابن إسحاق الحربي :

لقد صبر أربعين سنة . وشق رأسه يؤلمه ، فما أخبر أحدا من أسرته بذلك وزهد ثلاثين عاما وحصته اليومية .. رغيف واحد .. ولم يتأثر ذكاؤه ولا قواه بمرارة الواقع .. وكان أعلم علماء عصره لقد اكتشف سر الحياة .. ومتعة الموحدين .. فبدأت دائرة سعادته تنداح .. ومملكته تتسع .. وأعياده تمتد .. وأعظم كشف في الحياة : كشف الحقيقة في خضم الحياة المادية ..

وأعظم كرامة : الاستقامة على الجادة في بحور المغريات :

يقول المودودي : « لا كشف أعظم من إدراك حقيقة التوحيد في متاعب هذه الدنيا المادية الخلابة .. ولا كرامة أكبر من الاستقامة على جادة الحق، إزاء ترغيبات الشيطان وذريته وترهيباتهم ووساوسهم .

ولا مشاهدة للأنوار أحق للقدر والاجلال من الاهتداء إلى نور الحق وأتباعه في دياجير الظلام والكفر والعصيان والضلال المطبق على رؤوسنا اليوم وأن أكبر بشرى يمكن أن يرتاح إليها المؤمن هي : أن يقول ربي الله ثم يستقيم على صراطه المستقيم « **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة** » فصلت/ ٣٠ .

### البؤس المقنع :

وفي هذا الجو المأنوس يمضي المؤمنون على صراط الله وفي الوقت الذي يتبلغ فيه المترفون بثمن الكرامة المضيعة والسعادة الغاربة يختط المؤمن لنفسه :

حياة روحية .. والناس من حوله ماديون . ويدور في أفق الراحة .. وهم من حوله متعبون .. وتملأ القناعة قلبه .. والجشع يغتال العابثين . وصدورهم مستودع هم مقيم . وتمتص الحياة اللاهية رحيق السعادة من دنياهم .. وإن توفرت بين أيديهم أسبابها .

ويصور عبد الوهاب عزام هذه الحقيقة في قوله : قال لي صاحبي :

أراك غريبابين هذا الأنام دون خليل

قلت كلا .. بل الأنام غريب

أنا في عالمي وهذا سبيلي

### الرضا طوق النجاة :

إن الرضا بالقضاء هو طوق النجاة

الرقاق . يطلبون الامارات ويضيعون الأمانات يتعرضون للبلاء وهم منه في عافية حتى إذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظلموا من تحتهم من أهل الذمة . أهزلوا دينهم وأسمنوا براذينهم .
ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم ألم ترهم قد جددوا الثياب وأخلقوا الدين يتكيء أحدهم على شماله فيأكل من غير ماله يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بار د وبرطب بعد يابس ..
حتى إذا أخذته الكظة ( الشبع ) تجشأ من البشم ( امتلأ البطن ) ثم قال : يا جاريتي هاتي حلو ما يهضم الطعام ..
يا أحيمق : لا والله ما تهضم إلا دينك ..
أين جارك ؟
أين يتيمك ؟
أين مسكينك ؟
أين ما أوصاك الله عز وجل به ؟

## الأمل المضيء في مدلهم الخطوب .

ومعنى ذلك أن الذين يستغرقون بمشاعرهم في أسباب الدنيا المادية يكلهم الحق سبحانه وتعالى إلى أسبابهم الواهية .. وسواعدهم الواهنة .. فإذا هم أقل من صروف الأيام .. وإذا حياتهم مشدودة إلى أوتاد قلقة حائرة لا تستقر على حال ومن ثم لا يحسون للسعادة طعما ..
أما الذين وصلوا قلوبهم بالحق سبحانه فهم على أوفى ما يكون الثبات لأنهم يملكون من حدة البصر وجلاء البصيرة ما يحول الحياة من حولهم إلى جنات ونعيم بفضل ما يستشعرون من قدرة خالق قادر لا يغيب .. ولا يتخلى عن عبادة أبدا « يروى أن حاتم الأصم أراد أن يحج فبكي أولاده وقالوا : » إلى من تكلنا : ؟
وكانت له بنت فقالت : دعوه .. فليس برزاق فخرج حاتم إلى الحج وبات أولاده جياعا .. وراحوا يوبخون تلك البنت .
فقالت : اللهم لا تخجلني بينهم ومر أمير البلد بالمكان فقال لأصحابه : اطلبوا لي ماء . فناوله أهل حاتم كوزا جديدا وماء باردا فشرب ثم قال دار من هذه ؟
فقالوا : دار حاتم الأصم :
فرمي فيها منطقة من ذهب ..
فقال : من أحبني وافقني . فرمى العسكر كلهم .
وبكت البنت .. فقالت أمها : ما يبكيك .. وقد وسع الله علينا قالت :
لأن مخلوقا نظر إلينا فاستغنينا ..
فكيف لو نظر الخالق سبحانه إلينا لقد تصورت الأسرة - عدا البنت الراشدة - أن غياب العائل معناه : ضياع الرزق المرتبط بناصيته ..
ومن فرط إحساسهم بدور العائل الذاهب بكوا وحاولوا منعه من أداء الفريضة .
لكن ابنة حاتم تحدر إليها من أبيها قبس من إيمانه الوثيق .. فجاوزت هذا الأفق الضيق .. فشجعته على المضي في رحلته المباركة .. لأن الأرزاق على الخلاق ..
وفعلا جاءهم الرزق المقسوم .. لكنه لم

ينزل من السماء .. فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وإنما دفعت الأسرة الثمن : كوزا .. جديدا .. وماء باردا فلما بكت البنت متأثرة بما حدث .. كانت في قلب الأم بقية من تصورات الأرض .. فاستنكرت بكاءها بعد أن جاءهم الفرج .

وتعطيها ابنتها درسا في الايمان .. بأن هذه قدرة المخلوق فأين هي من قدرة الخالق ؟

وهي محاولة تخرج بها البنت بالأسرة من ضيق الأسباب إلى سعة الايمان .. ومن غربة الحياة مع حظوظ النفس .. لتعيش في جو الايمان وما يثمره من سعادة لا يحس بها إلا المؤمنون بالله إيمانا يرفعهم فوق الواقع المحدود .

## الحجاب الحاجز :

إن الارتباط بالوالد .. كأنه الرازق .. وبالطبيب .. كأنه الشافي .. وبالراحلة والطائرة .. والسيارة .. وكل مظاهر الحياة .. كأنها صانعة المستقبل للانسان .. جهل بقدرة الله .. ثم هو حجاب يحبسك بين جدار من ذاتك وأهوائها فلا تستطيع الوصول إلى ساحة الرضوان .. والاستمتاع بالنعيم الحقيقي .. المنبعث من الرضا بقضاء الله تعالى .

وإنك لتدعو فلا يستجاب لك .. وتحاول الانطلاق فلا تنطلق لأن قيود الدنيا وقفت بك في مكانك .. وسارت بك أهواؤك من سيىء إلى أسوأ .. وتلك عقبى الذين يثقون بأسباب الدنيا ثقة عمياء .. ترمي بهم في التيه يدورون حول أنفسهم بلا هدف .

وإنها قصة جموع غفيرة من المسلمين : علموا .. وملكوا .. وتنعموا .. لكنهم ذهلوا عن العاقبة .. فلم يقروا بضعفهم .. ولم يشكروا المنعم سبحانه . أي أن آمالهم وقفت بهم عند القشرة الظاهرة وحرمتهم من الغوص في الأعماق . ليحسوا بوجودهم الحقيقي .. المرصود أساسا لدار هي الحيوان نسوها أو تناسوها .. فصنعوا بالغفلة حجابا كثيفا .. وأقاموا بالاستغراق في الآمال الكاذب سدا منيعا حجبهم عن الله تعالى وهو المعنى الذي أشار إليه ابن أدهم عندما سئل :

ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا :

قال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه .

وعرفتم الرسول « صلى الله عليه وسلم » فلم تتبعوا سنته .

وعرفتم القرآن فلم تعملوا به .

وأكلتم نعم الله تعالى فلم تؤدوا شكرها .

وعرفتم الجنة . فلم تطلبوها .

وعرفتم النار فلم تهربوا منها .

وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه .

وعرفتم الموت . فلم تستعدوا له .

ودفنتم موتاكم .. فلم تعتبروا ..

وتركتم عيوبكم .. واشتغلتم بعيوب الناس .

ومعنى ذلك أن الجمهرة الغفيرة من المسلمين .. نجحوا في ا لامتحان النظري .. وسقطوا في الامتحان العملي .. نجحوا في الحصول على

في خضم هذه الحياة : وقد سعدت الحياة باسلافنا الأبرار يوم كان الرضا بالقضاء جوهر حياتهم . قال سفيان الثوري بحضرة رابعة العدوية يوما : « اللهم ارض عنا » فقالت له رابعة : أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت غير راض عنه .

فقال لها : متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى .

فقالت له : « إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة » فمع أن الرجل لم يدع بإثم ولا بقطيعة رحم لكن رابعة تبادره لافتة نظره إلى القمة في الرضا والتي يجب أن يشد رحاله إليها .. وإذا كان سروره بالنعمة أعلى - وهذا شيء طبيعي فمعنى ذلك أن حظ نفسه ما زال ملحوظا مؤثرا .. وذلك مما يخدش معنى الرضا ولكن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقدم على طريق ا لرضا خطوة أخرى : فقد كان رضي الله عنه مجاب الدعوة ويقصده الناس ليدعو لهم . فقيل له : أنت تدعو للناس .. فلو دعوت الله تعالى لرد عليك بصرك .

فقال : قضاء الله أحب إلي من بصري .

فانظر كيف تجاهل متعة الابصار يستعيد بها ذكريات شبابه وصباه راضيا بالعمى .. بل حبب إليه العمي لأن الله قد رضيه له وإنما رضاه في رضاء ربه سبحانه .. لا فيما تشتهيه نفسه !!

ولم تخل الساحة الاسلامية من نماذج مشرقة على نفس الطريق .. وفي حلكة الليل البهيم - كان رضاها عن الله تعالى نورا تبصر في سناه الدار الآخرة وما أعد لها من نعيم ينسيها ما حولها من متاع .. يروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل : دلني على أعبد أهل الأرض .

فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول :

الهي : متعتني بها ما شئت أنت .. وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا بر .. يا وصول .

وكم في دنيا الناس من أناس صحاح الأجسام .. يتمرغون في جنات وعيون لكن حياتهم خالية من عنصر الرضا فحولها الطمع إلى خراب .. وعاشوا غرباء في أوطانهم . وها هوذا في محنة لا يحسد عليها .. ولكن الأمل ما زال يغمر صدره بالرضا . وما زالت ثقته بربه تمسك قلبه أن يزل وعقله أن يضل .

وربما برقت في ذهن أحدهم بارقة من الطمع في الدنيا .. فينهض وجلا خائفا مذعورا لأن نفسه تعلقت بشيء لم يأذن به الله :

شوهد أحد العارفين يبكي . فقيل له : لماذا تبكي ؟ قال : إنني أبكي منذ أربعين سنة على ذنب أذنبته فسئل ماهو الذنب قال قلت مرة لشيء كان .. ليته لم يكن .

أي أنه تمنى في لحظة من عمره ألا يكون أمر ما قضاه الله قد وقع فبرز حظ نفسه وبالتالي ضعف رضاه عن قضاء ربه .. فعاقب نفسه بالبكاء نصف قرن تقريبا ..

وفي الوقت الذي تبرهن فيه الحضارة

الحديثة على فشلها في تحقيق توافق الانسان مع عالمه .. بما ترمينا به الأنباء من حوادث الانتحار والسخط على الحياة .. وخنوع الارادة هناك أمام أحداثها وعللها .. في هذا الوقت تطالعنا من تاريخنا نفوس صارعت الحياة فصرعتها .. وفي قمة مأساتها تبصر الغد ا لمأمون من خلال رضاها بقضاء الله تعالى فاذا هي في محنتهاصحيحة النفس متماسكة الفكر . راشدة مستبصرة : كان من دعاء بعض العارفين في بلائه :

« اللهم إن كان عذابا فاصرفه ..

وإن كان صلاحا .. فزد فيه ..

ثم هب لنا الصبر على البلاء .. والشكر عند الرخاء

فانظر كيف لم يسحق الألم نفسها موصولة بربها ..

إنها راضية بقضائه وقدره لكنها تطلب أن يدوم هذا الرضا بامدادها بالصبر على بلاء النقمة وبلاء النعمة معا .. فلا يتجه إلى الله بقلب جزع ونفس والهة .. وإنما يدعوه بقلب الراضي بعدله المقر بفضله . أن يعينه ليكون عند حسن الظن به .. صابرا .. شاكرا فإذا كانت العلة عذابا .. فهو لا يطيقه ومن ثم دعا ربه أن يصرفه .

وإذا كانت اصلاحا لنفس شغلها المال .. وألهتها العيال .. لتعود إلى صوابها فمرحبا بالمرض وإن كان مرا ..

يقول ابن الرومي :

لو يصح اليقين ما رغب الرا
غب الا الي مليك السماء

غير أن اليقين أضحى مريضا
مرضا باطنا شديد الخفاء

ورحم الله سلفنا الصالح :

لقد كانوا في كل احوالهم سعداء :

كانوا على السراء سعداء . وكانوا على الضراء سعداء .

يقول فيهم الرسول « صلى الله عليه وسلم »

« عجبا لأمر المؤمن :

إن أمره كله خير : وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » رواه أحمد في مسنده .

وقد كانوا في حربهم وسلمهم سعداء :

كانوا في سلمهم سعداء : لأنهم للسلم . والعدل والأمن والطمأنينة خلقوا :

« **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين** » النساء/ ١٣٥

وللعمران والاصلاح وجدوا :

« **فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** » الأعراف/ ٧٤

وكانوا في حربهم سعداء :

لأنهم ما كانوا يشنونها إلا لتقويم المعوج وإصلاح الفاسد وتحقيق راحة الانسانية وسعادتها .

وما كانوا يحاربون إلا الجور والعدوان ..

وكانوا سعداء برضاهم عن أنفسهم حيث تحقق لها من كمال اقتضته فطرهم ؟ التي فطرهم الله عليها .

بأقلام القراء

# التكامل في الاسلام

تحت هذا العنوان كتب الأخ / فاروق عبد العزيزسلام - يقول :

الدين الاسلامي ليس عالما مستقلا بحدوده وطبيعته يعزل نفسه عن واقع الحياة .. والذين يعزلون الدين عن الحياة يخلقون نوعا من الثنائية ويعزلون أنفسهم .. ويبددون طاقاتهم هباء منثورا ....

ذلك أن الحياة النفسية والفكرية المزدوجة تعني سياسة تستغل الدين الاسلامي ضد روحه وطبيعته .. وتعرقل تقدم المسلمين ... وهذا ان دل على شيء فانما يدل على سوء فهم الدين وطبيعته .. وبالتالي يعتبر مظهرا للانحراف في منهج تطوير المجتمع العربي والاسلامي والدين الاسلامي يرفض التردد والشك .. والفرقة والضعف .

ولقد أرسي الاسلام القواعد الأساسية الصالحة لكل مكان وزمان لبناء مجتمع انساني سوى ... وهذه القواعد غطت كافة نواحي الحياة ( الاجتماعية .. والاقتصادية .. والسياسية ) في ربوعها يستظل الانسان بعدالة السماء .. ويعيش آمنا بشريعة الحق .. وتصحيح المسار الخاطىء لسفين حياتنا يقتضي منا بداية مايلي :

**أولا** : ربط المسلم بمفاهيم دينه لتكون المحصلة العملية تحقيق الرقي الأخلاقي .. والتقدم الحضاري .. وذلك بالقضاء على التميع الحضاري والانحلال الخلقي .. الذي بدأ يلف حياتنا .

**ثانيا** : ربط الانسان المسلم بمصدر التقويم وأنماط السلوك ، والتغير الاجتماعي يجب ان نستمده من تراثنا وعقيدتنا .... لخلق تنمية روحية وأخلاقية تتلازم مع التنمية الاجتماعية والاقتصادية وبهذا يمكن ايجاد تنمية اقتصادية انسانية رشيدة في زمن طغت فيه الماديات .

**ثالثا** : أن يكون اتباعنا للمنهج العلمي في ظل التغير المطلوب بعيدا عن النظريات الدخيلة وعن المذاهب المادية التي لا تؤمن بالله ورسله ... الخ .

**رابعا** : إن الاسلام يتميز ببناء الشخصية الانسانية ويتعاظم بصلابة رجاله في مواجهة جسام الأمور ..

ولكي تكون الشخصية الاسلامية متكاملة ، لابد من الأخذ بمنهج الاسلام في كل مناحي الحياة :

في مجال العقيدة ومجال السلوك الفردي ومجال الاقتصاد ، والسياسة ، والعلم ، وعلينا الا نقطع حكما من الاحكام عن الصورة الشاملة ونجزئه ثم نتعمق في

دراسته وتحليله بمعزل عن الاطار العام للاسلام ، لأن الاسلام وضع الصورة العامة ككل للوجود وحقائقه وقيمه .. ومصالحه ونظمه .. حتى تتفاعل السلوكيات والأخلاقيات وتنصهر في بوتقة الايمان ..

وعلى هذا الأساس يمكن تحديد جذور التكوين النفسي والفكري وصياغة حياتنا وفق أمانينا في التقدم المسئول ..

وشمولية التكامل مرجعها الى مصدرين يكمل كل منهما الآخر ولا يمكن الفصل بينهما وهما :

أ ـ وحدة المصدر

ب ـ ووحدة موضوعه

**أما وحدة المصدر** ـ فمردها الى كونه منهجا ربانيا ـ **( ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )** النساء / ٨٢

**وأما وحدة الموضوع** : التي تقوم على التوجيهات والتكاليف الشرعية فنعني بها الانسان .. ويخطىء من يتوهم أن الدين يمكنه تنظيم جانب دون الآخر أو تنظيم جانب على حساب جانب في حياة المسلم أو الانسان عموما ...

فذلك يعتبر تجاهلا بشعا وقبيحا لوحدة النفس الانسانية . وهذا التجاهل يدفعه الحق بقوله : **( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين )** النحل / ٨٩ .

وتكامل المنهج الاسلامي يظهر جليا في ربطه بين الاسس العقيدية والنظام الأخلاقي والاجتماعي .

وأسس العقيدة الاسلامية تقوم على الايمان بمبدأين رئيسين :

**أولهما** : توحيده سبحانه وتعالى وتفرده بالعبودية : « **لا إله الا الله وحده لاشريك له** »

**وثانيهما** : الايمان بتخطي نطاق الحس الى الغيب **( يوم لاينفع مال ولابنون.الا من أتى الله بقلب سليم )** الشعراء / ٨٨ و ٨٩

فعقيدة التوحيد تستجمع في عقل الانسان ونفسه مشاعر الولاء والخضوع ، وتقوده الى عبودية الإله الواحد الذي : **( ليس كمثله شيء )** الشورى / ١١

وتنتشل الانسانية من الضياع ، والانسان من وهدة الشقاء ومن تبعات الولاء المشتت .. وهي دعوة للتحرر من سلطان الخلق أجمعين : **( وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه )** الأحزاب / ٣٧

**( فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) آل عمران / ١٧٥**

ومن هنا يتضح ان الايمان بالله يعني على المستويين الاجتماعي والاخلاقي الحرية .. والمساواة وهو الذي يطبع الفرد المؤمن والأمة المسلمة بموقف الصلابة في الحق ، وروح النضال من أجل المبدأ ، وفي ذلك يقول الحق : **( وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم )** الصف / ١١ وكذلك : **( ولايخافون لومة لائم )** المائدة / ٥٤ لانهم يؤمنون بالله رب العرش العظيم .. الواحد الأحد .. الفرد الصمد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء .. يرجون رحمته ويخافون عذابه ، والفرد المؤمن مؤتمن على ما يناط به من أعمال ، حريص على اتقان عمله وتحسين أدائه ولو في غفلة من عيون

الدولة .. وحراسة القانون ، لأنه يعلم أن الرقيب ربه ، وأن الحسيب ربه ، ولأنه يقرأ قوله تعالى : **( ألم يعلم بأن الله يرى )** العلق / ١٤ ويعي عن نبيه صلى الله عليه وسلم قوله : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه .. فان لم تكن تراه فانه يراك » البخاري ..

والمذاهب الوضعية التي تنكر التفرد بالربوبية تفضح عجزها ، وتكشف عن كفرها الوضيع الذي هو في جوهره ستر الحق ، وتنكر مغرض ، وسلوك أحمق للأمر الظاهر الذي تمثله مصلحة مادية أو معنوية ودوافعها مواقف سلوكية معيبة وفي هذا يقول الحق :

**( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا )** النمل / ١٤ وقوله :

**( فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون )** الانعام/ ٣٣ .

# « ابتهالة »

شعر عوض الحسيني قشطة

لا تسأل العبد عن عون وعن مدد
واسأل إلهك رب العون والمدد
وافتح ذراعيك للدنيا وكن بطلا
واحذر من النفس إن تدعوك للحسد
والجأ الى الله في كل الأمور ولا
تطرق سوى بابه إن كنت في كبد
فعنده لذوي الحاجات ماطلبوا
وبحره مورد للأم والولد
وكيف تطرق بابا موصدا أبدا
وباب ربك مفتوح الى الأبد
والرزق للخلق رب الخلق ضامنه
عهد عليه ومن أوفى من الصمد
فان رزقت فلا تفخر على أحد
وان رزئت فلا تركن الى أحد
واحفظ على النفس في الحالين بهجتها
فإنها خلقت للصبر والجلد
فاصبر وجالد وأد الفرض مجتهدا
وول وجهك باب الله واعتمد
فإنما الأمر للرحمن مرجعه
في طرفة العين يمحو الضيق بالرغد

# الفتاوى

## زوج حائر

**القارىء ابراهيم خماش من الخليل ، يقول : امي تصر على أن اطلق زوجتي ، وزوجتي مطيعة وعلى خلق ولي منها ولد وبنت وانا حائر بين ارضاء أمي وبين ظلم زوجتي ماذا أفعل ؟**

أمك ما دامت تحب لك السعادة فما ينبغي أن تحكم عليك بفراق زوجة تحبها وتطمئن إلى أخلاقها وهل كانت أمك تقبل أن يطلقها أبوك تنفيذا لرغبة أمه ؟ فكيف ترضى لغيرها ما لا ترضاه لنفسها ؟ هذا خلق غير اسلامي لأن المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه . طاعتك لأمك في مثل هذه الحالة يترتب عليها ظلم لزوجة بريئة وفيها تشريد للأولاد ومخالفة لأمر الله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . كما أنك مطالب ببر أمك والإحسان إليها وإكرامها أنت مطالب في الوقت نفسه بألا تظلم زوجة تطيعك وتصونك وترعى أولادك ومن حق الزوجة على زوجها أن يكرمها ويحسن عشرتها وأن يمسكها بمعروف ولا يغدر بها وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يوصي بالنساء خيرا وهو القائل : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم . »

عليك أن تقوم بإصلاح ذات البين تفاهم مع زوجتك لتقوم بخدمة أمك وودها والإخلاص في خدمتها فهي في مركز أمها تبذل في سبيل رضاها الكثير من المحاولات لتستل الحقد من قلبها وإذا أصرت أمك على الطلاق بعد ذلك فلا تطعها فليس من البر طاعة الوالدين فيما يؤدي إلى خراب البيت وكسر القلوب .

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما أسلم كان بارا بأمه ولكنها هددته إذا لم يرجع إلى الشرك بأنها تمتنع عن الأكل والشرب حتى تموت ويعيّره الناس بأنه قتل أمه وامتنعت ثلاثة أيام فقال : إعلمي والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا الشيء فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي . وفي ذلك يقول الله تعالى : « **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا** » .

المهم حاول الاصلاح بينهما ولا تيأس ، واصل بر أمك ولا تظلم زوجتك . وسبحان مقلب القلوب وهو الموفق للصواب .

## من أساليب التضليل :

**ترد إلى المجلة رسائل كثيرة ومن جهات عديدة يسأل أصحابها عن حكم ما يأتيهم من رسائل فيها توصية من شخص اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية ومن غيره يطلب كاتب الرسالة نسخها من ثلاثين نسخة وإرسالها إلى الأصدقاء وفيها بشارات لمن ينفذ ذلك وتهديد لمن يهملها بِشَرٍّ مزعج .**

هذه الرسائل وأمثالها من وضع جماعة تكيد للمسلمين وتتسلى باللعب بعقولهم وإزعاجهم ، هذه الرسائل لا يجوز تصديقها أو الالتفات إليها لما يأتي :
**أولا** : الشيخ أحمد المشار إليه شخص مزعوم لا وجود له وذهب الناس في الحج والعمرة وسألوا عنه فكذب ذلك المسئولون عن الحرم النبوي تكذيبا قاطعا .
**ثانيا** : هذه الرسائل لم يتحقق منها شيء ومن نفذ ما جاء فيها لم يحصل له الخير المزعوم ومن أهملها لم يحدث شرّ كما توهم الكاتبون
**ثالثا** : كيف علموا الغيب وتوقعوا الخير والشر والغيب لا يعلمه إلا الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو .
على المسلمين أن يصونوا عقائدهم من الأوهام والتضليل وأمثال هذه الرسائل يجب أن تمزق أو تحرق إن اشتملت على آيات من القرآن الكريم .

بين الحين والحين ينشط هؤلاء السفهاء من أجل إثارة الرعب أو الجري وراء الأوهام ليشغلوا الرأي العام بما لا يفيد ويصرفوا الناس عن واجبات مطلوبة ، هؤلاء الضالون المضلون بالأمس القريب طلعوا على الناس بخدعة جديدة وفدت من قبرص روجوا لها بوعود مزيفة وأوهموا الناس أن من يدفع خمسة دولارات يحصل على الآلاف منها ويصبح من الأثرياء وجرى وراء هذا السراب كثير من الضحايا وما عرفوا الحقيقة إلا بعد فوات الأوان وصدق الله العظيم : **( يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين )** الآية ١٤٩ آل عمران .

## المسجد وصلاة المرأة :

**قارىء من الكويت يقول أسكن بالقرب من مسجد فهد السالم وزوجتي تصرّ على الصلاة في هذا المسجد وحاولت إقناعها بأن الصلاة في بيتها أفضل فلم تسمع لي أرجو بيان الحكم في ذلك .**

يجوز للنساء الخروج إلى المساجد وشهود الجماعة بشرط أن تخرج المرأة بلباس شرعي في غير زينة ومن غير طيب فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات ) يعني غير متطيبات ..

ومع هذا الجواز فصلاة المرأة في بيتها أفضل لما رواه أحمد والطبراني عن أم حميدة الساعدية أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني أحب الصلاة معك فقال صلى الله عليه وسلم ( قد علمت ، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير لكِ من صلاتك في مسجد الجماعة ) .

فلا ضرورة للإصرار على الصلاة في المسجد ما دامت الصلاة في البيت أفضل ولا معنى لمخالفة الزوج في ذلك في أمر يسر فيه الاسلام على المرأة ولم يلزمها بالخروج إلى المسجد ولعل الزوج يسمح لها أحيانا إذا أرادت الاستفادة بعظة أو محاضرة في المسجد ما دام المسجد فيه مُصليات خاصة بالنساء .

## تبديل الأرض والسماء :

**القارئة إقبال أحمد كلية آداب القاهرة تقول : وأنا أقرأ الآية الكريمة : «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .. » فكرت أين يكون الناس في الأرض وأين يكون الملائكة في السماء ؟ »**

درج القرآن الكريم على عرض التغييرات التي تحدث في الكون وتصوير نهاية الحياة حتى يخاف الكفار والعصاة وحتى يزداد المؤمنون ايمانا بقدرة الله كما جاء في سورة **الزلزلة والقارعة والانفطار وكثير** من سور القرآن الكريم ونقول للقارئة الفاضلة إن تبديل الأرض والسموات ليس معناه ازالتها وإفناؤها حتى يفكر الانسان أين يكون الناس وأين تكون الملائكة . إنما تبديل الأرض معناه تغيير أوضاعها المعروفة لنا في الدنيا وإنما الأرض هي الأرض بذاتها تسير عنها جبالها وتكون كالعهن المنفوش أو كالسحاب وتفجر البحار وتخرج الأرض أثقالها وكذلك السماء هي السماء ولكنها تتشقق وشمسها تكور ونجومها تتناثر إلى غير ذلك من تغيرات وليس في القرآن ما يدل على خلق أرض أخرى أو سماء أخرى ولكنه يصرح بالاقتصار على تغيير الأوصاف والهيئات .. والله أعلم .

## إجابات قصيرة

**القارىء أشرف ممدوح عبد الله - مدرس - بلقاس الثانوية الزراعية - ج.م.ع .**

لغة سيدنا آدم عليه السلام لم تعرف ماهيتها ولم يثبت أنها كانت اللغة العربية أما الطهارة بورق التواليت فجائزة خاصة اذا لم يوجد الماء حيث يقوم مقام الماء في الطهارة كل جامد طاهر منق ليس بمطعوم ولا ذي حرمة وشرف سواء كان من نوع الأرض أو من غير نوعها .

**قارىء من المملكة المغربية لم يذكر اسمه ولا عنوانه :**

يجب عليك دفع الدية وصيام شهرين متتالين لأن هذا الحادث قتل خطأ .

أما إلقاء المسئولية على غيرك وان كان قد رضي بذلك فهو إثم وزور وتضليل . ولا تزر وازرة وزر أخرى .

عليك بالتوبة والاستغفار وتعويض المظلوم .

**الى كركز وعمر - اليوسفية - المغرب .**

نعم تجوز الصلاة خلف الإمام الذى تحدثت عنه وذلك مع الكراهة ، فالأصل الذى ذهب اليه العلماء ان كل من صحت صلاته لنفسه صحت صلاته لغيره ولكنهم كرهوا الصلاة خلف المبتدع والفاسق .

**القارىء خالد على واف . بسيون . غربية .ج م ع .**

اللعب بالورق - الكوتشينة .

أمر يدور بين التحريم والكراهة والإباحة ومن أباح هذا النوع من اللعب اشترط ما يأتى : ألا يلهى عن الصلاة أو واجب دينى . ألا يصرف اللاعب عن تحصيل رزق أو أداء واجب ألا يخالطه قمار وألا يصدر أثناء اللعب ما يخالف شرع الله .

أما أذانُ الصبي للصلاة فجائز اذا كان الصبى مميزا حيث لا يشترط البلوغ لصحة الأذان .

**ج . م . ن . ك محافظة الشرقية جمهورية مصر العربية**

● الوسوسة المقرونة بالخوف من النطق بها علامة الإيمان ، أخرج مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول الله فيقول فمن خلق الله ؟ فمن وجد ذلك منكم فليقل آمنت بالله ورسوله وفي رواية فليستعذ بالله وَلْيَنْتَهِ .

وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن الوسوسة فقال: تلك محض الإيمان .

# مع الصحافة

في الشهر الماضي تفاقم النزاع العسكري في بؤرتي الصراع الساخنتين : حرب لبنان وحرب الخليج . وعلى الرغم من حدوث تطورات عدة في بعض مناطق العالم الأخرى ، فإن الصحافة العربية والعالمية استغرقت في تقصي التطورين الجديدين في الشرق الأوسط ، ولا سيما ما يحدث في لبنان .

وقبل أن نعرض ما نشرته الصحافة عن حرب لبنان وحرب الخليج يحسن أن نشير إلى ما يجري في الحرب التشادية والحرب الأثيوبية الاريترية . ففي تشاد تركز موضوع الأزمة بين الفرنسيين والليبيين ، وحملت فرنسا ليبيا مسؤولية إسقاط طائرة مقاتلة فرنسية ، ويختلف المراقبون في توقعاتهم عن الأسابيع القادمة ، فبعضهم يميل إلى أن الضغط الليبي العسكري على القوات الفرنسية في تشاد سوف يلجئها إلى البدء بالتفاوض مع ليبيا ، بينما يرى آخرون أن الأيام القادمة سوف تشهد تصعيدا عسكريا بين فرنسا وليبيا . أما في أرتيريا فقد نقلت وكالة الأنباء الكويتية تصريحا لممثل جبهة تحرير إرتريا في دول الخليج في ٥ جمادي الأولى جاء فيه : إن الطائرات الأثيوبية شنت خلال اليومين الماضيين غارات متوالية على مدينة « تسني » المحررة ، كما ضربت مدينة « هايكوتا » والقرى المجاورة إثر معركة يوم الأحد الماضي التي خسر فيها الأثيوبيون ٤٥ جنديا بين جريح وقتيل ، وأسر ٦ بينهم جريحان .

ونعود من بعد إلى لبنان : فقد استعرت الاشتباكات بين القوات الوطنية المعارضة وبين الجيش اللبناني ، وأدى ذلك إلى تمزق الجيش ، وانضمام قسم منه إلى القوات الوطنية ، كما سيطرت هذه القوات على بيروت الغربية . ومن ناحية أخرى تواجه الادارة الأمريكية فيما يبدو إخفاقا ذريعا في سياستها حيال لبنان والشرق الأوسط عامة ، وقد تعرضت لنقد لاذع من معظم الأطراف حتى من حلفائها الأوربيين بسبب التدخل العسكري الوحشي الذي قامت به مدافع سفن الاسطول السادس الأمريكي المحتشدة في المياه الاقليمية اللبنانية . ويبدو لبنان الذي هده الخراب على شفير الانقسام النهائي ، بينما يتحدث بعض المراقبين عن صفقات تجرى من وراء ستار يتم فيها منح الأقوياء ـ كما جرت العادة ـ ما يمكن منحه ، بغية الوصول إلى لون من ألوان التسوية .

أما حرب الخليج فلم يكن اهتمام الصحافة بها مساويا لاهتمامه بحرب لبنان ،

على الرغم من التصاعد الخطر للقصف المتبادل للمدن بين الجانبين العراقي والايراني . . وإذا كان اتجاه الحرب نحو تدمير المدن مسألة ذات خطورة فإن دلالة هذا الاتجاه أعظم خطرا فيما يظهر ، فحرب الاستنزاف والتدمير توحي بأن ليس هنالك أمل في المستقبل القريب أن يتوصل البلدان الجاران المسلمان إلى حل للنزاع بينهما ، وإذا كانت سنوات الحرب الأربع قد أضعفت قدرة كل منهما على تنفيذ هجوم فعال فإن حرب القصف المتبادل لا تحتاج إلى ما يحتاجه الهجوم ، وحسبها أن تقوم بإنهاك الطرفين ، وهكذا فلو استمرت الحرب على هذه الوتيرة فأغلب الظن أن أمدها سيطول أكثر .

وعلى حين تجأر المدافع بصرخات الغضب والدمار تنشط المساعي في البحث عن حل لمشكلة الشرق الأوسط ، وبخاصة القضية الفلسطينية ، وتتجه السفائن هذه المرة إلى سواحل أوربة ، ولقد صار من المألوف أن تنبعث الآمال بالحل الأوربي كلما استغلقت السبل أمام الحلول الأمريكية ، ويظهر الآن أن معظم الأطراف قد فقدوا الثقة بقدرة أمريكا على تنفيذ مشاريعها ، أو على الأصح بما يسمى مصداقيتها في ذلك ، بل صاروا على يقين من « مكذابيتها » كما أشار بعض الصحفيين ، والحق أن الادارة الأمريكية تبدي تخبطا شديدا في معالجتها لقضية تعتبرها من أولـيات اهتمامها الدولي ، وقد تعرض الرئيس الأمريكي لهجمات عنيفة من الصحف الأمريكية نفسها ، حتى وصفه بعضهم بالجهل والحمق والرعونة . وهكذا يلجأ الباحثون عن حل سلمي إلى الخيار الأوربي أو على الأصح إلى خيار « الخليط بين الخيارات » بدءا بمشروع قمة فاس ، والمشروع الفرنسي المصري المشترك ، والمشروع الأوربي ، وانتهاء بالدعوة إلى مؤتمر دولي . وعلى الرغم من أننا لا ينبغي أن نميل إلى التشاؤم فإن الظاهر يدل على أن الأمور لن تزيد إلا تعقيدا ، ونظن بأن الباحثين عن الحلول في هذه المعمعة يفعلون في ظنهم الشيء الوحيد الذي يقدرون على فعله ، وذلك من وجهة نظرهم ـ خير من ألا يفعلوا شيئا .

وفي خضم تيارات الحرب وتيارات السلام يستمر العدو الصهيوني في تنفيذ خططه ، فقد قام بعض اليهود في الشهر الماضي بمحاولة لتفجير المسجد الأقصى ، بهدف اجتثاث أهم معلم من معالم الحضارة الاسلامية في فلسطين ، ولعل من نكد الدنيا على المسلمين في هذا العصر أن تزعم الحكومة الاسرائيلية أنها حالت دون هذه الفعلة ، وأن تدعي حماية مساجد المسلمين

## ○ عن الحرب اللبنانية

عن التدخل العسكري الأمريكي في لبنان نشرت وكالة نوفوستي السوفياتية للأنباء في الاسبوع الأول من جمادى الأولى تقريرا تناقلته بعض الصحف جاء فيه :

**لوحظ منذ مدة انه عندما يغير ساسة البيت الابيض فجاة من النغمة العسكرية لتصريحاتهم باحاديثهم حول « حب السلام » فإن ذلك يعني أن انتخابات الرئاسة في**

اميركا قد اقترب ميعادها . وحاول الرئيس ريغان في رسالته عن « حالة الاتحاد » الاميركي التي تقدم بها منذ مدة قريبة وقبل عدة أيام فقط من تصريحه رسميا بعزمه على ترشيح نفسه لفترة رئاسة ثانية ، حاول تصوير نهج إدارته الخارجي العدواني الحالي وكأنه نهج « محب للسلام » فقد صرح : « إننا لم نكن أبدا معتدين ، فليست لدينا أية أطماع في الأراضي ولا نحتل دولا أخرى »

إن مصير لبنان لمثال جلي لما تعود به مجهودات الولايات المتحدة لاقامة السلام المزعوم في الواقع . ففي البداية أعطت واشنطن الضوء الأخضر لاجراء عملية « السلام للجليل » الاسرائيلية الدموية التي جلبت للبنان مصائب لا حصر لها . وتبع ذلك إدخال مشاة البحرية الأميركية إلى لبنان ضمن « القوات متعددة الجنسيات » وإرسال مجموعة اميركية ضاربة تضم حاملتين للطائرات إلى الشواطيء اللبنانية . وبدأت مدافع البارجة « نيوجرسي » من عيار ١٦ بوصة بقصف المدن والقرى اللبنانية وهؤلاء الذين يزعم الاميركيون بأنهم وصلوا « لحمايتهم » . ويستخف الرئيس ريغان بالجميع عندما يقول إن « الأميركيين قد أحرزوا تقدما في لبنان » وهنا يبرز هذا السؤال : أحرزوا التقدم في أي شيء ؟ . في القيام وبشكل سافر بالعنف والقرصنة ؟ وقتل اللبنانيين واحتلال أراضي الغير ؟ .

والآن اشتعلت بين الكونغرس والبيت الأبيض مشادة كلامية حول مواصلة اشتراك الولايات المتحدة في هذه المغامرة التي قد تتحول كما تقول بصراحة الصحف الاميركية نفسها إلى « فيتنام شرق - أوسطية » بالنسبة للولايات المتحدة . ويبدو أن رجال الكونغرس يقرعون طبول الانذار بهذا الصدد .. ويحاول سيد البيت الأبيض في رده الرسمي على عضو في مجلس النواب تهدئة المشرعين ومع ذلك يصرح علنا بأن الولايات المتحدة تستطيع تحقيق أهدافها في لبنان « عن طريق قوة السلاح » . ولذلك فمن شأن سحب القوات متعددة الجنسيات أن يقوض عملية الوفاق الوطني السياسية لدرجة كبيرة كما تدعو إليها واشنطن .

في الحقيقة تسعى واشنطن بجدية إلى « حل » الأزمة اللبنانية عن طريق توسيع نطاق عملياتها العسكرية في لبنان وفي أواخر شهر يناير الماضي استخدمت الوحدات الأميركية من القوات متعددة الجنسيات الدبابات والمدفعية أثناء القتال في منطقة مطار بيروت الدولي لمحاولة سحق القوى المناهضة لسياسة الاملاء الامبريالية .

ولا يمكن توقع أية تغيرات في النهج الاميركي العدواني إزاء الشرق الأوسط فلم تصل المارينز إلى لبنان رافعة غصن الزيتون وإنما وصلت لتثبت وجودها وإقامة قواعد لقوات الانتشار السريع التدخلية الموجهة ضد دول الشرق الأوسط الأخرى ومن بينها سوريا ودول الخليج . أليس لهذا السبب تسرع البنتاغون في إقامة مقر قيادة السينتكوم الذي سيقع على متن إحدى السفن شرقي البحر الأبيض المتوسط ؟ وليس سرا أن قوات الانتشار السريع التي وضعت تحت قيادة السينتكوم مجهزة بأسلحة نووية .

والولايات المتحدة التي بدأت في إنشاء نقط ارتكاز في المنطقة ثم قامت بحشد مجموعة ضاربة ضخمة أمام الشواطيء اللبنانية تباشر الآن بتشكيل هيئات أركان الحرب التي سيتعين عليها توجيه عمليات التدخل المسلح في شؤون لبنان بالتنسيق مع شريكتها اسرائيل ساعية إلى تحويل لبنان إلى رأس جسر استراتيجي للبنتاغون في الشرق الأوسط لتهديد الدول العربية الأخرى . وقد أكد جورج شولتز وزير الخارجية الأميركي أن ذلك بالذات هو حقيقة الأمر . وقال إنه حتى لو استقر الوضع في لبنان ستهتم واشنطن للغاية بإبقاء تواجدها في مناطق استراتيجية محددة في الشرق الأوسط .

وعن تحليلات المراقبين السياسيين لتطورات الوضع في لبنان نشرت وكالة « كونا » للأنباء تحليلا من بيروت في الأسبوع الثاني من جمادى الأولى جاء فيه :

يقول المراقبون إن هناك إحتمالات وكلها خطيرة :
أولا : ان يستبدل بمتعددة الجنسيات قوات دولية ترفع علم الأمم المتحدة ، خاصة أن الاستعداد الدولي لارسال قوات دولية اخذ يتسع ، استنادا إلى مباحثات غربية - سوفيتية ، لضمان عدم معارضة اي دولة من اصحاب حق النقض « الفيتو » في مجلس الأمن لقرار يصدر عن المجلس الدولي يقضي بانتداب قوات دولية إلى لبنان مكان القوات متعددة الجنسيات .
ووصول القوة الدولية مرتبط بتسوية سياسية يعترضها إلغاء الاتفاق اللبناني - الاسرائيلي مع أنه قد لا يعود كافيا للحل .
وافادت مصادر مطلعة لجريدة « السفير » اللبنانية ان الدولة اللبنانية تسعى مع السعودية إلى إعداد صيغة تميل إلى إلغاء الاتفاق اللبناني - الاسرائيلي . وقد نقل الوسيط السعودي رفيق الحريري رغبة بهذا المعنى إلى القياديين اللبنانيين المعارضين المتواجدين حاليا في دمشق .
ثانيا : « تلزيم » إسرائيل « تنظيف » البلد من السلاح والمسلحين والجيوش من كل الفئات . ويقول المراقبون ، إن هذا الحل قد تلجأ إليه الولايات المتحدة إذا عجزت عن التفاهم مع سوريا الذي تفضله على غيره نظرا إلى انعكاساته الايجابية على علاقاتها العربية ومصالحها في المنطقة ، وقد تقوم به إسرائيل ، خاصة أن بيانات رسمية إسرائيلية ذكرت أن إسرائيل مستعدة للتدخل إذا شعرت ان التطورات الجارية في لبنان من شأنها تشكيل خطر عليها .
وقد رافق هذه التصريحات تقدم قوات مؤللة ومدرعة اسرائيلية باتجاه مناطق في إقليم الخروب . وقد اجتازت هذه القوات الاسرائيلية خط نهر الأولي اي الخط الذي انسحبت إليه والكائن شمالي مدينة صيدا العاصمة الاقليمية لجنوب لبنان من قبل إسرائيل .
ثالثا - استمرار التصعيد العسكري خاصة في الجبل وخطوط التماس التي عادت لتفصل بين منطقتي بيروت الغربية وتوقع قيام الحكم اللبناني بمساندة القوات اللبنانية الكتائبية وبدعم اميركي - اسرائيلي لمغامرة عسكرية في محاولة لاستعادة المنطقة الغربية من بيروت والسيطرة على الضاحية الجنوبية .
ومصادر المعارضة اللبنانية هنا لا تستبعد أن يكون قرار الرئيس ريغن بقصف مواقع الجبل هو إتاحة المجال للجيش اللبناني الذي قطع مؤخرا طريق بيروت - صيدا على مستوى بلدة الجية الساحلية ، والمتواجدة فيها ميليشيات كتائبية معززة بآليات كثيرة ، وللحكم القيام بعملية عسكرية قد تكون « مغامرة عسكرية » ضد بيروت الغربية او الضاحية او بعض مواقع الجبل ، رغم اقتناع مصادر المعارضة بصعوبة قيام الحكم باي نوع من الحسم العسكري للانقسام الخطير الذي حصل في صفوف الجيش خاصة أن الحكم لم يعد بسلطته اكثر من عشرة آلاف جندي فقط من الجيش اللبناني النظامي الذي يبلغ عدده ٣٧٠٠٠ .

## ○ عن المساعي السلمية

يبدو من خلال الزيارات التي يقوم بها قادة الدول العربية إلى فرنسا أن فرنسا

تتقلد دورا بارزا في الاتجاه الجديد إلى إيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط ، وقد لخصت مجلة المستقبل في عددها ٣٦٤ للسنة٧ خطة تحرك فرنسا في هذا المجال ، في مقال جاء فيه :

**ما هي خطة تحرك فرنسا التي ستطرحها على حلفائها داخل الأسرة الأوروبية ؟**

**١ ـ تدعو باريس إلى ضرورة إخراج لبنان من حال التبعية الأميركية ووضعه تحت « مظلة الشرعية الدولية » عبر جعل المجتمع الدولي يتحمل مسؤولياته تجاه مصير وطن وحياة شعب مهدد بالزوال . والمشروع الفرنسي واضح وهو يحظى بمباركة أوروبية بتأييد عربي ويرمي إلى إبدال القوة المتعددة الجنسيات بقوة دولية تابعة للأمم المتحدة ويسمح للدول الأوروبية المشاركة بفك الارتباط العسكري وتحريرها من ثقل الالتزام المادي والسماح للحكومات الأوروبية بقدر أكبر من حرية التحرك السياسي والدبلوماسي لمساعدة لبنان على التوصل إلى هدنة أمنية تمكن اللبنانيين من التفاهم سياسيا على مستقبل وطنهم تمهيدا للمصالحة والوفاق .**

**٢ ـ إعطاء دور فاعل لسوريا في أي مسعى لحلحلة الأزمة سواء في لبنان خاصة أو في الشرق الأوسط عامة . وكشف المصدر ل « المستقبل » أن باريس ودمشق اتفقتا أخيرا خلال زيارة الأمين العام للخارجية الفرنسية للعاصمة السورية على متابعة الحوار على مستوى رفيع ، على أن يتم لقاء قريب بين وزيري خارجية البلدين كلود شيسون وعبد الحليم خدام وسيتم تحديد المكان والزمان في وقت لاحق .**

**٣ ـ إشراك الاتحاد السوفياتي في المشاورات القائمة حاليا والمتوقعة مستقبلا وضرورة إخراج الشرق الأوسط من حال المجابهة الأميركية ـ السوفياتية إلى حصول توافق بين الدولتين العظميين يسمح بترجمة عملية للمساعي السلمية في المنطقة . وما بداية الحوار الفرنسي ـ السوفياتي التي استكملت بحوار أوربي ـ سوفياتي إلا مقدمة لبلورة موقف سوفياتي أكثر إنفتاحا وإيجابية على المشاكل المطروحة . ولم يخف المصدر أن الجهود الدبلوماسية مركزة حاليا على حصول أوروبا على موافقة موسكو لتشكيل قوة دولية جديدة وإرسالها إلى بيروت والحؤول دون حصول فيتو سوفياتي داخل مجلس الأمن .**

**ويبدو أن الجواب السوفياتي ـ السوري لم يكن لا سلبيا ولا إيجابيا بمعنى أن موسكو ودمشق لم تقولا « لا » لكنهما في الوقت نفسه لم تردا بـ « نعم » . واعتبر المصدر أن بداية الحوار مشجعة إلى حد ما . مما جعل الأوربيين يحثون الأميركيين على متابعة الحوار مع السوريين .**

**٤ ـ إن التسوية المؤقتة للأزمة اللبنانية قد تكون مدخلا لتسوية دائمة لأزمة المنطقة في حال تجاوب الطرفين الأساسيين مع الجهود الأوربية .**

**٥ ـ التشاور مع الفرقاء المعنيين بغية إعداد صيغة توفيقية بين مبادرة الرئيس ريغان التي « تتجاهل الكثير من الحقوق الأساسية » ومشروع الملك فهد الذي حصل على إجماع عربي في قمة فاس وقد يكون المشروع الفرنسي ـ المصري منطلقا للبحث بغية إدخال تعديلات عليه إذا لزم الأمر مقدمة لتبنيه في صيغته المنقحة من قبل الأسرة الأوروبية وتأييده من قبل الدول العربية .**

## ○ عن الحرب في تشاد

وعن الحرب في تشاد نشرت مجلة الحوادث في عددها ١٤٢٢ مقالا جاء فيه :

مرة اخرى تجد فرنسا نفسها معنية وبصورة مباشرة بعمليات عسكرية خارج حدودها يذهب ضحيتها الجنود الفرنسيون . فبعد بيروت وضحايا الفرنسيين الذين سقطوا هناك من القوات الفرنسية في المتعددة الجنسيات فقدت فرنسا طائرة مقاتلة وقتل قائدها في الأجواء التشادية مما أعطى للأزمة التشادية بعدا فرنسيا ليبيا . فبعد الحادثة التي تعتبر الأولى من نوعها منذ إرسال القوات الفرنسية إلى تشاد قبل ستة أشهر بناء على طلب من حكومة حسين حبري ، أبدت فرنسا بكافة أوساطها اهتماما كبيرا بالأمر وبعد اجتماع مجلس مصغر في قصر الاليزيه برئاسة الرئيس ميتران وبحضور كلود شيسون وزير العلاقات الخارجية وشارل هرنو وزير الدفاع وكبار مستشاري الرئيس الفرنسي للشؤون الافريقية اصدرت وزارة العلاقات الخارجية الفرنسية بيانا على شكل تحذير لليبيا التي اتهمها بانها وراء الحادثة ، وجاء في بيان الخارجية الفرنسية « لا يجب إخفاء خطورة الأحداث الأخيرة في تشاد ، ويبدو أن ليبيا تتحمل مسؤولية ذلك بصورة كاملة » . ومما يزيد من خطورة التحذير الفرنسي هذا لليبيا انه يأتي بعد أيام من تصريح للجنرال جان جولي قائد القوة الفرنسية في تشاد الذي أعلن فيه من غير أن يستخدم أية صيغة دبلوماسية « أن ليبيا تعمل لضم شمال تشاد إليها » .

وفرنسا التي أرسلت قواتها إلى الاراضي التشادية منذ شهر آب الماضي بناء على طلب من حكومة الرئيس التشادي حسين حبري وفي إطار لتفاقية مشتركة مع تشاد لم تتوقف عن مواصلة جهودها واتصالاتها لضمان عقد مؤتمر الطاولة المستديرة بين حسين هبري وزعيم المعارضين له جوكوني عويدي ، ودعت باريس دوما منظمة الوحدة الافريقية للتوسط لايجاد حل للأزمة التشادية ، ولكن بعد فشل مؤتمر اديس أبابا للمصالحة الوطنية التشادية الذي كان من المقرر أن يعقد في إطار الوحدة الافريقية في ٩ كانون الثاني الماضي ، بدأ التشاؤم يسود الأوساط الفرنسية بشأن إمكانية تحقيق حل ديبلوماسي للازمة التشادية وان على القوات الفرنسية في تشاد أن تنتظر أياما ساخنة وربما أنها تأتي كامتداد للأوضاع الصعبة التي تعيشها القوات الفرنسية في بيروت .

ويرى اكثر من مراقب في باريس أن هناك قناعة لدى الأوساط الرسمية في الخارجية والدفاع الفرنسية بأن ليبيا ستزيد من ضغطها العسكري على قوات حسين هبري والقوات الفرنسية المؤيدة له ايضا لتدفع باريس للتفاوض معها بشأن الأزمة التشادية وبالتالي تمرير مطالب زعيم المعارضة جوكوني عويدي الذي تؤيده طرابلس بقوة ، وباريس التي اكدت أكثر من مرة أن قواتها متواجدة في الأراضي التشادية بناء على طلب من حكومة معترف بها من قبل منظمة الوحدة الافريقية لضمان سلامة الأراضي التشادية وستعمل على سحب قواتها فور تحقيق المصالحة الوطنية بين الأطراف التشادية المتنازعة لا يمكن لها أن تقبل بالحوار مع ليبيا حول تشاد ، ومن هذا المنطلق فإن الأيام القادمة ستشهد تصعيدا عسكريا بين فرنسا وليبيا في تشاد ، حتى أن بعض وسائل الاعلام الفرنسية لا تتردد في التحدث عن « مصيدة تشادية » جديدة للقوات الفرنسية « كالمصيدة اللبنانية » ، ولا يعرف أحد أين ستنتهي ، خاصة أن وزارة الدفاع الفرنسية قد أرسلت تعزيزات جوية وأرضية إلى قواتها في تشاد بعد عملية إسقاط المقاتلة الفرنسية ومصرع قائدها في الوقت الذي اكد فيه بيان وزارة الخارجية الفرنسية إثر الحادثة « أن فرنسا لا تنوي إحداث أي تغيير بشأن الأهداف التي تعمل من أجلها لضمان وحدة وسيادة التشاد » .



## « إلى راغبي الاشتراك »

**تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب ( ٤٢٢٨ ) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :**

| | | |
|---|---|---|
| **مصر** | : | القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء . |
| **السودان** | : | الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) |
| **الجزائر** | : | الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية |
| **المغرب** | : | الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية |
| **تونس** | : | الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440 |
| **لبنان** | : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) |
| **الأردن** | : | عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥) |
| **السعودية** | : | جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧) |
| | | الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠) |
| | | الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢) |
| | | المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء |
| **سلطنة عمان** | : | مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦) |
| **صنعاء** | : | دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧ |
| **البحرين** | : | دار الهلال |
| **قطر** | : | دار العروبة ص . ب ٦٣٣ |
| **أبو ظبي** | : | المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨) |
| **دبي** | : | دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧) |
| **الكويت** | : | الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨ |

**ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .**






طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –